جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الأصول الأسطورية لصورة المرأة في ألف ليلة وليلة

إعداد
آمال محمد هلال أبو ريدة

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2019م

الأصول الأسطورية
لصورة المرأة في ألف ليلة وليلة

إعداد

آمال محمد هلال أبو ريدة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2019/04/25م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. طه غالب طه / ممتحناً خارجياً	....
3. د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

لأن الأساطيرَ تتبعُ آثارها

وتَعرفُ كيفَ تهتدي لِبعضها

ولأنها لم تبدأ برحلةِ ألف ليلة وليلة

ولن تنتهي بها

كانت في كُلِّ مرةٍ تَختارُ أبناءَها

ببصيرةِ العارف وعين الرائي

ولأننا مسيرون في مُتون الأساطير

بدلالةِ فطرتنا المنساقةِ وراء الجمال والجلال

اختار هذا البحث أن يُهدي نَفسَهُ

إلى سليل الأساطير وحامل لوائها

الدكتور إحسان الديك.

الشكر والتقدير

الحمد لله حمدا طيباً مُباركًا...والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

أول الثناء والشكر لصاحب العطاء مشرفي على الرسالة مذ كان الموضوع عنواناً وفكرة إلى أن صار رسالة وبحثاً، الدكتور إحسان الديك.

ومن باب الوفاء فالشكر إلى أساتذتي جميعا في قسم اللغة العربية الذين هم منارة للعلم منهم نهلت من واسع علمهم.

أشكر كل من ساندني وأعانني على إنجاز هذا البحث، فلهم في النفس منزلة وإن لم يسعف المقام لذكرهم.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الأصول الأسطورية لصورة المرأة في "ألف ليلة وليلة".

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه، حيث إن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالبة:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الأصول الأسطورية لصورة المرأة في ألف ليلة وليلة

إعداد

آمال محمد هلال أبو ريدة

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

حظيت المرأة على مر العصور بمكانة مميزة في الفكر الإنساني القديم، واكتسبت صورتها عند الأمم المختلفة طابعا رمزيا يحمل جانبا من القداسة؛ إذ بدت حاضرة بشكل لافت في الكتب السماوية وأساطير العالم القديم، ومن هنا فقد استلهمتها الحكايات وجعلت منها موضوعًا شائقًا يمتع القارئ، ويجعله يتفاعل مع بنيتها، ولا عجب في ذلك فالمرأة تجسيد لعشتار إلهة الحب والجنس ومتع الحياة.

ومن هذا المنطلق أخذت الليالي تغوص في بحر أسطورة المرأة، فشهرزاد المرأة الذكية التي مثّلت إلهة المعرفة والحكمة، ظلّت تقص قصصها حتى تشغل شهريار عن فعل القتل الرهيب، ولعلّ أسلوبها الذي زخر باستدعاء أساطير العالم القديم ولغتها الجذّابة هو ما أبقاها على قيد الحياة، فهي بطلة بدفاعها عن الوجود الأنثوي، وبالتالي استمرار الحياة، وبامتلاكها قلب الملك وعقله وفكره الذي أضحى أسيرها.

اقتضت طبيعةُ الدراسةِ أن تكونَ في: مقدمةٍ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمةٍ حَسب الآتي:

تحدثتُ في المقدمةِ عن أهمية الدراسة، والهدف من اختيارها، والمنهج الذي اتبعته في معالجة حكايات ألف ليلة وليلة.

وعرضتُ في التمهيد: " حضور الأسطورة في "ألف ليلة وليلة"، وقسمته إلى مبحثين، عُني المبحثُ الأولً ب" أصل تسمية "ألف ليلة وليلة"، وتناول هذا المبحث آراء أهل الأدب والنقد في أصل تسمية ألف ليلة وليلة. والمبحث الثاني "أسطرة الكتاب". هذا الكتاب الذي حظي باهتمام الكثير من الأدباء.

أما الفصل الأول فقد وُسم بـ: "الأصول الأسطورية للمرأة في فضاء ألف ليلة وليلة"؛ حيث انقسم الفصل إلى مبحثين، عُني المبحث الأول منه بالحديث عن "المرأة في الفضاء الزماني"، والمبحث الثاني عُني بالحديث عن "المرأة في الفضاء المكاني"، وهو" الفضاء الجوي"، و"الفضاء الأرضي"، و"الفضاء البحري".

وتناول الفصل الثاني:" التجليات الموضوعية لعشتار في ألف ليلة وليلة"، حيث انقسم الفصلُ إلى ثلاثةِ مباحثَ رئيسيةٍ؛ وقد عُني المبحثُ الأولُ بالحديث عن "الجنس الأسطوري في ألف ليلة وليلة". وعرضتُ في المبحث الثاني "الجمال الأسطوري في ألف ليلة وليلة". وعالجتُ في المبحث الثالث "الحب الأسطوري في ألف ليلة وليلة".

وقد وُسِمَ الفصل الثالث بعنوان: "التجليات الشخصية لعشتار في ألف ليلة وليلة"؛ فجاء فيه رصد تجليات عِشتار في وجهها الأسود وكيف بدت كسيدة الموت والرعب.وقد انقسمَ الفصلُ إلى خمسةِ مباحث هي: "الساحرة في ألف ليلة وليلة"، و"الجنية"،و"الحيَّة"، و"المحاربة"، وأخيراً "الكاهنة".

وأنهيتُ بحثي بِخاتمةٍ اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وأتبعتُها بقائمة المصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

المقدمة

حظيت المرأة على مر العصور بمكانة مميزة في الفكر الإنساني القديم، واكتسبت صورتها عند الأمم المختلفة طابعا رمزيا يحمل جانبا من القداسة؛ إذ بدت حاضرة بشكل لافت في الكتب السماوية وأساطير العالم القديم، ومن هنا فقد استلهمتها الحكايات وجعلت منها موضوعًا شائقًا يمتع القارئ، ويجعله يتفاعل مع بنيتها، ولا عجب في ذلك فالمرأة تجسيد لعشتار إلهة الحب والجنس ومتع الحياة.

ومن هذا المنطلق أخذت الليالي تغوص في بحر أسطورة المرأة، فشهرزاد المرأة الذكية التي مثّلت إلهة المعرفة والحكمة، ظلّت تقص قصصها حتى تشغل شهريار عن فعل القتل الرهيب، ولعلّ أسلوبها الذي زخر باستدعاء أساطير العالم القديم ولغتها الجذّابة هو ما أبقاها على قيد الحياة، فهي بطلة بدفاعها عن الوجود الأنثوي، وبالتالي استمرار الحياة وبامتلاكها قلب وعقل وفكر الملك الذي أضحى أسيرها.

إن هذه الدراسة تكشف عن تجليات الأم الكبرى عشتار في ألف ليلة وليلة، فمن أبرز القضايا التي عني بها الأدب العربي منذ القديم قضية المرأة، فقد كانت وما زالت ملهمة الشعراء، غير أنَّ الاختلاف يظهر في كيفية تناول هذا الموضوع وعرضه من حقبة زمنية إلى أخرى ومن بيئة إلى أخرى.

زخرت ألف ليلة وليلة بتنوع شخصياتها الأسطورية التي وإن لم تذكر صراحة إلا أن المتلقي يستشف وجودها من ثنايا الأسطر الدالة، ولعلّ أبرز هذه الشخصيات الأسطورية: عشتار وأرشيكيجال وفينوس وأرتميس و ليليث وتموز وكيوبيد ومورا وجلجامش.

ولهذا ربطت الباحثة صورة المرأة بتمثيلاتها المختلفة في ألف ليلة وليلة؛ لتأصيلها والكشف عن جذورها التاريخية والأسطورية، وتوضيح صورة الأم الكبرى عشتار، وتجلياتها في الفكر القديم، ورصد صداها في حكايات ألف ليلة وليلة بوجهها الأبيض حين تكون ربة للحب والجنس والجمال، ووجهها الأسود حين تكون إلهة الحرب والموت والدمار.

وقد اعتمدت الدراسة على المناهج النقدية لتوضح ماهية عشتار في الذهنية الشعبية، فقد حضر المنهج الأسطوري بأدواته التحليلية في تفسير الرموز العشتارية وإشاراتها التي تجلت من خلال رصد أمثلة كما وردت على لسان قائليها في الحكاية، وهو ما يضفي على هذه الدراسة مزيدا من المصداقية. على الرغم من ذلك لم أجد دراسة علمية مُتخصصة تناولت الأصول الأسطورية للمرأة في ألف ليلة وليلة.

أما دراسات القدماء فقد كانت دراسات نقدية أدبية دون الإلمام بأهميته في مواقع معينة، وإنني تطرقت إلى موضوعٍ لم يتطرق إليه أحد، وهنا تكمن صعوبة هذه الدراسة؛ حيث ربطت بين أساطير العالم القديم وألف ليلة وليلة وعودتها إلى عشتار الإلهة الأم الكبرى.

أما المنهج الإجرائي المتبع فكان عبر إجراء مسح شامل لمجمل حكايات ألف ليلة وليلة، وملاحظة الرموز العشتارية والأساطير العربية.

تكمن مشكلة الدراسة في أنها تغوص في أعماق الأساطير الموجودة في الليالي، لذا فهي تجيب عن الأسئلة الآتية:

- كيف تجلت عشتار في حكايات ألف ليلة وليلة بثنائيتها اللونية البياض والسواد؟

- كيف ارتبطت المرأة بالأسطورة والمعتقدات القديمة؟

- ما طبيعة المكانة التي احتلتها المرأة في حكايات ألف ليلة وليلة؟ وهل كانت حاضرة برموزها الأسطورية، أم جاءت صورتها سطحية خالية من الرموز والمعتقدات؟

_ هل كتاب ألف ليلة وليلة يمت إلى الموروث الأسطوري بصلة؟

_ هل كتاب ألف ليلة وليلة له علاقة باللاشعور الجمعي، وبالمرأة برموزها الأسطورية؟

وتتجلى أهمية الدّراسة في:

1_ تنبع أهمية هذه الدراسة من كون المرأة من النماذج الإنسانية التي تدخل في كل حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة. وغالباً ما تكون أحداث الحكاية من مغامرات، وخوارق، وعادات، وأعاجيب عن المرأة.

2_ كتابُ "ألف ليلة وليلة" بوصفِهِ فكراً إنسانياً يدخل في اللاشعور الجمعي، من هنا تغدو أهميته الأسطورية.

3_ هي أول دراسة تحاول تجذير صورة المرأة في "ألف ليلة وليلة"؛ لتتخطّى حدود الدراسة التقليدية، فتغوص في أعماق الأساطير التي تركت أثرا كبيرا في مخيلة الإنسان.

4_ تكتسب الدراسة أهميتها من رصد الأمثلة على لسان قائليها في الحكاية، وهو ما يضفي على هذه الدراسة مزيداً من المصداقية.

5_ ارتباط كتاب "ألف ليلة وليلة" بعالم السحر والخيال، والأساطير المتنوعة والحكايات المختلفة لأمم وشعوب متباينة متقلبة بين عصور متتالية.

6_تبرز الدراسة ثنائية عشتار: بوجهها الأبيض، حين تكون إلهة الخصب، والنماء، والجنس، ووجهها الأسود حين تكون إلهة الحرب، والموت، والدمار.

أما أهم مصادر الدراسة ومراجعها؛ فقد سبقت هذه الدراسة دراسات أسهمت في بنائها واكتمال موضوعها، أوصلت بدورها لمثل هذه الدراسة المتأنية المتخصصة في عشتار بوجهها الأبيض ووجهها الأسود، ومن هذه الدراسات والبحوث:

*** لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، فراس السّواح**

يعد هذا المرجع من المراجع المهمة للبحث؛ فله قيمته التاريخية العالية، ينطلق فراس السواح في رحلة عبر التاريخ الإنساني فيقدم بحثا وافياعن شخصية الإلهة الأم والإلهة الكبرى عشتار في النسق الميثولوجي السوري البابلي، ومتوازياتها في الثقافات الكبرى المجاورة؛ على اعتبار أن الديانات بدأت عشتارية.

*** صدى عشتار والآخر في الشعر الجاهلي، إحسان الديك**

هو بحث محكم للدكتور إحسان الديك، يعد من المراجع النثرية المهمة للدراسة، حيث يشير إلى صورة الأم الكبرى عشتار ربّة الجنس والجمال والحب، ويفّسر بعض رموزها وطقوسها عند العرب. ويعالج فيه الكاتب الكثير من الرموز الأسطورية للعديد من دارسي الميثولوجيا.

*** صورة المرأة المثال ورموزها الدينيّة عند شعراء المعلقات، طه غالب عبد الرحيم طه.**

رسالة ماجستير_ جامعة النجاح الوطنية، جمع فيها الباحث شتات الأساطير الدينية الساميّة والغربيّة ووقف على الحضور المتمثل بالمرأة المثال في المخلفات الحضارية القديمة من خلال إعادة قراءة نتاج شعراء المعلقات.

*** معجم الأساطير، ماكس شابيرو، تر:حنّا عبود.**

هذا الكتاب رحلة استكشاف في مجاهل الفكر الأسطوري البشري، وبحث عميق في مكنوناته ودلالاته؛ فيرصد بشكل علمي دقيق أشهر الأساطير لدى معظم الشعوب، ويتناول أساطير اليونان والرومان والمصريين، وميثولوجيا الشرق الأدنى. وَيُعدّ خير مرجع للباحثين والمهتمين لِدراسة الميثولوجيا والآداب الشعبية.

*** قاموس الخرافات والأساطير، طلهر بادنجكي.**

يمثل هذا الكتاب قاموساً للخرافات والأساطير، يتناول الآلهة والأساطير، وقد رُتِّبَ القاموس ترتيباً ألفبائِياً.

*** استلهام ألف ليلة وليلة.**

مجلة فصول القاهرية المرموقة تخصص عددها الأخير بأجزائه الثلاثة في عام 1994م، لموضوع "ألف ليلة وليلة"، وتأثيرها على المخيلة الإبداعية من خلال الأعمال التي استلهمتها.

والعدد مُهدى إلى الكاتبة القديرة الدكتورة سهير القلماوي بوصفها رائدة في مجال دراسة ألف ليلة وليلة. ومع أن فصول خصصت عددا سابقا للمحور نفسه، فإن عـددها الثالـث هـذا يكتسب أهمية خاصة بحكم احتوائه شهادات عدد كبير من المبدعين الذين تأثروا بـ "ألف ليلـة وليلة"؛ مثل: سمر عطار، وسليمان العطار، وأحمد درويش، ومحمد رجب النجـار، وسـاندرا ناداف، وحسن طلب، وأميمة أبوبكر، ومنى مؤنس.

*** من وحي ألف ليلة وليلة، فاروق سعد.**

تناول الكاتب صفحات قليلة عن المرأة بصورها المتعددة، ومن هـذه الصـور المـرأة الملكة، والجارية، والجنية، والمحاربة، والشابة، والعجوز الساحرة الشريرة، ولم يتنـاول هـذه الصور بالتفصيل بل اكتفى بذكرها فقط.

واقتضت طبيعةُ الدراسةِ أن تكونَ في: مقدمةٍ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمةٍ حَسب الآتي:

تحدثتُ في المقدمةِ عن أهمية الدراسة، والهدف من اختيارها، والمنهج الذي اتّبعته فـي معالجة حكايات ألف ليلة وليلة.

وعرضتُ في التمهيد: " حضور الأسطورة في "ألف ليلة وليلة"، وقسمته إلى مبحثـين، عُني المبحثُ الأولً ب" أصل تسمية "ألف ليلة وليلة"، وتناول هذا المبحث آراء أهل الأدب والنقد في أصل تسمية ألف ليلة وليلة. والمبحث الثاني "أسطرة الكتاب". هذا الكتاب الذي حظي باهتمام الكثير من الأدباء.

أما الفصل الأول فقد وُسم ب: " الأصول الأسطورية للمرأة في فضاء ألف ليلة وليلـة"، حيث انقسم الفصل إلى مبحثين، عُني المبحث الأول منه بالحديث عـن "المـرأة فـي الفضـاء الزماني"، والمبحث الثاني عُني بالحديث عن "المرأة في الفضاء المكاني"، وهو" الفضاء الجوي"، و"الفضاء الأرضي"، و"الفضاء البحري".

وتناول الفصل الثاني الذي جاء بعنوان:"التجليات الموضوعية لعشتار فـي ألـف ليلـة وليلة"، حيث انقسم الفصلُ إلى ثلاثةِ مباحثٍ رئيسية، وقد عُني المبحـثُ الأولُ بالحـديث عـن

"الجنس الأسطوري في ألف ليلة وليلة". وعرضتُ في المبحث الثاني "الجمال الأسطوري فـــي ألف ليلة وليلة"، والمبحث الثالث "الحب الأسطوري في ألف ليلة وليلة".

أما الفصل الثالث فقد وُسِمَ بـــ: "التجليات الشخصية لعشتار في ألف ليلة وليلة". وجـــاء فيه رصد تجليات عِشتار في وجهها الأسود وكيف بدت كسيدة الموت والرعـــب. وقـــد انقســـمَ الفصلُ إلى خمسةِ مباحث هي: "الساحرة في ألف ليلة وليلة"، و"الجنية "،و"الأفعى"، و"المحاربة"، وأخيراً "الكاهنة".

وأنهيتُ بحثي بِخاتمةٍ اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها فـــي هـــذه الدراســـة، وأتبعتُها بقائمة المصادر والمراجع مرتّبةً حسب الحروف الهجائية.

التمهيد

الأسطورة و"ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول: أصل تسمية "ألف ليلة وليلة"

المبحث الثاني: أَسطرة ألف ليلة وليلة

التمهيد

الأسطورة و"ألف ليلة وليلة"

المتأمل في موروثات الأمم القديمة يرى أن الأسطورة مُكون أساس من مكوناتها، فمنذ وجد الإنسان نفسه على سطح البسيطة وهو يعمل جاهدًا لكشف حقيقة الكون، وأصول بداياته، ونتيجة لذلك اعتقد بوجود قوى خارقة تقف وراء تسيير العالم، وتتحكم في مصير المخلوقات؛ لذا عمد إلى تقديسها والتقرب إليها، واجتذاب عطفها، فظهر الدين وتطور بشقيه، الأول: وهو "اعتقاديّ يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة والكشف والفهم، والثاني: طقسيّ، يستهدف استرضاء الآلهة والتعبد لها"[1].

فالأسطورة وسيلة حاول الإنسان من خلالها أن يضفي على تجربته طابعًا تركيبيًا، وأن يلون حقائق الحياة العادية بألوان فلسفة غيبية، وتنبع هيمنة الأسطورة وسطوتها على النفس من كونها تعطي الآدمي إحساسًا بالوحدة بين المنظور والغيبي، وبين الحي والميت، وبين الإنسان وبقية مظاهر الطبيعة[2].

وهي في الواقع "علم قديم يعدّ أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية"[3] وليست من الكلمات المستحدثة في اللغة العربية إنما تعود بجذورها إلى زمن بدائيّ، ويستشف من القرآن الكريم علاقة لها بالخط والكتابة، فهي من السطر، إذ يقول تعالى في محكم تنزيله العزيز: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"[4].

ويبدو أنَّ اللغات العالمية تجمع على تعريف موحد لكلمة الأسطورة؛ فكلمة (MYTH) في الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات، مشتقة من الأصل اليوناني (MUTHAS) وتعني

---

[1] السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ط3، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع،2007م، ص11.

[2] ينظر: السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى**، ط3، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع،2007م، ص21.

[3] زكي، أحمد كمال: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**،ط2، القاهرة: مؤسسة كيلوبترا للطباعة_الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000م، ص44.

[4] **الفرقان**، 5.

قصة أو حكاية[1]، وغالبًا ما ترتبط الأسطورة بوجود طقوس معينة على شكل كلمـات أو أفعـال تعبر عن الصورة الذهنية الموجودة بين ثنايا العقل البشري[2]. وقد يمتزج فيها المقدس بالدنيوي، فالتوحد بين العالمين مستطاع وممكن، ويتم ذلك بنوع من الطقوس تسمى فـي الأنثروبولوجيـا طقوس العبور أو الطقوس الإدخالية[3].

ولا ريب أن الأسطورة في أصلها منبثقة من أحداث واقعية، وبعدها نشأت بالتواتر مـن آلاف الأفواه على شكل قصص مثيرة تتناول تقاليد مستدامة حول حدث بدائيّ عظيم والذي كان بمثابة الأصل، ومن هنا فالدارس للحكايات الشعبية يواجه حقيقة تقرّ بضرورة ولوجه إلى عـالم الأساطير؛ حتى يفهمها فهما سليمًا[4].

ولعلّ أبرز الحكايات الشعبية التي حملت بين ثناياها أساطير عالمية جاءت مجموعة في كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي مزج الواقع بالأسطورة، والحقيقة بما هو غرائبي وعجائبي؛ وذلـك لتشويق المتلقي، وجعله يتسمر ليلًا؛ ليسمع أحداثًا مثيرة تدور حول أبطال خارقين[5].

---

[1] ينظر: السواح، فراس: **دين الإنسان**، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1994م، ص56.

[2] ينظر: السواح: **الأسطورة والمعنى**، ص146.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص146.

[4] ينظر: مباركي، هشام محمد: **قصة الطوفان بين الأسطورة والدين (دراسة تحليلية وصفية)**، ط1،شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2016م، ص25.

[5] ينظر: كحلي، خليدة: **أثر ألف ليلة وليلة في الشعر العربي المعاصر (توظيف الأسـطورة)**، رسـالة ماجسـتير غيـر منشورة، جامعة وهران، الجزائر، 2014م، ص18.

المبحث الأول

أصل تسمية "ألف ليلة وليلة"

تعدّدت آراء الباحثين في أوجه تسمية الحكايات؛ فمنهم من فسّرها على أساس نفسي، ومنهم من بناها على النظّريات والآراء التي قامت حول أصول الحكايات ومصادرها، وهناك من تناولها من منظور الأخبار التي سمعها أو قرأها عن عادات المجتمعات الشرقية وتقاليدها، فهذا (جيلد ميستر) يرى أنَّ سبب التسمية يعود إلى تشاؤم العرب من الأرقام المدورة، مثل: العشرة، والمئة، والألف، وميلهم مع روح اللغة وطبعها إلى الموسيقا اللفظية والسلالة التعبيرية؛ لذا آثر العرب عدم الاقتصار على تسمية ألف ليلة منفردة بهذه الشاكلة، بل أضافوا لها كلمة ليلة، فأصبحت: "ألف ليلة وليلة"[1].

أما (هوروفيتز) فيردّ التسمية إلى تفضيل العرب للأرقام المنفردة[2]، في حين يبني(ليتمان) رأيه في سبب التسمية على إشارة الأتراك إلى العدد الكبير بقولهم: "بن بير" بمعنى "ألف واحد وواحد"، كما يردّ وجه التسمية إلى تأثر العرب بكتابين ذائعي الصيت، أولهما: ألف جارية وجارية، وثانيهما: ألف عبد وعبد[3].

ويعزو أحمد حسن الزيات "زيادة الليلة على الألف إلى فعل القرن السادس، وهي تفيد الإكمال، فالألف عدد تام وإذا زيد عليه الواحد أفاد الكمال، وهي درجة فوق التَّمام"[4].

وهذا علي أصغر حكمت يقرّ أن التسمية العربية تعود إلى أصل الكتاب الفارسي المعروف بـ(هزار أفسان)؛ بمعنى: ألف أسطورة، ويستند في إثباته لوجهة نظره إلى نص

---

[1] ينظر: سعد، فاروق: **من وحي ألف ليلة وليلة**، ط1، بيروت:منشورات المكتبة الأهلية، 1962م، ص19،20.

[2] المصدر السابق،ص20.

[3] يُنظر:المصدر السابق،ص20.

[4] ماي، آمال: **تجليات شهرزاد في ديوان " مالم تقله شهرزاد... وقالته سامية عليوي**"، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة_ الجزائر،كلية الآداب واللغات، 2011م،ص59.

المسعودي حين قال:" مثل كتاب هزار أفسان، وتفسير ذلك بالعربية ألـف خرافـة، والخرافـة بالفارسية، يقال لها أفسانة، والناس يسمّون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة"[1].

وربما يعود سبب التسمية إلى عهد قديم عُرفت فيها حواء باسـم (ليليـث) السـومرية شيطانة الليل، و(أستير) الواردة في ليالي "ألف ليلة وليلة" ما هي إلا معادل موضوعي (لليليث) أم قابيل، وهو أول مجرم عرفته البشرية، ومن نسله جاءت قبيلة القينين التي ينحدر منها اليهود، وتصور المرويات القديمة (ليليث) على أنها إلهة، مخلوقة من جنس مغاير لجنس البشر[2].

وأيًّا يكن من أمر، فإن التسمية التي اتفق عليها هي "ألف ليلة وليلة"؛ وعليه فإن كتـاب "ألف ليلة وليلة" تعدى الحدود الإقليمية والجغرافية، فارتحل وجاب البلـدان، وتحـدّى غضـب البحار وتلاطم الأمواج، فما زالت رحلاته مستمرة، تزداد طلبات الأميرة فيها مرّة بعـد مـرّة، وتصرّ على تحقيق أهدافها، وقد بقيت الليالي وهي تجوب الأصقاع محافظة على إطارها العام، وقيمتها الفنيّة والأدبية[3].

---

[1] سعد: **من وحي ألف ليلة وليلة**، ص20.

[2] ينظر: البدري، جمال: **الأحزاب الدينية الإسرائيلية (الجذور، التاريخ، النشأة، التطور)**، رسالة ماجستير غير منشـورة، جامعة بغداد، 1996، ص24_ 29. نقلاً عن: البدري،جمال: اليهود وألف ليلة وليلة" دراسة تحليلية نقديَّـة مُقارنـة مـن الأعماق إلى الآفاق،سوريا:صفحات للدراسات والنشر،2007م،ص85.

[3] ينظر:ماي، آمال: **تجليات شهرزاد في ديوان " مالم تقله شهرزاد... وقالته سامية عليوي**"، رسالة ماجستير، جامعـة محمد خيضر، بسكرة_ الجزائر،كلية الآداب واللغات، 2011م، ص59.

المبحث الثاني

أَسطرة ألف ليلة وليلة

تدور أحداث كتاب "ألف ليلة وليلة" حول ملك فارسيّ يُدعى شهريار، كــان إذا تــزوج امرأة بات معها ليلة واحدة ثم همّ بقتلها في صبيحة الغد، غير أنه تزوج ذات مرة بجارية مــن أولاد الملوك ممن لها فطنة ودراية بأمور الحياة، يُقال لها شهرزاد، التي بدأت تلقي القصــص المثيرة على مسامع الملك، ومن فرط ذكائها كانت إذا تناولت قصة ما تلاعبت فــي أحــداثها، وجعلتها تطول حتى ينقضي الليل؛ الأمر الذي جعل الملك يستبقيها عنده حتى يسألها في الليلــة الثانية عن تمام القصة، وظل الأمر على هذه الحال إلى أن أتى عليها ألف ليلة، فرزقــت منــه بمولود، فمال إليها واستبقاها[1].

ويتمحور الكتاب حول ثنائية الخير والشر التي شغلت بال الإنسان وأرّقته منذ وجــوده على سطح البسيطة، ويبرز أثرها في القصص والحكايات التي نقلت القارئ إلــى عــالم فريــد تمتزج فيه الأسطورة بالواقع، والحقيقة باللاحقيقة، عالم يعجّ بالمتناقضات؛ فتارة يدور الحــديث عن السحر، والجن، والعفاريت، والمردة، والبخلاء، والملحدين، والقتلة، وتارة أخرى تحضــر الملائكة، ويحضــر الطيبــون، والكرمــاء، والأتقيــاء، فــالغني موجــود، والفقيــر كــذلك، والصالح،والطالح، والفلاسفة والشعراء، والأطباء، والحكام، والوزراء.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل صال الكتاب وجال في ربوع المجتمعــات وصــوّر تقاليدها وعاداتها، وعرّج على عالم الطبيعة من شجر، وحجر، وما فيها من حيوانات؛ حيث ذكر أحجامها، وأشكالها، وألوانها، وصفاتها.

ولعلّ المرأة حازت على القسم الأهم في الكتاب، فقد ظهرت زوجــة، وأختــاً، وأمــاً، وحبيبة، وفيّة، أو خائنة، صديقة، أو عدوة، وجاء الرجل مقابلها بصورة سعيدة، أو شقيّة، شهما كان، أو نذلًا.

---

[1] ينظر: ابن عميرة، ماجدة: **شهرزاد بين الأسطورة والنقد**، ط1، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي، 2015، ص38،39.

والمتأمل في طيّات الكتاب يرى أن حكاياته حملت بعدًا أسطوريًا من حيث بناوه الفنّي، وشخصياته المتداولة، وفكرته الأساسية التي حضر فيها العنصر الخارق بصورة لافتة للنظـــر، فراوي الحكايات فنان ذو موهبة فذّة، زجّ بمناخه الثقافيّ والفكريّ في حواشـــي الكتـــاب، فهـــو يتناول العنصر الخارق بطريقة تدهش القارئ الذي يظل منبهرًا منه، دون أن يفهم بعده بصورة مباشرة، بل يحتاج إلى تدقيق وتمحيص، وعودة إلى أساطير الأمم القديمة[1].

واللافت للنظر في تلك الحكايات أن كلا منها لا يتجاوز بضع صفحات، كُتبـــت بلغـــة قريبة من الدارجة، ولم تخلُ من العنصر الفكاهي،على اعتبار النهايات السعيدة التـــي حملتهـــا للقارئ، كما جاءت على لسان شهرزاد الوثنية، تزعم فيها أنها تتحدث عن أحداث ماضية، وهي في الحقيقة تتنبأ بأحداث قادمة، تزخر بالمخاوف والكوارث، ويظهر عنصر التفاؤل في نهايـــة الحكايات؛ إذ تظهر النتائج مبهجة، ويمكننا القول إن الموضوع العام لـــ" ألف ليلة وليلـــة" هـــو تاريخ العلاقة بين ملكة وثنية والشرائع السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلامية[2].

وتعود جذور الحكايات إلى وجود ملكين من بني ساسان الأول، عُـــرِف الأول باســـم: شهريار، والثاني: شاه زمان، شاء القدر أن يقعا ضحية خيانة زوجتيهما، "فزوجة شاه خان خانته مع عبد أسود، أما زوجة شهريار فكانت خيانتها مع عبيدها وجواريها في حديقة القصر"[3]. فيا له من فعل فاضح يدفعهما للرحيل عن مملكتيهما، إلّا أنهما يفاجأن بمشهد يبعث الدهشة في النفس، وذلك حينما تخون فتاة الصندوق العفريت مع عدد كبير من الرجال، فيـــدركان أن مصـــيبتهما تهون أمام مصيبة العفاريت، وبعد ذلك يقرّران العودة إلى مكانيهما الأول. وهكذا، بدأ مسلســـل القتل الدموي على يدي شهريار انتقامًا من فتيات المملكة، وظل مستمرًا طيلة ثـــلاث ســـنوات، حتى ظهرت شهرزاد، ونذرت نفسها في محاربة هذا العنفوان الهائج؛ لإنقاذ بنات جنسها، عبـــر القصص المثيرة التي تدور حول المرأة طيلة أحداثها، لينتهي الأمر بشفاء شهريار مـــن عقدتـــه النفسيّة، وتتمكن شهرزاد من الفرار هي وبنات جنسها من أفعاله[4].

---

[1] ينظر: رايد، إيان: **القصة القصيرة**، تر: منى مؤنس،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص127_142.

[2] ينظر: كحلي: **أثر ألف ليلة وليلة في الشعر العربي المعاصر (توظيف الأسطورة)**، ص22.

[3] ابن عميرة: **شهرزاد بين الأسطورة والنقد**، ص49.

[4] ينظر: ابن عميرة: **شهرزاد بين الأسطورة والنقد**، ص49.

فالمرأة بجبروتها وقوتها شكلت لشهريار عقدة مظلمة، بدت بطريقة يصعب الفكاك منها، فهي خائنة، كيف لا؟ والجن أنفسهم لم يتغلبوا على مكرها، إذ يقول المثل الشعبي: " "كيد النسوان غلب كيد الشيطان"[1].

وَجاءت شهرزاد وغيرت هذه النظرة العميقة في وجدان شهريار، وجعلت النساء في صورة الطفل البريء الذي لا يقوى على القيام بأفعال شريرة؛ وعليه فإنَّ شهرزاد في الليالي مثلت أسطورة "إيزيس"؛ فهي إلهة المعرفة والحكمة، نذرت نفسها للدفاع عن بني البشر واستمرار عملية الإخصاب الكوني، أما شهريار فقد مثَّل إله القتل والدمار العبراني "يهوه"، فالبشر رهن لسيفه الفاتك ومشيئته القاسية[2].

وتعود جذور الحكايات في "ألف ليلة وليلة" إلى مصادر عربية إسلامية؛ حيث ذكر الكثيرون من الثِّقات من أهل الجزيرة أنه في الوقت الذي كان الناس يعبدون الأوثان، وكانت تظهر لهم في كل شهر روح شريرة من الجن، تأتي عبر البحار على شكل سفينة مليئة بالمشاعل الملتهبة، وكان الشغل الشاغل للناس البحث عن فتاة عذراء صغيرة، يزينونها ثم يسوقونها إلى معبد وثني معين على الساحل، وله نافذة تُطلُّ على البحر، فيتركون الفتاة هناك طوال الليل، وعندما يعودون إليها في الصباح كانوا يجدون أنها فقدت بكارتها وفارقت الحياة. وكان الناس يسحبون القرعة في كل شهر، فمن وقعت عليه القرعة، وجب عليه أن يتنازل عن ابنته لجني البحر، وظل الحال كذلك حتى جاء رجل صالح سعد الدين أو مخلص أو من البربر وأمكنه أن يخلص آخر فتاة قدمت بهذه الطريقة إلى ذلك العفريت، وأن يطرد العفريت ذاته إلى البحر بتلاوة القرآن عليه[3].

وتكمن أسطورة شهرزاد في كونها امرأة خارقة تدبّ الحياة في الجنس البشري، وتعطي الخصب والأمل للمرأة العاقر، وهي تدخل ضمن الأسطورة الأدبية الأنثوية "التي هي حكايات

---

[1] إغباريّة، رضا أحمد: **المبين في أمثال فلسطين، ط1،حيفا: مكتبة كل شيء**، 2016م، 544/2.

[2] ينظر: الكنز، نظيرة، **التناصية وألف ليلة وليلة (الموقف الأدبي)**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، ع 417، ص59.

[3] ينظر: عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، القاهرة: مكتبة مدبولي،1990م، ص 364.

مقدّسة، أبطالها نساء خارقات قويّات بارزات الحجة والبيان، أثبتن وجودهن في مجتمعاتهن إلى درجة أن الكثيرات برزن إلى الوجود عندما عجز الرجل عن أداء المهام المنوطة به، وقد أنجبهن الخيال البشري"[1].

ويمكن إسقاط شهريار على الأسطورة الإغريقية "خرونوس" الذي سيطر على العالم بأكمله، وكان إلهًا شديد القوة؛ فقد ابتلع أولاده وحرمهم من الحياة، وظلّ فعل القتل على هذا الحال حتى جاء الابن الخامس لخرونوس، المعروف بالإله زيوس-إله السماء الأعظم الذي يمثل شهرزاد، فعندما شبّ، استطاع الإفلات من مصيره المحتوم؛ حيث حارب أباه وانتصر عليه؛ وبهذا عمّ الرخاء وساد البشرية جمعاء[2].

وتمثلت بداية الليالي بزواج الملك شهريار بابنة وزيره شهرزاد؛ لذا سميت هذه الحكاية بحكاية الإطار؛ كونها الأم أو الأصل الذي علا الحكايات واحتواها، ووصل ما بين أجزائها بخيط رقيق، واللقاء بين شهريار وشهرزاد في حكاية الإطار؛ يُجسّدُ صِراعًا دائما بين الحياة والموت، والخير والشر، فالملك المهزوز إثر خيانة زوجته، يحاول قتل النساء بعدها، غير أن شهرزاد تمكنت من السيطرة عليه بفضل قراءتها الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضية، وتوظيفها على شكل حكايات غرائبيّة وسحريّة رائعة؛ بغية تحقيق أهدافها بإبقاء بنات مدينتها على قيد الحياة، وتوارت بشخصيتها وراء القصص والأحداث ليبقى صوتها الدافئ الناعم طوال الليالي، قبل أن يدركها الصباح فتسكت عن الكلام المباح[3].

ويعدّ مبدأ القصّ جوهرياً في سلسلة "ألف ليلة وليلة" بوصفه فتنة مطلقة، فقد درج شهريار يقول لشهرزاد كل ليلة: احكِ حكاية وإلّا قتلتك[4]، وتحمله أحداث الحكاية العذبة إلى المكوث بجانبها، وعندما تنام يعانقها حتى الصباح، ويصبر عليها حتى يعرف مصير أبطال

---

[1] الكنز، نظيرة: **الأسطورة الأنثوية المفاهيم والحدود الجمالية**،ص18.

[2] ينظر: الموسوي، هاشم عبود، **العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم**، ط1،عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع، 2011م، ص193.

[3] ينظر: كحلي: **أثر ألف ليلة وليلة في الشعر العربي المعاصر (توظيف الأسطورة)**، ص22.

[4] يُنظر: الخطيبي، عبد الكبير: **في الكتابة والتجربة**، تر: محمد برادة، ط1،بيروت: دار العودة، 1980م، ص111.

الحكاية الذين تعاطف معهم، والذين يتوحدون معه في واقعه القــديم؛ إذ كـــانوا فريســـة لغـــدر زوجاتهم وخيانتهن.

والمتأمّلُ في الكتاب يرى أن شخوصه أذكياء بالفطنة؛ فهم يلجؤون إلى إنقـــاذ أنفســـهم، ومن يحبونهم إذا كانوا فريسة للظلم، فقبل أن يُقدِم شهريار على قتل شـــهرزاد، تظهـــر أختهـــا دنيازاد لتطلب منها أن تقصّ حكاية، وهذا ما كانتا قد اجمعتا عليه قبل القدوم إلى قصر الملـــك: "بالله عليك يا أختاه حَدِّثِينَا حديثًا نقطع به سهر ليلتنا، فقالت: حبًا وكرامة إن أذن لي الملك"[1].

وإذا كان الغموض سر الأساطير؛ فإنَّ نصوص الليالي غامضة متشابكة الخيوط معقّـــدة المسالك، إنّها نسيج متواصل، متداخل وممتع، ومما يساهم في أسطرة الليالي موتيفات الخوارق التي تشكل جزءًا كبيرًا من عالمها، ففي إطار بحث الأبطال عن تحقيق أهدافهم المرجوّة تعلـــقٌ بقوى غامضة غيبية، وإيمان بالسحر والمشعوذين والدّجّالين[2].

ويمكن القول إن أسطورة "ألف ليلة وليلة" ما هي إلا انعكاس جليٌّ للفـــردوس المفقـــود، فآدم وحواء سقطا من الجنة بعد أكلهما من الشجرة المحرمة؛ وهذا دليلٌ على حب الاســـتطلاع والفضول الأخّاذ[3]، وكذلك شهرزاد دفعها فضولها لخوض التجربة والعيش في أحضان شهريار؛ كي تروضه وتمنعه من قتل نساء المملكة.

وهناك من رأى من الباحثين في حكايات "ألف ليلة وليلة" امتدادًا لما ورد في الملحمـــة الهنديّة الكبرى "المهابهارتا"[4]؛ ففيها امرأة تدعى "داربودي" كان زوجها يلعـــب القمـــار؛ خســـر أمواله حتى وصل به الأمر إلى تجريد زوجته من ثيابها، غير أنها كانت تتوسل للإله كريشـــنة؛

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، مجلد1،ط1، بيروت_ لبنان: دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع،1981م_1401م،ص11.

[2] المصطفى، مويقن: **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**، ط1، دمشق: دار الحوار،2008م، ص44.

[3] ينظر: بكر، أحمد حسين، **المرأة دورها وخلقها الاجتماعي**، ط1،بيروت: فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016م، ص59.

[4] المهابهارتا: ملحمة حماسية تقبلت في صميمها معتقدات القبائل الهندية وتعاليمها؛ ولذلك جمعت بين طيّاتها خليطًـــا مـــن التاريخ والميثولوجيا والقانون والفلسفة. ينظر: كرشنا، رادا، و شارلز مور: الفكر الفلسفي الهندي، تر: نـــدرة اليـــازجي، بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، 1967م، 151،152.

كي يمنعه من فعل ذلك، فكان كلما أراد أن ينزع ثيابها طال القماش بين يديه، وفي ذلك تشـــابه بين استطالة القماش وما كانت تفعَلُهُ شهرزاد وهي تُحاول الــتخلص مــن جريمــة شـــهريار باستطالتها في الكلام[1].

ويبدو أن أسطورة جلجامش تتقاطع في كثير من سطورها مع خطاب الليالي؛ ففي ملحمة جلجامش تظهر صورة الملك العربي (عمليق) مطابقة لشهريار، وذلك وفقا لما جاء في الــنص الآتي:

"قال الرجل لإنكيدو

لقد اقتحم جلجامش بيت الجماعة

وجلب العار على المدينة

فارِضاً على البلد عادات مشينة.

لأجل جلجامش، ملك أوروك ذات الأسواق،

طَبل الناس يُقرع،

لاختيار العروس

يطأ العرائس المنذورات للزواج"[2].

فإذا كان شهريار يأمرُ كل ليلة بقتل عروسه، فإن عمليق العربي وجلجامش الســومري يقومان رمزياً بعمل مماثل، وهو فض بكارة العرائس قبل زفافهن؛ وهذا يعني أن عناصر عــدّة عربيّة قديمة، سومرية، ثم يونانية وهندية هي التي شكّلت الخطاب الأسطوري الخاص لليالي[3].

---

[1] ينظر: المصطفى، مويقن: **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**،ص 13.

[2] السواح، فراس: **جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة** "**دراسة شاملة مع النصوص الكاملة واعداد درامي**" ط2، سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002م، ص131

[3] ينظر: الربيعي، فاضل: **أبطال بلا تاريخ (الميثولوجيا الإغريقية والأساطير العربية)**، ط1، دمشق: دار الفرقد للطباعــة والنشر، 2005م، ص111،112.

وتعد أسطورة الدانيدات خير مثال على قتل شهريار للفتيات؛ إذ يـــرد فيهـــا أن بنـــات دانوس الخمسين عبدن في أرغوس حوريات أنهار وينابيع. عوقبن بأن ينقلن الماء بجرار مثقوبة في العالم السفلي إلى الأبد؛ لذبحهن أزواجهن ليلة الزفاف؛ لأنّهن أكرهن على ذلك مـــن أبنـــاء إيجيبتوس الخمسين باستثناء هيبر مستر [1].

ولعلّ قيمة الليالي ليس فقط في أسطرتها ومواضيعها الغنيّة، بل وصلت إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فقد حضنها التراث العربي بأكمله، وجعل من موضوعها الرئيس والدائر حول القتـــل والموت أساسًا لحكاياته؛ ففي جنوب السودان على سبيل المثال لا الحصر، هناك حكاية شـــعبية تتحدث عن عادة قتل الملوك التي كانت سائدة في مملكة تُدعى كوردفان كانت من أغنى الممالك الإفريقية، وكان ملكها من أغنى ملوك الأرض، غير أنه كان من أتعس الناس؛ وذلك لأن مـــدة حكمه وحياته كانت محددة بفترة زمنية قصيرة لا يعلمها إلا الكهنة، الذين يتـــابعون تحركـــات النجوم في السماء؛ لمعرفة الوقت الذي يتوجب فيه قتل الملك؛ فإذا حلّ الموعد قام الكهنة بإجبار الملك على الموت، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى اعتلى العرش فتىً في ريعان شـــبابه، يُسمى "أقف" وتم اختيار مرافقيه في رحلة الموت، وعلى رأسهم مساعده "فاريمـــاس"، وأختـــه "سالي"، حيث تم تعيينها في منصب كاهنة النار المقدسة، التي تتجلّى وظيفتها في إبقـــاء النـــار مشتعلة ما دام الملك حيًّا[2].

ويتجلّى التلاقي بين "فاريماس" في الحكاية السابقة وأسطورة شهرزاد فـــي امتلاكيهمـــا القدرة على قصّ الحكايات المثيرة والممتعة التي تشدّ الملك؛ بغية منع القتل وإطالة حياة الملوك؛ ففاريماس استطاع بذكائه أن يجعل الملك وحاشيته يترقبون أحاديثه، ويتركون مراقبة النجـــوم، الأمر الذي أفقدهم القدرة على متابعة الدورة الفلكية التي قاربت على نهايتها، وحين علمـــوا أن

---

[1] يُنظر:عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص116.

[2] ينظر: السواح، فراس، **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ط6، دمشق: دار علاء الدين، 1996م، ص315،316.

فاريماس كان السبب وراء ذلك قرروا الانتقام منه، غير أن المنقذ له كان موت الكهنة جميعًا، فعاش الملك حتى بلغ خوخة وأبطلت من بعده عادة قتل الملوك[1].

ويستمر تأثّر الليالي بالحكايات العربية والإسلامية، وهذا الأمر يبدو واضحًا في الحكاية المصرية الموسومة بـ "بردية وسكتار"؛ وفيها يظهر الملك خوفو من فراعنة الأسرة الرابعة بموازاة شهريار، في حين كان أبناء خوفو التسعة الذين طلب منهم أن يقصوا عليه غرائب من وحي خيالهم صورة طبق الأصل عن شهرزاد في "ألف ليلة وليلة"،أما رواة قصص "وستكار" من أبناء خوفو؛ فقد توحدوا في شخصية شهرزاد [2].

فكما أن شهرزاد في ألف ليلة تقوم على تسلية دنيازاد وزوجها شهريار بقصة تنسج خيوطها كل صباح قبل الفجر، فإنّك تجد الملك المصري آمازيس يدعو من يقص عليه شيئا من قصص الغرام وقد شرب وثمل في الليلة الماضية، وهو يقول صراحة: أنا في حالة سكر شديد لا قدرة لي على أن أشغل بالي بأي شيء في العالم[3]. وقبل عصر آمازيس بقرون نجد الملك سنفرو وقد صوره أحد القصاصين، وهو يدعو في يوم كان يشعر فيه بالضيق، الكاهن "نيفروهو"، فهو أقدر رجل في مصر على القيام بتسلية الملك[4].

وتظهر في ثنايا سطور الليالي عادة موغلة في القدم تتمثّل في تقديم القرابين البشريّة للآلهة الوثنية بإراقة الدماء، أو إشعال النار في البنات والبنين[5]، تقول شهرزاد: "فقالت له: بالله يا أبت زوجني هذا الملك؛ فإما أعيشُ، وإما أكون فداء لبنات المسلمين، وسببا لخلاصهن من بين يديه، فقال لها: بالله عليك لا تخاطري بنفسك أبدا، فقالت له: لا بدّ من ذلك"[6].

---

[1] ينظر: السواح، فراس، **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ص316،315.

[2] ينظر: طلب، حسن، **إيزيس خلف قناع شهرزاد (أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره)**، فصول مجلة النقد الأدبي،ج2،ع1،مج13، 1994م، ص232.

[3] يُنظر:المصدر السابق،ص233.

[4] يُنظر: طلب، حسن، **إيزيس خلف قناع شهرزاد (أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره)** ص233.

[5] يُنظر: الرشيدي، حلمي بن محمد إسماعيل، **إرواء الظمآن بأخبار الشيطان**، ط1،طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم، 2012م، ص194.

[6] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص9.

فشهرزاد الأسطورة مثالٌ للمرأة الذكيّة والفدائية التي ضحّت بنفسها للحفاظ على بنات جنسها، والحفاظ على الجنس هو حفاظ على الحياة والاستمرارية، وهو بعث من جديد، بل هو تيار فكري يشير إلى البعث بعد الممات؛ فشهرزاد بعثت الحياة في شهريار من جديد، وخلّصته من عقدة القتل[1].

والناظر في أمر الموءودة منذ فجر التاريخ يجد كثيرًا من النساء مؤهلات للوأد لكنّهنّ نجين بفضل ما قدّم من حيوانات فدية لهن[2]، ففكرة الإيثار البشري من أجل تخليص الضحية موجودة في الفكر البدائي القديم، وما شهرزاد إلا امتداد لذلك الفكر.

والنظرة إلى المرأة منذ القديم هي نظرة أسطورية حيثُ كانت ربة الخصب والنماء، وسميت الأرض بالأم لاشتراكها مع المرأة في الخصوبة؛ فهي الشمس، وهي عشتار، وهي ربة العطاء وهي الحياة؛ ونجد هذه الصورة ماثلة في شهرزاد.[3]

وهذه أيفينجي اليونانية تُمثل أنموذجا مثاليا للأنثى القربان؛ فهي عذراء، وجميلة، من بيت نبيل، بلغت عمر الزواج فتقدم البطل أخيل لخطبتها، لكن الآلهة طلبتها قربانًا فرضيت اليونان بالأمر، ووافق والدها أغاممنون بذلك، وكانت فداء لجنسها[4].

وكانت العرب تتقرب إلى العزّى -التي تعّد أعلى الثالوث الصنميّ شأنًا- عن طريق تقديم الذبائح لها[5]،وقد جاء في "معجم البلدان":" أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكرها يومًا، فقال: لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي"[6]، وفي أسطورة الزهرة يُقدم الأطفال

[1] ماي، آمال: **تجليات شهرزاد في ديوان " ما لم تقله شهرزاد قالته: سامية عليوي،" دراسة نقدية أسطورية**، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة محمد خيضر_ بسكرة_ الجزائر، 2011_2010م. ص129.

[2] ينظر: السعفي، وحيد، **القربان في الجاهلية والإسلام**،تونس: تبر الزمان، 2003م، ص27.

[3] ينظر: ماي: **تجليات شهرزاد في ديوان " ما لم تقله شهرزاد قالته: سامية عليوي**"،ص181.

[4] ينظر: السعفي، **القربان في الجاهلية والإسلام**، ص30.

[5] يُنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**،ج4، بيروت: دار صادر،116؛نقلاً عن: يُنظر:سلمان، نادية زياد: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير منشورة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2015م، ص64.

[6] ينظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت: **معجم البلدان**، ج4، ص116؛ ومسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1994م، ص116.

قرابين، ويشترط فيهم أن يكونوا على درجة عالية من الجمال؛ لأنَّ الزهرة من أجمل الكواكب؛ يؤكد ذلك ما جاء في نص حراني: " إننا نحضر لك قربانا يشبهك"[1].

ومّما سبق، يمكن الاستنتاج أن شهريار في "ألف ليلة وليلة" شَكَّل إلهًا تُقدّم القرابين النسائية له؛ فوأد النساء تقرّبًا للآلهة ممارسة دينية قديمة اشتهرت في الجاهلية على نطاق واسع.

وإذا كانت شهرزاد قد قدمت نفسها فداءً لبنات مملكتها، فإنَّها استطاعت بحنكتها وذكائها الخارق أن تروض ذاك الوحش المفترس الذي يدعى شهريار كما ورد في حكاية "التاجر والجني والشيوخ الثلاثة"،كما روضت البغي أنكيدو في ملحمة جلجامش فانتقلت به من حالته الهمجيّة والدموية إلى حالة حضارية تدفعه لأن يعفو عنها، وعن نساء مدينتها، وكأنَّها تقول له: إذا كان الجنّي الباطش الظالم الذي قُتل ولده قد رقَّ ولان وعفا عن التاجر القاتل، فلماذا لا تتخلّى أنت أيها الملك عن بطشك ودمويّتك، وتعفو عني[2].

وفي الحكايات إسقاط واضح لشهرزاد على النسوة ودياناتهنَّ، فقد حضرت المرأة العربية بإشارات واضحة حول عاداتها وتقاليدها، وكذلك المرأة النصرانية، والفارسية، والزرادشتية... غير أن المرأة اليهودية لم تحضر في الحكايات بوضوح، ولعلّ اختفاءها تسامٍ لها على غيرها من نساء الأمم والديانات الأخرى، وبالرغم من ذلك فإن لشهرزاد ما يناظرها في التاريخ اليهودي، يتضح ذلك في زواج الملك الفارسي (الأخميني) من أخت زوربا بيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير، والتي استطاعت بدهائها تحقيق آمال اليهود بالعودة إلى أورشليم وعمارتها[3].

وتُعرف شهرزاد في الأوساط اليهودية باسم أستير، فالتوارة تروي حكايتها مع الملك الأخميني أحشويرش الأول، وكيف استطاعت التوسط لديه لتخليص اليهود من الإبادة الجماعيّة، فقد تمكن الوزير هامان الفارسي من إقناع ملكه بضرورة التخلص من اليهود، إلا أن أستير ظهرت مُنقذةً للشعب اليهودي، حين دخلت على زوجها أحشويرش، وأقنعته بالعفو عن اليهود،

---

[1] ينظر: عبد المعطي، إسماعيل محمد: **الأسطورة والرمز في الشعر العربي القديم**، ط1،القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر،2006م، ص105.

[2] ينظر: يونس، محمد عبد الرحمن، ***سلطة القتل في ألف ليلة وليلة***، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع12،2006م، ص275.

[3] ينظر: باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**،بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1955م، ص299.

حتى تحولت هذه المناسبة إلى عيد يحتفل به اليهود كلّ عام في الرابع عشر والخامس عشر من آذار، ويُعرف بعيد البوريم[1]، فهذه الحكاية تتطابق مع حكايات الليالي من حيث سلطة الأنثى على الرجل، وجعله يتماهى مع أهدافها.

فنحن أمامَ قناع جديد من أقنعة إيزيس، وَهي شهرزاد بطلة "ألف ليلة وليلة"، على أنــه قناع يخفي وراءه الوجه الحقيقي القديم، الذي هــو النمــوذج الأصــلي لكــل امــرأة تتحــدى المصاعب،وتقتحم المخاطر؛لإقرار الأمان واستعادة الحق، كما لم نتعود أن ننظر إلى شــهريار على أنه الإله (ست)، وقد عاد إلى أصله الآسيوي في زي ملك يقيم كل ليلة طقسا وحشيا بتبرير واهٍ من الرغبة في الانتقام، وهو طقس وحشي يختلط فيه الشبق الجنسي بالعطش إلى الــدماء، بحيث لا يعود القتل وممارسة الجنس سوى مظهرين لفعل نفسي تدميري واحد، وهو فعل ترتفع دلالته من مجرد قتل الزوجة التي يبني بها شهريار كل ليلة، إلى إفناء البشر جميعا عن طريــق إفناء النساء، بما يحول دون التزاوج والتناسل قاطبة[2].

ويحيلنا هذا الفعل الشهرياري العدمي إلى أسطورة إنقاذ البشرية من الفناء التي تعلق بها المصريون، فتناقلوها عبر الأجيال، ونقشوها على جدران مقابرهم؛ كي يشيروا بها من طــرف خفي إلى الميل الإنساني نحو الشر والمغالاة في الانتقام وحب التنكيل بالآخرين والــبطش بهــم كلما سنحت الفرصة[3].

وإذا كانت عناية (رع) الإلهية قد تدخلت في هذه الأسطورة؛ لتنقذ ما تبقى من البشر من بطش "حتحور"، فإن العناية الإلهية أيضا هي التي أرسلت إيزيس في قناع شهرزاد؛ كــي تنقــذ البشرية من بطش شهريار؛ كأن البشرية لا تكاد تنجو دائما إلا بما يشبه المعجزة في كل مرة من المرات التي تعرضت فيها لخطر الفناء، أو لنقل، بما يشبه السحر[4].

---

[1] ينظر: ظاظا، حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره، ومذاهبه)**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م: نقلاً عن: البدري، جمال: **اليهود وألف ليلة وليلة" دراسة تحليليَّة نقديَّة مُقارنة من الأعماق إلى الآفاق**"، ط1، دمشــق: دار صفحات للدراسات والنشر،2007م،ص84.

[2] يُنظر:طلب، حسن: **إيزيس خلف قناع شهرزاد (أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره)**،ص223.

[3] يُنظر: المصدر نفسه، ص 223

[4] المصدر نفسه، ص 223.

الفصل الأول

الأصول الأسطورية

لصورة المرأة في الفضاء

المبحث الأول: الفضاء الزماني في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الثاني: الفضاء المكاني في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول

الفضاء الزماني في "ألف ليلة وليلة"

زمن البدايات زمن مقدس، وما الطقوس والاحتفالات الجماعيّة التي تقام فيه إلا دليل قاطع على قدسيته[1]، ومجرد أن تبدأ شهرزاد حكاياتها في الليل وتمتدّ بها حتى الصباح، إشارة واضحة على قدسيّة الليل عند القدماء؛ ففيه تنتشر الأرواحُ تَصولُ وتَجولُ في أقطارِ المعمورة؛ إذ يكون الناس في سبات عميق، ويعتقد الإنسان فيه أن عملية التقرب إلى الآلهة أسهل؛ لذا تنتشر الدعوات والابتهالات فيه على نطاق واسع.

والمتأمل في الحكايات وسطورها يستخلص بعضًا من الجمل التي تكرر أهمية الليل وتبين قدسيته، فالليل كان الموعد المثالي حتى يكتشف شهريار خيانة زوجته مع عبد أسود، وهذا يظهر في حكاية "الملك شهريار وأخيه شاه زمان" إذ تقول: "فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجعَ ودخل القصر فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدًا أسود من العبيد"[2].

كما يحمل الليّل بين طيّاته بركات الآلهة، وهو الوقت المفضل لممارسة الجنس والحصول على الإخصاب؛ إذ يرد في حكاية "التاجر مع العفريت" القول الآتي: "ثم باتوا في تلك الليلة متعانقين حتى الصباح"[3]، ويتكرر الأمر ذاته في حكاية " الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم" حيث يرد فيها القول: " فلم نزل في شراب وتقبيل وحظ إلى منتصف الليل فنمنا إلى الصباح "[4].

والليل هو الموعد المفضل لخروج الكهنة والمشعوذين من جحورهم؛ فهم يختبئون في ظل شياطينهم ويمررون أعمالهم السحرية التي تقوم على المراوغة، فالعجوز الكاهنة في حكاية

---

[1] ينظر: عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها**، ط1، بيروت:دار الفارابي،1994م، ص194.
[2] **ألف ليلة وليلة**، 6/1.
[3] المصدر نفسه، 17/1.
[4] المصدر نفسه، 123/1.

"الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان"، ترى في الليل موعدها المفضل "بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت إنها ستجيءُ إليك في نصف الليل"[1].

كما يظهر في حكاية "الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" موعد خروج الجن وانتشارها، حيث تقول الحكاية: "فلما جن الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي"[2]، والحقيقة أن الاعتقاد بأسطورة خروج الجن في الليل ليس مستجداً على واقع حكايات الليالي، بل هو حصيلة اعتقادات الأمم القديمة التي آمنت بشيطانة الليل المدعاة بليليث شيطانة القفار المظلمة[3].

وتكمن أسطورة الليل في كونه مبعثاً للشر وحضور الأعمال الشريرة والخارقة، ففي حكاية "حاسب كريم الدين"[4]، تستغل الجنية شمسة وصول الزمن إلى منتصف الليل حتى تحقق أهدافها وتأخذ ثوب الريش الذي كان يستولي عليه جانشاه، لتطير به بعد ذلك بعيدًا.

ولا غرابة في الشر المنبعث من سواد الليالي؛ فعشتار البابلية كانت تدعو نفسها في بعض النصوص (بسيدة الليل) و(سيدة النواح)، تظهرها الأساطير تارة ابنة لسن إله القمر، وتارة ابنة لآنو إله السماء. فكابنة لآنو؛ كانت عشتار إلهة للخصب والحب ومتع الحياة. وكابنة لسن، حاكم الليل؛ كانت إلهة للدمار وسيدة للحروب والمعارك. من ألقابها (نجمة العويل) التي تختطف الأصحاب وتفرق بين الأحباب، ومن ألقابها (سيدة المعارك)[5].

والسواد في الأساطير يمثل لون زُحل، والظلمة، والنزول إلى العالم السفلي، والأسود جامع للقوى الشيطانية؛ فالحية السوداء، والقط الأسود، والكلب الأسود من أبرز الصور التي يتشكل فيها الجان[6]. إذ يرد في حكاية "أبي محمد الكسلان مع الرشيد" الحية التي ظهرت في

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 15/2.

[2] المصدر نفسه، 320/1.

[3] يُنظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 216.

[4] يُنظر: **ألف ليلة وليلة**، 79/3.

[5] يُنظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص212.

[6] يُنظر: شاهين، ياسمين: **تَجليات الأسطورة في رواية المرأة الفلسطينية في القرن الواحد والعشرين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م، ص109.

المساء: "ولم أزل سائرا إلى أن أمسى لي المساء، إذا أقبل علي حَيَتان؛ واحدة سمراء، والأخرى بيضاء، وهما يتقاتلان، فأخذتُ حجراً من الأرض، وضربتُ الحيَّة السمراء فقتلتها؛ فإنها كانت باغية على البيضاء، فغابت ساعة، وعادت معها عشر حيات بيض، فجاؤوا إلى الحية التي ماتت، وقطعوها قطعا حتى لم يبق إلا رأسها، ثم مضوا إلى حال سبيلهم" [1].

ولهذا يصبح الليل مُعادِلا لِزمن القتل عِوضاً عن أن يكون مُعادِلاً لِزمن الهوى؛ فظلام الليل يستدعي كلا من الحبّ الجنسي والأحداث المحظورة، ولكن شهرزاد امرأة محكوم عليها بالموت عند الفجر، تحكي لنا قِصصاً تُؤجل بها تنفيذ الحكم، إنها حالة شهرزاد التي تأسر وتستحوذ على الانتباه بالقدر نفسه الذي تفعله حكاياتها. فإن البداية النمطية" بلغني أيها الملك السعيد"، والنهاية الثابتة "وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح" لكل ليلة من الليالي في "ألف ليلة وليلة"؛ تذكرنا أساساً بِمأساة شهرزاد[2].

كما تُذكرنا بِرفع لعنةِ الموت المسلطة لا على رقبة شهرزاد وحدها، وإنما على أعناق كل بنات جنسها؛لأن القصص المتنوعة المروية كل ليلة وقبل أن يدرك شهرزاد الصباح، هي التي تتعمد مواصلة إخفاء الرسالة في ثنايا تفاصيلها، وقد حكم عليها بمواصلة السرد؛ لأن التوقف عنه قبل اكتمال الهدف منه سيؤدي إلى موت الرواية، وموت القص معها. فليس لدى شهرزاد ما تخفي به هدفها إلا التفاصيل السردية ذاتها[3].

فالكلام المباح له وظيفة تأجيل الموت، وإضاءة الليل بنور الحكايات حتى تنقشع أمام قدرته المبهرة ظملة الوسواس التي تدفع الملك إلى الزج بعروسه إلى أيدي السياف، والإجهاز بذلك على استمرارية القص نفسه. والكف عن الكلام المباح له كذلك الوظيفة نفسها؛ لأنه يرجئ القص ويعلق الزمن معه، وهو هنا توظيف للصمت ببراعة النص نفسها في توظيف الكلام[4].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 2/ص288،289.

[2] يُنظر: حافظ، صبري: ***جدليات البنية السردية المركبة في ليالي شهرزاد ونجيب محفوظ***، فصول **مجلة النقد الأدبي**، ج3، ع2، مج13،199م، ص24،25.

[3] يُنظر: المصدر نفسه، ص25.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص25.

ولهذه الوظيفة الإرجائية غاية مزدوجة؛ لأنَّها ترجئ الموت المسلط على عنق شـــهرزاد ونصها معاً، ولكنها تؤكد في الوقت نفسه أن هذا الإرجاء هو سر حياة القص وحيويته؛ إذ تربط هذه الوظيفة القص بالليل، والسكوت بالنهار[1].

فكلما أدرك شهرزاد الصباح اكتسبت معه يوماً جديداً أرجأت فيه الموت، وجعلت القص واهِباً لِلحياة؛ لأن الليل الذي كان يفرز الموت لكل امراة في الصباح قبل قدوم شهرزاد، أصـــبح بقدرة القص السحرية يَهبُ الحياة ليوم جديد. لا الحياة التي تتخلق في كلماته وما يدور بحكاياته، ولكن الحياة التي تضمن له الاستمرار إذا ما أقبل الليل مرة أخرى؛ فَإذا كان الليل رمز الموت[2].

وجعلت شهرزاد الصباح بحكاياتها رمزاً للحياة المترعة بأعجـــب القصـــص وأغـــرب الحكايات. وإذا كان النهار رمز الحياة؛ فقد جعلته شهرزاد قبر حكاياتها التي لا بـــد أن تســـكت عنها كلما أدركها الصباح. وعلى شهريار الانتظار حتى يهبط الليل من جديد، في دورة يتعاقب فيها الليل والنهار[3].

وفي حكاية "علي بن بكار مع شمس النهار" ذكرٌ للوقت يتم فيه بزوغ الشـــمس، ولعـــلّ إفراد حكاية خاصة تحمل عنوان الشمس؛ هو دليل على تقديس الشمس وأسطرتها عند القـــدماء، فعبادتها كان عاملًا مشتركًا في كل الأديان الوثنية بلا استثناء، وقد خدع إبليس عُبّاده بأنـــه ربّ الشمس وسيد النور؛ لذلك صارت الشمس رمزًا لعبادة الشيطان منذ الأزل[4].

وإذا كان الليل يشكّل بيئة خصبة لتجمع القوى الخارقة، فإن الصباح هو رمـــز النـــور والراحة، وعليه كانت شهرزاد تشعر بالطمأنينة عندما يأتي الصباح، وتكفّ عن حكاياتها حتـــى يأتي الليل بوطأته وجنونه؛ لتبقي على حياتها في ظل بطشه، ولعلّ العبارة المتكررة في الليـــالي تؤكد ذلك: "وأدركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح".

---

[1] ينظر: حافظ،: **جدليات البنية السردية المركبة في ليالي شهرزاد ونجيب محفوظ**، ص25.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص25.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص26.

[4] ينظر: حنفي، محمد، **أنثى الشيطان**، ط1، دار الحلم، 2015م، ص32،33.

المبحث الثاني

الأصول الأسطورية في الفضاء المكاني لـــ "ألف ليلة وليلة"

"تختلف نظرة الإنسان القديم للمكان عن نظرتنا نحن، ذلك أن المكان في الفكر الميثوبي ليس مجموعة من العلاقات والوظائف، ولا يتقرر بالمقاييس العلمية والموضوعية، وإنمـــا هـــو صور من المظاهر المعيشة التي تتأثر بهواجس صاحبه، وترتبط بعواطفه، فيتلون بألوان نفسه، ويضفي عليه مكانة خاصة، وقيمة في ذاته، تنبعان من نفع هذا المكـــان وضـــره، أو مســـألمته وعدائه، أو صلته بالمقدس في حياته"[1].

"وقد قسم الإنسان القديم المكان الأكبر (الكون) إلى ثلاثة عوالم: العالم العلوي/ السماء، عالم الخلود والنور والضياء، وتسكنه الآلهة وأنصاف الآلهة (الملائكة)، والعالم الأرضي الـــذي يعيش فيه الناس والأحياء، والعالم السفلي، عالم الفناء والظلام والعمـــاء تحـــلّ فيـــه المـــوتى والشياطين والأرواح الشريرة"[2].

المطلب الأول: الفضاء الجوي في "ألف ليلة وليلة"

شكّل الفضاء عاملا مُحيّراً للإنسان منذ قديم الزمن؛ فهو ينظر إلى تلك السماء الواســـعة المليئة بالغموض، ويتخيلها مسكنا للآلهة؛ لذا راح ينسج بمخيلته قصصاً وأساطير عـــن طيـــور السماء؛ "فالطيور بعامة تشير إلى الإلهة الأم، ثم صارت العقبان والنسور تدل على الإله الذكر، وحصرت الطيور الأليفة بالأم"[3]. ومن هنا فلا غرابة أن تحتوي حكايات "ألف ليلة وليلة" علـــى ذكر لكائنات الفضاء الجوي، على سبيل المثال ما يرد في حكاية "كريم حاســـب الـــدين" التـــي تقول:"إن جانشاه... بينما هو جالس إذ أقبل عليه من الجو ثلاثة طيور في صفة الحمام ثـــم أن

---

[1] يُنظر:الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ط1، إصدار باقة الغربيّة::مجمع القاسميّ للّغة العربية_أكاديمية القاسمي، 2016م، ص36.

[2] يُنظر:المصدر نفسه، ص36.

[3] الماجدي، خزعل: **الدين السومري**، ط1، عمان: دار الشروق، 1998م، ص 101.

الطيور حطوا بجانب البحيرة ولعبوا ساعة، وبعد ذلك نزعوا ما عليهن من الريش فصاروا ثلاث بنات كأنهن الأقمار"[1].

ولعل لنزع الحمام ريشهن وصيرورتهن إلى فتيات جميلات؛ دليلٌ واضحٌ على أسطرة هذه المخلوقات من منطلق الليالي، ويمكن إعادة تلك النظرة إلى جذور موغلة في القدم؛ إذ كانت الحمامة على شكل الإله المعبود، وهي نظيرة العزى وأفروديت وعشتار، وظهرت في الشعر الجاهلي وكأنها انعكاس لمعتقد قديم لا زالت آثاره تسيطر بقوة على وجدان الشاعر العربي[2]. وعند السومريين ظهرت الحمامة السماوية أياهو رمزا له أهمية خاصة؛ فهي طيرٌ مقدسٌ، واعتبرت من رسل السماء، ونرى هذا الاسم هو مصدر الإله العبري "يهوه"،وقد حصل ذلك من خلال الإله إنليل، الذي أرجح أن يكون مصدر الحمامة السماوية أو أنها شكل من أشكال ظهوره أو مبعوثته من السماء[3].

ويتضح أسطرة مخلوقات الفضاء الجوي في حكايات "الملك شهرمان وأخيه الملك شاه زمان"؛ ففي سطر منها، تظهر العفريتة قائلة: "أنا في هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم"[4]. إن قدرة الطيور على كشف الأرض بكل ما فيها؛ هو الدافع وراء الخوف منها وتقديسها في نظر الأمم القديمة، فلا شيء يدعو للدهشة إذا جعلت الليالي العفاريت تطير، وألبست الجن والمخلوقات الغيبية ثوب الطيور الخارقة التي تصول وتجول في الفضاء وتنتقل من مكان إلى آخر بلمح البصر، وهذا الأمر يظهر في حكاية "حاسب كريم الدين" التي تقول: "قامت السيدة شمسة وأمرت جانشاه أن يركب على ظهرها، ثم ركب وطارت به من وقتها وساعتها من الصبح إلى وقت الظهر، وقالت له: أتدري ما المسافة التي سرناها؟ قال لها: لا، وقالت: مسافة ثلاثين شهراً"[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص 69.

[2] الحسين، قصي: **أنثربولوجية الصورة في الشعر العربي المعاصر قبل الإسلام**، ط1، طرابلس: الأهلية للنشر، 1993م، ص197.

[3] يُنظر:الماجدي: **الدين السومري**، ص 102.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص16.

[5] المصدر نفسه، 3/ ص76.

كما صوّرت النقوش والمنحوتات الآرامية الجن على شكل كائنات مُجنحة مُختلفة الأنواع منها الحيوانيّة والإنسانيّة، ومنها المركبة[1]. وتبوأت المعتقدات الدائرة حول الجن مكانة بارزة في المعتقد الشعبيّ العبريّ القديم؛ فالجن عند العبريين[2] "كائنات ذوات أجنحة، تستطيع قطع الأرض من أقصاها إلى أدناها في لَمح البصر، فيعرفون كل ما يدور على كل بقعة من هذا العالم" [3].

وهذا يؤكد أن الفكر العبريّ كان ينظر إلى الجن على أنها كائنات خارقة، تتميز بقدرتها وقوتها التي تفوق قوة بني البشر؛ مما جعلهم ينظرون إليها بعين الريبة والخوف، ويقدّسونها في عباداتهم بغية التقرب منها[4].

إن الثقافة التي امتلكتها شهرزاد غنية بأساطير الأمم القديمة،التي نظرت إلى كل مخلوق يمتلك القدرة على الوصول إلى أعلى قمة في الفضاء الجوي نظرة الآلهة الخارقة؛ فطائر النسر كان رمزاً للأم الكبرى لشت الحيوك، نجده في جميع معابدها وقد ملأ جناحـاه جـدار المعبـد المقابل لتمثال الإلهة[5]. حتى إذا لم تبدُ الأم الكبرى في هيئة الطائر، فإن الطيور تظهر إلى جانبها جانبها في الأعمال التشكيلية. وقد تدخل هذه الطيور في صلب طقوسها وعبادتها... وهناك من الأدلة ما يشير إلى كاهنات كن يلبسن أردية من ريش النسور، ويضعن أقنعة على هيئة رؤوس النسر خلال الطقوس وتقديم القرابين هذا وبقيَ النسر رمزاً للأم الكبرى في بعض ثقافـات الأم الكبرى برأس النسر. كما اعتقد المصريون قديما بأن النسور كلها من جنس الإناث وأنها تحبـل بوساطة الريح[6].

وفي حكاية الوزير "نور الدين مع أخيه شمس الدين" يظهر مايأتي: "تقـدّمت العفريتـة ودخلت تحت ذيله وهو نائم، وأخذته وطارت به، وأنزلت بدر الدين في دمشق الشام، فوضـعته

---

[1] ينظر: الماجدي، خزعل: **الإلهة الكنعانية**، ط1، عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، 1999م، ص62.

[2] يُنظر: عياش،خالد فريد: **الجن في الأدب الشعبي الفلسطيني**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور: إحسـان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2018م، ص9.

[3] الجوهري، محمد: **علم الفلكلور"دراسة المعتقدات الشعبية"**،ج2، الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية،ص377.

[4] يُنظر:عياش: **الجن في الأدب الشعبي الفلسطيني**، ص9.

[5] يُنظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص149.

[6] يُنظر: المصدر نفسه، ص149.

العفريتة على باب من أبوابها وطارت"[1]. إن في هذه الأسطر السابقة عودة واضحة إلى أساطير بلاد الرافدين؛ حيث عُثر على إلهة تؤدي دوراً مُهّماً في عالم الشر والظلام والعالم الأسفل هي الإلهة ليليث عفريتة القفار المظلمة وشيطانتها، تصورها الأعمال الفنية التشكيلية على هيئة امرأة مجنحة عارية، فالأجنحة التي كانت رمزاً لسماوية الأم، هي الآن رمز لعالمها المظلم[2]

المطلب الثاني: الفضاء البري في "ألف ليلة وليلة"

لا تكتمل الحكاية دون وجود مكان محدد لها؛ فهو عنصر بارز من عناصرها يوظفه القاص حتى يضفي على حكايته مغامرات متعددة ووقائع مختلفة، وهو سحري يقع في ممالك الجن، وأعماق البحار، وفي معارك الأبطال، وأجواء الفضاء العليا، فخطف البطلة أو الأميرة الجنية ونقلها من مكان إلى مكان آخر؛ يجعل المتلقي يعيش في أحضان عوالم سحرية، تأسر لب عقله، وتسكره بلا كأس مخمورة[3].

ولا يخفى على القارئ وجود تنوع وثراء في نصوص حكايات الليالي؛ فهي تدور في أماكن تتحرك فيها الشخصيات، قد تكون هذه الأماكن واضحة يمكن رصدها على الخرائط الجغرافية من خلال ذكر اسمها كبغداد، والبصرة، وقد تكون أماكن مبهمة وظفتها شهرزاد من مخزون أسطوري يتخمر في ذاكرتها؛ ففي الليالي إشارات مبطنة لعظم الأشجار وأسطورتها قديمًا في نفوس العرب؛ كونها موطن الآلهة، فالجن تعيش في جذورها أو على أغصانها أو في ثمارها أو داخل عروقها، وتصديقًا لذلك ما ورد في حكايات "الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان"، إذ تقول: "وإذا بجنيٍّ طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق، فطلع إلى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها، وجلس تحتها وفتح الصندوق، وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غرّاء"[4].

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص 99.

[2] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص216.

[3] ينظر: النجار، محمد رجب، **قصص الحب في الليالي، البنى والوظائف**، فصول مجلة النقد الأدبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج2، مج13، ع1،1994م، ص266.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 7/1.

وقد عُرف عن العرب اعتقاد سائد بوجود شجرة أسطورية تسمى الحماطة؛ وهي شجرة شبيهةٍ بالتين الجبلي التي أكل منها آدم، وكانت سببا في خروجه من الجنّة، وتُعدُّ هذه الشـــجرة مسكناً للحيّات التي يتلبسها الجان[1].

وتتضح العلاقة بين الشيطان والحية من خلال "شيطان الحماطة" فالحماطة شجرة التين التي أكل منها آدم، وجلس عليها نادما على فعلته، وجلست الحية عليها ترقبه، والمعروف أنهـــا شجرة تألفها الحيات، ولا بد أن تكون الحية التي كانت تسكنها رمزاً للشيطان [2].

وقد تحولت الحية إلى رمزٍ حيّ، ودائم للألم والندم؛ إذ تعني كلمـــة "الثعبـــان": "الحيّـــة الخبيثة"؛ لأنها توحدث مع الشيطان، وكانت سببا في إغراء آدم وحواء للأكل من الشجرة، ومـــا ترتب على ذلك من الشقاء والألم والندم[3].

ويتماثل هذا مع ما جاء في ملحمة جلجامش؛ " حيث توحّدث الشيطانة "ليليلث" مع الحية، واتخذتا مسكنا لهما عند قاعدة شجرة الإلهة "إنانا"، رمز الخصب والحياة، وكان هدفها القضـــاء عليها"[4].

وهناك علاقة ارتباط بين الشجرة والمرأة، ممثلة في الخصب ذاته، والحية هي الوســـيلة المسببة للنتائج المتمثلة بأكل حواء من ثمار الجنة[5].وتبدو أسطورة الشجرة التـــي أخرجـــت آدم وحواء من الجنة حاضرة في ألف ليلة وليلة في حكاية "حاسب كريم الدين"؛ إذ يرد في الحكاية: "وما زال يتمشى حتى أقبل على شجرة تفاح، فمد يده ليأكل من تلك الشجرة إذا بشخص صـــاح عليه من تلك الشجرة وقال له: إن تقربت إلى هذه الشجرة وأكلت منها شيئا قســـمتك نصـــفين، فنظر بلوقيا إلى ذلك الشخص فرآه طويلا، طوله أربعون ذراعا، وخـــاف وامتنـــع عـــن تلـــك

---

[1] ينظر: علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، جامعة بغداد، 1993م، 732/6.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، 733/6،732.

[3] يُنظر:عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص187..

[4] يُنظر: السواح، فراس: **جلجامش ملحمة الرافدين**، ص53.

[5] عبد الله، محمود صبري: **الحية في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعـــة النجـــاح الوطنيـــة، 2003م. ص165.

الشجرة، ثم قال بلوقيا: لأي شئ تمنعني من الأكل من هذه الشجرة؟ فقال لــه: لأنــك ابــن آدم وأبوك نسي عهد الله فعصاه، وأكل من الشجرة، فقال له بلوقيا: ما اسمك؟ فقال له: أنــا اســمي شراهيا وهذه الأشجار والجزيرة للملك صخر، وأنا من أعوانه، وقد وكلني على هذه الجزيرة".[1]

وخلد فن الشرق الأدنى القديم عشتار الشجرة، التي مثلتها فــي الميثولوجيــا اليونانيــة الرومانية الشجرة الضخمة القائمة وسط غابة أرتميس، هي التي تظهر مجددا في مركز الجنــة التوراتية التي غرسها يهوه، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هنــاك آدم الــذي جبله. ولكن آدم أكل من شجرة معرفة الخير والشر بعد أن أغوت الحية حواء، فأخرجه الــرب من جنة عدن.[2]

والشجرة العظيمة التي يجلس تحتها أربعة ملائكة في حكاية "حاسب كريم الدين" إذ يرد في الحكاية: "فتمشى في ذلك المرج فرأى فيه سبعة أنهر، ورأى أشجاراً كثيرة، فتعجب بلوقيــا فرأى فيه شجرة عظيمة، وتحت تلك الشجرة أربعة ملائكة، فتقدم إليهم بلوقيا ونظر إلى خلقتهم فرأى واحداً منهم على صورة بني آدم، والثاني صورته صورة وحش، والثالث صورته طيــر، والرابع صورته ثور، وهم مشغولون بذكر الله تعالى".[3]

تكون أسطورة الشجرة العظيمة التي ظهرت في حكاية "حاسب كريم الــدين" موازيــةً لأسطورة شجرة المعرفة الموجودة وسط الجنة، "وشجرة المعرفة هذه هي الأم الكبــرى التــي جلس تحتها البوذا وأقسم ألا يبرح مكانه حتى تأتيه الاستنارة وتنفتح بصيرته على الحقيقة"[4]، هنا وفي هذا المكان سأجلس حتى يبلى جسدي وأصل إلى المعرفة. هذا ما قاله البوذا، ثــم أطلــق رئيس الأبالسة عليه أصنافا مرعبة من العفاريت ذات الأشكال الغريبة، وتنانين هائلة ملتهمة"[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص42

[2] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 114، 115.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص 49،48.

[4] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص247.

[5] المصدر نفسه، ص 247.

وشجرة الحياة في الأساطير تتلاقى مع شجرة الحياة في "ألف ليلة وليلة"؛ حيث بدأت عشتار تخرج من الشجرة في شكلها الإنساني الجميل، فحفرت على الجذع وصارت تُعبد شجرة وشكلا إنسانيا مصورا، وتؤيد الأسطورة السورية هذا عندما تقول إن الإله أدونيس قد ولد من شجرة المرّ التي حملته في جذعها عشرة أشهر، قبل أن تنشق قشورها وتسمح للإله الوليد بالخروج.[1]

وشجرة المر في الأسطورة كانت فتاة جميلة وابنة لملك قبرص، حملت من أبيها سفاحا ثم تحولت إلى شجرة نمى في داخلها الإله، هذه الشجرة أم الإله ليست في الحقيقة إلا عشتار نفسها التي عبدها الإنسان القديم في هيئة الشجرة الممثلة لروح الغاب.[2]

هناك حضور واضح للشجرة في حكايات "ألف ليلة وليلة" بصورة أسطورية؛ إذ يرد في حكاية "حاسب كريم الدين" ذكر أثمار شجرة كرؤوس الآدميين: "فرأى فيها جبلين وعليهما أشجار كثيرة وأثمار تلك الشجرة كرؤوس الآدميين، وهي معلقة من شعورها، ورأى فيها أشجاراً أخرى وأثمار طيور خضر معلقة من أرجلها، وفيها أشجار تتوقد مثل النار ولها فواكه مثل الصبر، وكل من سقطت عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها، ورأى بها فواكه تبكي وفواكه تضحك".[3]

وتعد الأراضي الخضراء الواسعة مكانًا مفضلًا لسكنى الجن، خاصة "تلك المليئة بالأشجار البرية كالصنوبر والسرّيس والسنديان"[4].

واللافت للنظر ذكر تسمية أماكن بأسماء لنساء بعينها؛ وهذا يدل على أسطرة تلك الأماكن؛ فتسمية مدينة بمسمى مدينة البنات له دلالة موغلة في القدم؛ إذ يرد في حكاية عبد الله البري مع عبد الله البحري: "ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعا بنات، وليس فيهن ذكور، فقال

---

[1] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص110.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص110.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ 42

[4] السهلي، محمد توفيق، والباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، د.ط، دار الجليل، 1980، ص80.

عبد الله البري: ما هذه المدينة؟ وما هذه البنات؟ فقال له عبد البحري: هذه مدينـــة البنـــات؛ لأنَّ أهلها من بنات البحر، قال: هل فيهن ذكور؟ قال: لا، وملك البحر ينفيهن إلى هذه المدينة، وهن لا يحبلن، ولايلدن، وإنما كلّ واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينـــة، ولا تقدر أن تخرج منها؛ فإن خرجت منها فكل من يراها من دواب البحر يأكلها" [1].

ويبدو أن الأماكن الواردة في الحكايات تعجّ بالخوارق؛ فالغول ذلـــك الكـــائن الـــوهمي الغامض يظهر في حكاية "التاجر مع العفريت" مقيمًا في جزيرة عجيبة مركبة من قطع متغايرة وغير متجانسة، وربّما جاء الاعتقاد بسكنى الغول للأساطير من مخزون أسطوري قديم يـــؤمن بوجود آلهة تتحكم بالبشر على سطح الجزر؛ فهذا لوجيلان إله يسيطر على جزر كارولين، نزل من السماء وعلم البشر الوقت والوشم والزراعة، وبخاصة زراعة شجر جوز الهند[2].

والجنيات في "ألف ليلة وليلة" فضاءات خاصة، وهذه الفضاءات لها خصائص تجعلهـــا عجيبة، بحيث تبدو وكأنها فوق طبيعية، ولا ترجع عجائبية هذه الفضاءات لوجودهـــا المكـــاني فقط؛ بل لأنَّ من يسكنها ويعمرها كائنات ذات قوة خارقة وفوق طبيعية[3].

فالغولة التي تستعطف ابن ملك الهند تَسكُنُ في جزيرة؛ إذ يرد في الحكاية: "فأنزلها إلى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها، فإذا هي غولة وهي تقول لأولاده لقد أتيـــتكم بغـــلام سمين"[4]

وتُذكر في "ألف ليلة وليلة" جزيرة الغيلان، وهي جزيرة تحكمها ابنـــة ملـــك، ســـكانها يأكلون بني آدم؛ حيث وقع بدر باسم في يد هذه الملكة. ورد في الحكاية:" يا ملك الزمان، أيـــن

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 4/ص280.

[2] ينظر: طلال، حرب، **معجم الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة**، ط1، بيـــروت: دار الكتـــب العلميـــة،1999م، ص290.

[3] ينظر: الشاهد، نبيل حمدي: **العجائبي في السرد العربي القديم" مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبـــار الغريبـــة نموذجاً**"، عمان: الوراق للنشر والتوزيع، 2011م، ص298.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص 27.

نروح من هذه الجزيرة وهي كغيلان يأكلون بني آدم، وكل موضع توجهنا إليه وجدونا فيه،فإما يأكلونا وإما أن يأسرونا ويردونا إلى موضعنا وتغضب علينا بنت الملك".[1]

وجزيرة واق الواق التي تحكمها ملكة ساحرة كانت في الأصل حية سخرت في خدمتها قبائل المردة، تقول حكاية "حسن البصري": "أن العجوز قالت لحسن:إن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزيرة واق الواق، ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد في السير، وعلى شاطئ هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق، وهذا الاسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني آدم، فإذا طلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤوس جميعا وتقول في صيحاتها: واق واق سبحان الخلاق، وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة، وتحت يدها أيضا قبائل الجان المردة والشياطين، وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم"[2].

ويتكرر الأمر ذاته في حكاية "الحمّال مع البنات"؛ حيث يظهر عفريت يدعى "جرجريس بن رجوس بن إبليس" قاطنًا لجزيرة تسمى الأبنوس تقع في أقصى الهند، حيث قام باختطاف عروس وطار بها بعيدًا؛ ليلبسها من أرقى الحلي والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب. تقول الصبية: "اختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن إبليس وفي كل عشرة أيام يجيئني مرَّة فيبيت معي ليلة" [3].

وعدُّوا الآبار والكهوف، والأماكن الخربة من الأماكن التي يكثر فيها تواجد الجن؛ لأنها تعد إحدى المنافذ إلى العالم السفلي[4].وتُعَدُّ الينابيع مقر الجان، وشياطين الصحراء[5].

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ 387.

[2] المصدر نفسه، 38/4.

[3] المصدر نفسه، 58/1.

[4] يُنظر: حميدة، عبد الرازق: **شياطين الشعراء**، القاهرة:مكتبة الأنجو المصرية للطبع والنشر، 1956م، ص113،114.

[5] يُنظر: سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن _ الأديان_ الحياة**، تر:عبد الهادي عباس، ط1،سوريا: دار دمشق، 1992م، ص 137

كما يظهر تفضيل الجنيات السكنى في الأماكن السفلية في حكاية "قمر الزمان بن الملك شهرمان": "وكان في تلك القاعة بئر روماني معمور بجنية ساكنة فيه، وهي من ذرية إبليس، اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين"[1].

وربما لم يكن جديدا مسكن البئر للجنية في معتقد شهرزاد؛ وخير دليل على ذلك وجود هيقاتي "ربة العالم السفلي، سيدة الظلام، واهبة الحكمة للبشر، راعية الساحرات، سيدة النبوءة"[2].

ولم يكن الإنسان في عالمه بمنأى عن تأثير ساكني العالمين: العلوي، والسفلي، وتأثره بهم في حياته؛ ولهذا سعى دوماً إلى كسب ودهم، واتقاء شرهم، وتقديس الأماكن التي تصله بهم، فغدت الجبال والمرتفعات أماكن مُقدسة؛ لأنها أقرب نقطة تصل بين العالمين الأرضي والعلوي[3].

كما اتخذت الجنية الجبل مسكناً لها ولزوجها الإنسي، وسُمي فيما بعد بجبل الثكلى، ويظهر هذا الجبل في حكاية "أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام"، ورد في الحكاية:"هذا الجبل نزلت به جنية في قديم الزمان، وكانت تلك الجنية من جن الصين، وقد أحبت إنسانا ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها، فلما زاد بها الغرام فتشت في الأرض على مكان تخفيه من الإنس والجن، فاختطفت محبوبها ووضعته فيه، وولدت منه في ذلك الجبل أطفالا متعددة، وكان كل من يمر من هذا الجبل يسمع بكاء الأطفال التي ثكلت أولادها أي فقدتهم" [4].

ولا تَخلو الميثولوجيا العالمية من الاعتقاد بوجود الجن منذ أن خشيَ الإنسان خوارق الطبيعة والأرواح المُتَحجبة عن العيون؛ ففي بلاد النهرين غالباً ما يقترن مفهوم الجن والعفاريت

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،2/ 106.

[2] ناسو، أوفيديوس: **مسخ الكائنات**، تر: ثروت عكاشة، ط2، القاهرة:الهيئة المصرية للكتاب،1984م، ص 172.

[3] ينظر:الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ط1، باقة الغربية: مجمع القاسمي للغة العربية أكاديمية القاسمي،2016م، ص36.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 2 / ص 375.

عند السومريين بالشرّ، فهم يعيشون في الصحاري والجِبال لا يعرفـون الرحمـة والشـفقة ولا يسمعون التماساً ولا دعاءً[1].

ففي الفكر السومري، كانت البداية جزيرة من اليابسة على صورة جبل، قمته السـماء، سيطر الإله (آن) على السماء، واستولى الإلـه (إنليـل) علـى الأرض[2]. وجبـل (البرنـاس) الأسطوري، في اعتقاد اليونان، مسكن لآلهة الفنون[3]، وجبل(زاليانو) المؤله عند الحيثيين مانحهم المطر[4]. ذلك أنه مسكن الآلهة، وهو نقطة التواصل بين العالمين العلوي والأرضي.[5]

وتبدو أسطورة العالم السفلي حاضرة في الليالي؛ فهو موطن يزخر بالقصـور والحفـر والمغاور العميقة التي تعيش فيها الآلهة والعفاريت، ويتضح هذا الأمر في نفس الحكاية السابقة، التي تقول: "فبينما أنا كذلك، وإذا بأرض قد انشقت وطلع منها الأعجمي، وإذا هو العفريت... ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطـرت عينـاي بالدموع"[6]، ولعلّ المتأمل في هذه السطور يمكنه الاستنتاج أن آلهة العالم السفلي الغامض شرسة وتفتك بالبشر حين خروجها إلى سطح الأرض.

كما تظهر الجن مقيمة في المقابر وتزور العالم الخارجي باستمرار، ومن يمر بها مـن الإنس قد يتعرض لهم؛"إذ تعتبر المقابر الفرعونية، والأماكن المظلمة داخل المقـابر المصـرية القديمة مأوى للجان"[7].

كانت الأماكن موطن الأسلاف من الجن مثل: وادي برهوت ويبرين وصيهد، والتـي كانت ديارا لقبائل:عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعماليق، وغيرهما من القبائل المنـدثرة.

---

[1] يُنظر: الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة" دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**"، ط1، عمان: منشورات الأهليـة، 1998م، ص215.

[2] ينظر: السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ص34،33.

[3] مندور، محمد: **فن الشعر**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1974م، ص32.

[4] كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، تر: أحمد عبد الحميد يوسف،القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1974م، 37.

[5] نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**،بيـروت: دار الفكـر اللبنـاني، 1994م، ص30.

[6] **ألف ليلة وليلة**، 1/ 60.

[7] الجوهري: **علم الفلكلور، (دراسة المعتقدات الشعبية)**، جز2،الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص 362.

ومن هنا جاءت فكرة اعتبار القبور والأماكن المهجـورة والخرابـات بعامـة مـواطن للجـن والعفاريت، وأن تحية العربي القديم لساكني المقابر من الجن والعفاريت؛ كانت اتقاء لشـرورهم وَهيَ "عموا ظلاما"، وأصبحت اليوم: مسيكم بالخير ومرادفاتها المختلفة، ومنها إجابة الجني أو الغول على البطل الإنسي[1].

فهذا حسن في حكاية "الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين" ينام عند قبر أبيـه ليلًـا، فتظهر له جنية تتعجب من جمال حسن، ثم تطير إلى الجو، "وكانت المقـابر عـامرة بـالجن المؤمنين، فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم"[2].

ولعل مكوث الجنيات باستمرار في المقابر كما يرد في الحكاية السابقة عائد بجذوره إلى عشتار الجنية، سيدة الموت، وعالم السحر والأشباح، ومن ألقابها "بريتانيا" التي ترسل عفاريتها إلى الأرض؛ كي تعذب الرجال، وتظهر في الليل بموكب مرعب مصحوبة بحشد من شيطاناتها، وكلابها المتوحشة، تجوس المناطق المحيطة بالمقابر[3].

ولعلّ الليالي لم تجعل العالم السفلي موطئًا للآلهة من فراغ، بل هو اعتقاد يعود في طيّاته إلى الأساطير البابلية القديمة؛ فقد خلدت الملحمة السومرية هبوط عشتار إلى العالم الأسفل؛ حيث عمّ الدمّار والخراب بعدها، وغاب الإخصاب الكوني، وتعطـل النسـل، وجفـت الأرض، وإذا اصطحبت معها أحدًا فإنه لا يعود إلى الحياة من جديد، تقول الأسطورة:

"ولمّا نزلت إشتار إلى الأرض

التي لا يعود منها من يدخلها

لم يعل الثور البقرة، ولم يقرب الحمار الأتان

والفتاة في الطريق لم يقترب منها الرجل

---

[1] شوقي عبد الحكيم، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص265

[2] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص94.

[3] ينظر:السواح: **لغز عشتار" الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 223.

ونام الرجل في حجرته

ونامت الفتاة وحدها"[1].

وقد وُصِفَ العالم الأسفل "بأنه عالم مخيف يشبه مدينة محاطة بأسوار سبعة، يقف على كل منها شيطان مخيف، وتحكم هذا العالم آلهة قاسية"[2]، وهو موطن الأرواح والشياطين.

كما أوجدت الأماكن المقفرة مشاعر مرعبة في نفس الإنسان القديم، وتأتي الليالي لتكرر هذه النظرة؛ فالصحاري التي تخلو من الماء والنبات هي موطن للحيات، ولا يسمع فيها إلا زعيق الجان، وصريخ الغيلان[3].

وتسكن الحيات أيضا في المغارة، تقول حكاية "السندباد": "ثم التفتُّ في داخل المغارة، فرأيت حية عظيمة نائمة في صدر المغارة على بيضها؛ فاقشعر بدني" [4].

ومن الأماكن التي تُعدُّ منبع للقوى الخارقة في "ألف ليلة وليلة" جهنم؛ فهي مسكن للحيّات. وردت في حكاية "حاسب كريم الدين": " فقالت له الحيات: نحن من سكان جهنم، وقد خلقنا الله تعالى نقمة على الكافرين، فقالت الحيات: اعلم يا بلوقيا أن جهنم من كثرة غليانها تتنفس في السنة مرتين؛ مرة في الشتاء، ومرة في الصيف تسحب نفسها "[5].

وَتُعدُّ الوديان كذلك مسكن للحيات؛ إذ حملت الوديان إحدى الرواسب الأسطورية، التي جعلت منها مستقرا للجن والأرواح الخفية؛ وبذلك اكتسبت قوة فوق الطبيعة[6]. تقول حكاية "حاسب كريم الدين": "وكل ذلك الوادي حيات وأفاع، وكل واحدة مثل النخلة، ومن أعظم خلقتها

---

[1] ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محفوظ، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م، مج1، 225/2.

[2] عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط1،دمشق: دار الكلمة للنشر، 1999م، ص 140.

[3] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 34/2.

[4] المصدر نفسه، 123/3.

[5] المصدر نفسه، 34/3.

[6] يُنظر: الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، ط1، مصر:مطبعة السعادة، 1924م،ص162.

لو جاءها فيل لابتلعته، وتلك الحيات يظهرن في الليل ويختفين في النهار؛ خوفا من طير الـــرخ والنسر أن يختطفهن"[1].

وَتُعدُّ المغارة مسكناً للساحرات والسحرة، تقول حكاية "حسن البصري": "فلما حكى لهـــا فرحت بذلك، وقالت له: يا ولدي كما ملكت زوجتك وأولادك، اسمع مني ما أقول له عليه إنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعدما تجاسرت، وأنا راحلة عندها إلى مغـــارة الســـحرة؛ لأقـــيم عندهم وأعيش معهم"[2].

وما نلمسه في حكايات ألف ليلة وليلة الأسماء المركبة؛ مثل: وادي الحيـــات، وجزائـــر الياقوت، وجزائر واق الواق، وجزيرة الأبنوس، ومدينة النساء...[3]

ويتضح مما سبق؛ أن الفضاء البري في "ألف ليلة وليلة" هو فضاء متميز مـــن خـــلال المخلوقات الوهمية التي تَقطُنه من جنيات وساحرات، ويتميز بالتنوع والثراء، وجمعه بين الواقع والمُتخيّل.

المطلب الثالث: الفضاء البحري في "ألف ليلة وليلة"

هو المكان الذي يتخذ من الأحياز المائية مسرحًا لأحداثه، ويشـــمل البحـــار والأنهـــار والبرك وما يلازمها من سفن وزوارق، وما ينشأ عن ذلك من أخطار ومغـــامرات ومعتقـــدات شعبية تنضوي تحت الخوارق[4].

وقد درجت الليالي تُصور الفضاء البحري بمشاهد خيالية فيهـــا العجائـــب والمخـــاطر والأهوال؛ فهناك الجزر المتحركة والحوريات اللاتي يسحرن البحارة بجمالهن الفائق، ولا ننسى عرائس البحار التي شكلت في مضمونها امتدادات أسطورية تعود للزمن قديم.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**3/ص123.

[2] المصدر نفسه، 62/4.

[3] يُنظر:عبد المجيد، بدراوي: **المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة " حكايات السندباد البحري نموذجا**"، بســكرة، جامعـــة محمد خيضر، 2013م، ص281.

[4] ينظر: مرتاض، **عبد الله، دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد**، ط1، بغـــداد: دار الشـــؤون الثقافيـــة العامـــة، 1989م، ص152.

وَتزخر الليالي بكل ما هو عجيب أسطوريٌّ فائق الوصف صعب المنال؛ فهذه حوريات البحر الجميلة تلعب هي الأخرى دورها في إمتاع القارئ والوصول به إلى قمة النشوة، ولعـلّ حكاية "جلنار وبدر باسم" دليلٌ واضحٌ على ذلك؛ فهي تتكئ على ذكر الجان والسحر والسحرة، وتدور أحداثها حول الملك شهرمان الذي يتزوج من جارية يتّضح أنها جلنار البحرية، ابنة أحد ملوك البحر[1]، حيث تقول:"أنا اسمي جلنار البحرية،وكان أبي من ملوك البحر، ومات وخلف لنا الملك، ولي أخ يسمى صالح، وأمي من نساء البحر"[2].

ويمكن العودة بجلنار البحرية إلى الموروث الأسطوري القديم فالسيرين في الخرافة أصبحت في الفن الأيقوني المسيحي رمز الشيطان الغاوي الباحث عن افتِقاده للروح، وهي ساحرة البحّارة[3].

كما يعتقد المصريّ أنّ أرواح الماء أو جنية البحر أو عفريت الماء ليست في حقيقتها سوى عفاريت أفراد غرقى[4].

وهي الإلهة فينوس في روما، كانت تعبد هناك بِوصفها إلهة بحرية، فسموها "نجمة البحر"، وذكروا أن ولادتها كانت على شواطئ فينيقيا من زبد البحر وحوتها صدفة، ودفعتها الرياح إلى شطآن جزيرة قبرص[5].

وفي الحكايات التي يرويها الأبشيهي عن بنات الماء، ما ينبئ باحتفاظ الذاكرة العربية بِشيءٍ من صفات عشتار البحرية، فيصفهن بقوله[6]: "أمة ببحر الروم يشبهن النساء، ذوات شعور شعور وأثداء وفروج، وهن حسان، ولهن كلام لا يفهم، وضحك ولعب... ويقال: إن الصيادين

---

[1] ينظر: البطوطي، ماهر: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية" دراسة في الأدب المقارن"**،ط1،القاهرة: مكتبة اللآداب،2005م، ص251.

[2] **ألف ليلة وليلة،** 3/ 338.

[3] سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن_ الأديان_ الحياة،** ص237.

[4] ينظر: الجوهري: **علم الفلكلور**،2/ص371.

[5] ينظر: جمعة، بديع محمد، **أسطورة فينوس وأدونيس**، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م، ص19.

[6] الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ط1، فلسطين، باقة الغربية_مجمع القاسمي للغة العربية، 2013م، ص26.

يصطادون ويجامعونهن، فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء، ثم يعيدونهن في البحر ثانيا"[1]، ومن هذه الحكايات "أن رجلا من الأندلس اصطاد جارية منهن حسناء الوجه، كاملة الأوصاف، فأقامت عنده سنين، وأحبها حبا شديداً وأولدها ولدا ذكرا، وبلغ من العمر أربع سنين، ثم إنه أراد السفر فصحبها معه، ووثق بها، فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر، فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له، وألقت له صدفا كثيرا فيه، ومن ثم سلمت عليه وتركته"[2].

ويتلاقى هذا مع ما ورد في حكاية "جميلة بنت الليث" في وصف بنات البحر؛ إذ يرد في الحكاية: "صار عبد الله البري يتفرج على بنات البحر فرأى لهن وجوها مثل الأقمار، وشعورا مثل شعور النساء، ولكن لهن أيادٍ وأرجل في بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك، ولا يتزوجونهن بل كل من تعجبه أنثى يقضي مراده منها"[3].

كما تظهر عروس البحر في حكاية "حاسب كريم الدين" التي يرد فيها: "فلما أظلم الظلام طلع فوق الشجرة،وصار يتفكر في مصنوعات الله تعالى، فبينما هو كذلك، إذا بالبحر قد اختلط وطلع منه بنات البحر، وفي يد كل واحدة منهن جوهرة تضئ مثل المصباح،وسرن حتى أتين تحت تلك الشجرة"[4].

ويزخر الفضاء البحري بوجود عرائس البحر الفاتنة اللواتي يضفقن بِسحرهن أجمل نساء البر، وهنّ حلم يشتهيه الرجال؛ نظرًا لما يحملن من مميزات لا تتوافر في الأنثى البشرية، فلا يوجد لهن أصابع، ولا عجائز، وتمتلئ أجسادهن بشعر رقيق لين، وحركتهن سلسة حيث

---

[1] الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**، تح: عبد الله أنيس الطباع،بيروت: دار القلم، 1982م، ص 367.

[2] المصدرنفسه، ص 368.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 4/ص280.

[4] **المصدر نفسه**، 42/3.

يتزلقن كالأسماك،[1] وهذا الأمر ينطبق خاصة على جلنار البحرية التي ورد ذكرها فـي حكايـة "زواج الملك بدر باسم بن الملك شهرمان ببنت الملك السمندل"[2].

وفي حكاية " زواج الملك بدر باسم بن شهرمان ببنت الملك السـمندل" يظهـر جمـال الحورية البحرية الفائق في القول الآتي: "إن جلنار لما صفرت خرج من البحر أخوها وعجـوز معها خمس جوار كأنهن الأقمار، ثم أن الملك رأى الشاب والعجوز والجواري يمشين على وجه الماء"[3].

وكذلك في حكاية نور الدين مع أخيه شمس الدين وصف لست الحسن الفائقـة الجمـال "ولما أقبلت كانت كأنَّها حورية، فسبحان من خلقها بهية، وأحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر إذا انجلى عنه الغيم"[4].

ويظهر تأثر شهرزاد في تلك الحكايات السابقة بما زخرت به الأساطير العالميّة السابقة، ولعلها عادت إلى موروث إيطالي موغل في القدم مستحضرة السـيريانيات فائقـات الجمـال، واللواتي كن يعشن في جزيرة إيطالية بالقرب من شواطئها، ويغرين البحارة بصوتهن السـاحر وجمالهن المزهر، وقد رسمهن الفن الإيطاليّ على شكل طيور مجنحات[5].

وَيخرجُ سكان القيعان البحرية في "ألف ليلة وليلة" ويتعايشون مع أهـل البـر مثلمـا يعودون ويسكنون ويحبون ويكرهون في فضائهم البحري، بل في فضائهم جبال وجزائر، مثـل الجزيرة المتعطشة، وهي جزيرة مُهلكة بالعطش والجدب رغم قبوعها تحت الماء[6].

---

[1] ينظر: الشاهد، نبيل حمدي: **العجائبي في السرد العربي القديم،(مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبـار الغريبـة نموذجا)**،ص315_316

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 3/ 366.

[3] المصدر نفسه، 3/ ص340.

[4] المصدر نفسه، 1/ ص96.

[5] يُنظر: شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، تر: حنا عبود، دمشق: دار علاء الدين، 1999م، ص 228.

[6] ينظر: الشاهد: **العجائبي في السرد العربي القديم**، ص 317.

والجزيرة المتعطشة تَحكُمها الملكة الساحرة جوهرة فَتأمرُ الجواري بِأخذ ابـن جلنـار البحرية بدر باسم إلى هذه الجزيرة حيث يرد في حكاية "زواج الملك بـدر باسـم ابـن الملـك شهرمان": "فإنه لما سحرته الملكة جوهرة وأرسلته مع جاريتها إلى الجزيرة المتعطشة وقالـت لها: دعيه فيها يموت عطشا، لم تضعه الجارية إلا في جزيرة خضراء مثمرة"[1].

إن السلة الخشبيّة التي وضعت فيها بنات البحر، لا يمكن فصلها عن أسطورة السـيرين وهي امرأة مؤلهةٌ لإغواء البشر، وقد صورتها النقوش في فنِّ الايلاميت على شـكل حوريـة بحريّة تحمل بين يديها وعاء خشبيّا يسيل منه الماء، وفيه جنيتان سميكتان[2].

وما يدعّم ذلك أيضًا ما يرد في حكاية "الحمال مع البنات" ؛ففيها تغيّر الحوريات ألوانها؛ كي تستحوذ على إعجاب الآخرين، ولعلّ القول الآتي من الحكاية يوضح ذلك: "وقف العفريـت وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد، فنظر الصيّاد إلى البركة، وإذا بهـذا السـمك ألوانـا؛ الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر، فتعجب الصياد من ذلك، ثم طرح شبكته وجـذبها فوجـد فيها أربع سمكات، كل سمكة بلون"[3].

ولا يخفى على المتأمل في حكاية "الحمال مع البنات" أنَّ الحوريات البحرية تظهر على شكل سمك بألوان مختلفة؛ ويمكن تعليل ذلك إلى ما حفلت به أساطير الأمم المختلفة؛ فالسـمكة السابحة في أعماق البحار، كالقمر السابح في السماء المعتمة، هي الرمز الأكثـر تعبيـرا عـن الدوافع الطبيعية الخافية للنفس. ومن ناحية أخرى فإن رمز السمكة إشارة إلى المياه التي تشكل ثالث العوالم الكبرى التي تقع تحت سيطرة الأم الكبرى، بعد عالمي: السماء، والأرض[4].

ولا يمكن القول المطلق بسيطرة الحوريات البحرية بما يملكنَ من جمال جـذّاب علـى الإنسان؛ فهناك جانب ضعف لهنّ لا بد من الإشارة له، فقد يمتن ويتعرضن للأذى البشر كمـا

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،355/3.

[2] يُنظر: سيرنج: **الرموز في الفن_ الأديان_ الحياة**، ص237.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص 31.

[4] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 147

يظهر في حكاية "مدينة النحاس" التي تقول: "وأما بنات البحر اللواتي أهداها لهم ملك السـودان، فإنهم صنعوا لها حيطاناً من خشب، وملأوها ماء، ووضعوا فيها فماتت من شدة الحر"[1].

لذا فقد بقي رمز السمكة مرتبطا بالأم الكبرى رغم إعطاء عالم المياه للآلهة الذكور في ميثولوجيا عصور الكتابة. فنرى السمكة مرسومة على رداء السيدة، كما هي الحال في تمثـال عشتار مدينة ماري السورية المعروف باسم ربة الينبوع، حيث نراها في وضعية الوقوف[2].

إذ تظهر في وضعيّة الوقوف ممسكة بجرّة تميل فوهتها نحو الأمـام وقـد اصـطفت الأسماك على طول ثوبها الذي يلامس الأرض.

وفي حكاية الملك يونان والحكيم رويان يظهر السمك بصورة أسطورية؛ إذ يمتلك القدرة على الحياة بعد خروجه من الماء لفترات طويلة، عدا عن جماله الساحر والفتّان، ويتشكل علـى هيئة آدمية يخاطب فيها إنساناً بجانبه. يرد في الحكاية: "قالت الصبية: يا سمك،يا سمك، هل أنت على العهد القديم مقُيم، فرفعت السمكات رؤوسها"، وأنشدت هذا البيت:

"إن عـــدت عـــدنا وإن وافيـــت وافينا وإن هجرت فإنــا قــد تكفينــا."[3]

وفي سوريا تظهر عشتار في الأعمال التشكيلية في هيئة امرأة نصفها الأسفل سـمكة، وتدعى عشتار_ ديركيتو. وهذا التجلّي العشتاري السمكي الذي أمد الأساطير والخرافات الشعبية بعنصر حوريات البحر. ونجد بعض ألقاب الأم الكبرى توكيدا على خصائصها المائية البحرية؛ فعشتاروت الكنعانيين كانت تدعى بسيدة البحار، وكذلك إيزيس. ورفع البـحارة السـيدة مـريم العذراء راعية للمحيطات وحافظة للملاحين تحت اسم نجمة البحر[4].

ونظر الإنسان البدائي إلى البحر على أنه موطن الآلهة، منه تنبعث الجـن والغـيلان، وببركاته يعمّ الإخصاب والإنجاب في شتى أرجاء المعمورة[5]، ويردّ في الليالي ما يؤكـد ذلـك

[1] **ألف ليلة وليلة** 3/ ص187.
[2] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 148
[3] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص32.
[4] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 148.
[5] ينظر: الخليلي، علي: **الغول مدخل للخرافة العربية**، ط1، القدس: منشورات الرواد، 1982م، ص61.

الاعتقاد،في القول الآتي: "فلما كانا بعد ساعة مضت من النهار، وإذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد إلى السماء"[1]، ويتكرر الأمر ذاته في قول آخر: "فقالت الصبية لشهريار وشاه زمان: إن هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي، ثم إنه وضعني في علبة، وجعل العلبة داخل الصندوق، ورمى على الصندوق سبعة أقفال، وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم بالأمواج"[2].

والفضاء البحري يعدُّ موطنًا مناسبًا لخروج الكائنات الغريبة والعجيبة، مثل بنات البحر في حكاية حاسب كريم الدين وهو يمتلئ بالكنوز المرصودة والجواهر الحسنة، والقماقم والطلاسم الغريبة.

ومن العجائب والغرائب التي لا تُعد ولا تُحصر السمكة التي تشبه البقرة في حكاية "السندباد البحري"، حيث يرد في الحكاية: "يقول السندباد: رأيت في ذلك البحر شيئاً كثيرا من العجائب والغرائب، رأيت سمكة على صفة البقرة، وشيئا على صفة الحمير، ورأيت طيرا يخرج من صدف البحر، ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبدا"[3].

ومن الأمور التي تثير الدهشة في الليالي عادة موغلة في القدم وهي أنه إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة، وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة في بئر كبير، حتى لا يتلذذ أحد منهما بالحياة. تقول الحكاية: "حضر أهل المدينة وصاروا يُعزون صاحبي في زوجته، فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة، وأتوا إلى جانب الجبل على البحر... فبان من تحت الجبل خرزة ورموا تلك المرأة فإذا هو جب كبير، ثم جاؤوا بالرجل وربطوه وأنزلوه في ذلك الجب، وأنزلوا معه كوز ماء وسبعة أرغفة "[4].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 7/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 1/ص8.

[3] المصدر نفسه، 3/ ص134.

[4] المصدر نفسه، 3/ ص141،140.

ومن الشياطين التي عرفها الفرس "النسناس" الذي يعيش على ضفاف الأنهار، ويعرض للمسافر بصورة شيخ هرم طالبا إليه إعانته على عبور مجرى النهر، فإذا حمله المسافر على كتفيه وبلغ به وسط النهر، شد النسناس على عنقه وأهلكه.[1]

ويسأل سائل: كيف جعلت الليالي البحر موطنًا للآلهة؟والإجابة في العودة إلى الأساطير الأولى التي آمنت بها البشرية، فقد وُلِدت أفروديت إلهة الحب والجمال والجنس عند اليونانيين من زبد البحر عندما أخصى كرنوس والده أورانوس، وألقى أعضاءه الجنسية في قاع البحر[2].

ومن هنا قدّس الآدمي البحر، وراح يرمي القرابين في أعماقه؛ ليتقرب للآلهة التي تسكنه؛ ففي هايتي يقوم الناس بطقوس واسعة لإطعام إله البحر (أغوي)؛ حيث يرسلون له الهدايا عبر سفنهم إلى قصره البحري[3].

ثم ما لبثت حكايات الجن والعفاريت أن انتقلت من أساطير فارس إلى الترك؛ إذ اعتقد الأتراك بوجود جنيات في الماء خلقت من إله الشر الذي يرون أنه يسكن الأرض، ويغوص في أعماق الماء، وينازع إله الخير؛ لذلك خلق لنفسه أتباعاً من الشياطين، ووصف بأنه خبيث السريرة، شديد الميل إلى الشر، ويذكر أن بعض الأتراك عبد الشياطين اتقاء لشرها[4].

وفي حكاية "قمر الزمان ابن الملك شهرمان" تظهر جنية تسكن في بئر روماني قديم، إذ يرد في الحكاية: "إن اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين، فلما استمر قمر الزمان نائما طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء"[5].

أما الآبار المهجورة،؛ فنظر الأقدمون إليها نظرة تقديس ممزوجة بالخوف، واعتقدوا أنها مسكونة بأرواح شريرة، أو أن لها حارسا خفيا من الأرواح.[6] فإذا لم تكن حاملة الماء، فهي

---

[1] يُنظر: معلوف، شفيق: **عبقر**،ط3، منشورات العصبة الأندلسية،دار الطباعة والنشر العربية، 1949م، ص 84.

[2] يُنظر: طلال: **معجم الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة**، ص39.

[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص39.

[4] المصري، حسن مجيب: **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ط1، دار الثقافة للنشر، 2000م، ص 69.

[5] **ألف ليلة وليلة** 2/ ص 106.

[6] محيي الدين، علي الدين: **الجزيرة العربية قبل الاسلام**، ص156؛ نقلاً عن: شتية، منال عبد الفتاح: **قداسة المكان في الشعر الجاهلي**،" رسالة ماجستير غير منشورة" جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،2017م، ص24.

حاملة الأرواح؛ إذ هي الطريق إلى العالم السفلي، وفي الفكر السومري (آبو) هو العالم الأسفل، وهو أيضا مياه الأعماق، ومن طرق الوصول إليه الحفر العميقة[1].

وورد في حكاية "حاسب كريم الدين" أن حية عظيمة سكنت بئراً تقول الحكاية: "وخرج من تلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر، ووجهها وجه إنسان وتتكلم بأفصح لسان، وهي ملكة الحيات."[2]

وهذا يؤكد عداء الحية والشيطان للحياة والخصوبة، وعشقها لأماكن المياه؛ فقد جاء في المعتقد العربي[3] "أن المياه مسكونة بأرواح الجن، وأن تلك الأرواح اتخذت هيئة الأفاعي، وأن البقع الكثيفة بالنبات والأحراش، كانت مسكونة بالأرواح الموجودة على شكل حيات" [4].

وترتبط الحيّة بالخصب منذ العهد الأول الذي يعود إلى الفردوس، يوم كانت[5] "على شاطئ نهر الكوثر، وأكلها من الزعفران، وشربها من ذلك النهر"[6]. فوجودها على نهر الكوثر يدل على علاقتها المتينة بمعنى الماء والحياة[7].

وهذا من شأنه أن يدّل على متين علاقة الحية بقيمتي: الماء، والحياة. أما زمان وجودها فكانت موجودة قبل آدم بألفي عام، وقديما كانت المعرفة في المجتمعات القديمة لما تقوم عليها من التقليد والتكرار قرينة للتجربة وطول العمر.[8]

---

[1] الماجدي، خزعل: **الدين السومري**، ص 55،56.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 3/ 106.

[3] صالح، حليمة: **الجن في الشعر الجاهلي**، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م، ص200.

[4] **الحيوان**، ت: عبد السلام محمد هارون، ط3، بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، 1388هـ، 1969م، ص133.

[5] عبد الله: **الحية في الشعر الجاهلي**، ص165.

[6] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، بيروت: المكتبة الثقافية،، ص36.

[7] يُنظر: عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ص318.

[8] يُنظر: المرجع نفسه، ص318.

تأتي الحية بإرثها ورموزها لتلقي بقداستها على البئر؛ فهي ترمز إلى الموت والشر من جهة، وإلى الحياة والخلود من جهة أخرى[1]، والحية ذات طابع مائي؛ ومما يدلل على ذلك أنهـــا تعيش في البحر بعد أن كانت برية، وفي البر بعد أن كانت بحرية[2].أُعتبرت حارســـة الينـــابيع كحية جلجامش[3].

واعتقد العرب أن الشياطين تتخذ هيئة الأفاعي، وأن أماكن المياه مسكونة بأرواح الجن، وأسطورة الأفعى التي كانت تخرج من بئر الكعبة[4]، هي من بقايا هذه المعتقدات التي تربط بين الحية والماء، وتجعل منها حارسة للكنوز ورمزاً للخصوبة.[5]

وغدت البئر في نظر الإنسان مُقدسة؛ لأنها تصل بين عالمه الأرضي والعالم الســـفلي، فهي بوابة هذا العالم وَمنفَذُه، من خلالها ينزل الموتى إلى هذا العالم الذي[6] "يُشكل طبقة وســـطى بين الأرض ومياه الغمر الأولى"[7].

وعُدّت الحيّة بمثابة روح للشجرة، وحارسةٍ لمياه الينابيع، نَجدها في كثير من الأعمـــال التشكيلية وقد التفت حول الشجرة ومن تَحتِها تنبثق مياه الينبوع، وهذه العناصر الثلاثة: الشجرة والأفعى والنبع تتكرر في كثير من الرسوم؛ مما يشير إلى أنَّ الأَفعى هي رمز لِخصب الطبيعة بِشكلٍ عام[8].

واعتقد الكنعانيون "أنَّ الروح تستقر في قعر البحر، تسلك في الظلمـــات وفـــي أعمـــاق الهاوية"[9]، وجاءت الملحمة السومرية "هبوط إنانا إلى العالم الأسفل" التي أعاد البابليون صياغتها

---

[1] يُنظر: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 51.

[2] الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م، 1/ص394. نقـــلاً عن:.الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص52.

[3] يُنظر:نعمة: **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص39.

[4] يُنظر: الجاحظ: **الحيوان**، 282/5.

[5] يُنظر: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص52.

[6] ينظر: الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص37،36.

[7] يُنظر: السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**،ط1،بيروت:دار الكلمة،ص220.

[8] ينظر: السواح، فراس: **لغز عشتار**،ص139.

[9] الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط1، عمان: دار الشروق، 2001م،ص250. نقلاً عن:الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص42.

في "هبوط عشتار" لتصور دورة الحياة النباتية بين الجدب والخصب، وكان مدخل هذا العالم في بابل ذاتها، في فتحة بئر تقع في مدينة الوركاء.[1]

فكان هناك صلة بين البئر والأفعى؛ فالبئر مسكن لها، وهي حارسة حامية لها، فأينما وُجدت البئر وُجدت الأفعى. ومن اعتقاد العرب أن البئر مسكونة بالجن وقد تمثلت في هيئة أفعى. وكانت الأفعى هي التي حرمت جلجامش الخلود بسرقة نبتته[2]. وقد ورد في الملحمة ذلك:

ذلك:

"رأى جلجامش بئراً ذات ماءٍ باردٍ

فنزل إليها واستحم بِمائها

وَشم الثعبان رائحة النبتة

وفي عودته نزع عنه قِشرته وفي ذلك اليوم جلس جلجامش يبكي"[3].

والماء نموذج بدئي أصيل، وموتيف ميثي قديم، هو الأول والآخر؛ لأنه رمز لبداية الكون ونهايته، وهو وسيلة التجدد والخلود، إنه الحياة والموت معاً. وفي ظل تغلغل معاني قداسة الماء في ضمير الإنسان القديم، وحضورها في فكره الميثوديني يمتد ارتباط الماء بالروح في نشأتها الأولى إلى مستقرها بعد موتها، وأن تنعكس هذه العلاقة الأزلية بينهما على مكانيهما المقدسين: البئر (مستودع الماء/ الحياة).[4]

---

[1] كريمر، صمويل نوح: **السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم**، تر: فيصل الوائلي، الكويت: وكالة المطبوعات، ص78. نقلاً عن:الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص42.

[2] يُنظر: النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1981م، ص149.

[3] الأحمد، سامي: **ملحمة جلجامش**، بيروت: دار الجيل، 1984م، ص532.

[4] يُنظر: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 43.

والبئر أنثى في اللغة والأحلام؛ لأن قيمها "يُدلي بدلوه فيها، ولأنها تحمـــل المـــاء فـــي باطنها"[1]، وكان الإنسان على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجوده، ويشهد على ذلك، ما كان للبئر من قداسة، فهي مصدر للحياة بمياهها؛ فبداية عملية الخلق والتكوين كانـــت فـــي البئر؛ حيث نشأ الكون من مياه الغمر المياه الأولى، هذا ما اعتقد في جميع الحضارات وعلـــى مر العصور.[2]

فالفضاء البحري في "ألف ليلة وليلة" يتخذُ من الأحياز المائية مَسرحا لأحداثه؛ فهو يضمُّ الحوريات "عرائس البحر"، وهو مكان مُتخيل أراد السارد أن يلفت انتباه القارئ، وهو مكان حاز على الدهشة والإعجاب.

وحكايات "ألف ليلة وليلة" بداية الأمر هي في أصلها نص، والنص بطبيعة الحال يتضمن عناصر مُكونة له، هذه العناصر هي لَبنة الزمن ولبنة المكان والأحداث والموضوعات.

---

[1] ابن سيرين: **تفسير الأحلام الكبير**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،1995م، ص 302 ؛نقـــلاً عـــن:الـــديك، إحســـان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص44.

[2] يُنظر: الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**،ص40.

الفصل الثاني

التجلّيات الموضوعية

لعشتار في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول: الجمال الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الثاني: الحب الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الثالث: الجنس الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول

الجمال الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

زخرت الليالي بأوصاف عدّة للمرأة الصبيّة، صمم فيها القاص شكلًا معينًا لوصفها، فهي فائقة الحسن والجمال، ولعلّ أوضح تعبير عن ذلك القول الآتي: "وفتح الصندوق وأخرج منه علبة، ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية، كأنها الشمس المضيئة"[1]، فالمرأة في الليالي لها صفات قد لا يكون لها مثيل إلا في الحور العين، أو في موروثات الأمم القديمة؛ إذ تصل إلى درجة جمال الآلهة كعشتار ذات الوجه الأبيض.

ويصل وصف الصبيّة ذروته في حكاية "الحمال مع البنات"، حيث تقول: "فوجدها صبية رشيقة القد كاعبة النهد، ذات حسن وجمال،وقدّ، واعتدال،وجبين كثغرة الهلال، وعيون كعيون الغزلان، وحواجب كهلال رمضان،وخدود مثل شقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الإشراق،وبطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب"[2]، إن تلك الأوصاف تتلاقى مع الزهرة التي تحمل معاني البياض والإشراق والبهجة والحسن، فقد أُطلق عليها: كوكب الحسن وملكة السماء؛ لأنها تعني البياض والإنارة[3].

وفي تشبيه الصبيّة بالكوكب الدري كما ورد في حكاية "الحمال مع البنات"[4]؛ إشارة صريحة إلى وقوف المخزون الأسطوري وراء ألفاظ الحكايات فالكوكب الدري هو الزهرة _ ربة الحسن _ التي عبدها عرب جنوب الجزيرة، وكانت عندهم "عثتر" وهي التي أصبحت عستارت أو عشتروت في "أوغاريت"، وكانت عند الكنعانيين رمزٌ للحب والحسن والإشراق، وشخّصها الجاهليون في التمثال المعروف بالعزى.[5]

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 6/1.

[2] المصدر نفسه، 42/1.

[3] ينظر: الحوت، محمود سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، بيروت: مطبعة دار الكتب، 1955م، ص85.

[4] يُنظر: **ألف ليلة وليلة**، 42/1.

[5] يُنظر: عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ص 212.

وجمال الصبيّة في الليالي يفوق الشمس المضيئة أو القمر المنير، وفي ذلك تمجيد للجمال الأنثوي الوارد في الحكايات، فهو يكاد يفوق جمال الآلهة السماوية كالشمس والقمر[1]، يرد في الحكاية: "وإذا بصبية خرجت من الناموسة مثل القمر"[2].

وتلتقي الشمس مع عشتار وربما تكون بمثابة أمها، ففي اليمن تلقب بأم عثتر، ويُرمز لها في الرسوم والفنون اليمينة بعدة رموز كل رمز منها يشير إلى خاصية من خواص الآلهة، وعثر في مدينة ريدان على صورة نصفية لامرأة تمسك نهديها بيديها، وترتدي لباسًا يشبه الحضريين[3]. أما القمر فهو إله عربي يطلق عليه المقه، وتعني الكلمة عند الفراهيدي بياض في زرقه، يُقال: المقه أشدها بياضًا وامرأة مقهاء وسراب أمقه، أي أبيض[4]؛ ويبدو من كل ذلك أن معنى المقه هو الحب غير الحب الجنسيّ.

ومما ورد في تشبيه جمال المرأة بالقمر "وإذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل على الأرض فاندهش عقلي وصرت مشتاق إليها"[5].

ولعلّ القمر يبلغ ذروة جماله في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري، وهذه العمر الزمنيّ أجمل ما يمكن تشبيهه للفتاة البيضاء كما يرد في حكاية "التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة"، إذ تقول: "إلى أن صار عمري اثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعوني عنها إلى أن دخلت عليها يوما من الأيام وهي جالسة في البيت ؛لأنها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر"[6]. وفي موضع آخر: "صارت العروسة كأنها البدر إذا أقمر في ليلة أربعة عشر"[7].

---

[1] ينظر: الجوزي، مصطفى، **من الأساطير العربية والخرافات**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،، 1977، ص103.

[2] **ألف ليلة وليلة**،77/1.

[3] ينظر: العزاوي، أدهام حسن فرحان: **العبادات الفلكية عند العرب قبل الإسلام**، ط1، الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015، ص65.

[4] ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **معجم العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، 170/4.

[5] **ألف ليلة وليلة**،384/1.

[6] **ألف ليلة وليلة**، 195/1.

[7] المصدر نفسه، 1/ص96.

أما عن سبب اختيار اليوم الرابع عشر كيوم مميز للبهاء القمر وإضاءته، فربما يكــون مرده إلى قوله تعالى: "**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقّ الْقَمَرُ**"[1]؛ إذ يفسّر أبو حيان التوحيدي سبب نزول الآية بقوله: "إن مشركي قريش قالوا للنبي أن كنت صادقًا فشق لنا القمــر فــرقتين، ووعــدوا بالإيمان إن فعل ذلك، وقال ليلة بدر أي ليلة أربعة عشر في الشهر فسأل ربه فانشــق القمــر، فقالوا سحر مستمر ولم يؤمنوا"[2]، وفي موعد انشقاق القمر كما يظهر في التفسير السابق إضاءة للكون وبهاء وجمال بديع المنظر؛ لذا فتشبيه النساء الجميلات به مغالاة في المدح والتقدير.

تعدّ الدّرة رمزاً أصيلا من رموز عشتار الربة الكونية والأم الكبرى؛ ذلــك لأن أصــل المبعث الأمومي الأول كان مائيا[3]. يرد في حكاية "وصف جمال بنت ملك الهند صاحب جزيرة الأبنوس: "قال ابن ملك الهند: فرأيت قصراً محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية فلمــا نظرت إليها سجدت لخالقها؛ لِما أبدع فيها من الحسن والجمال"[4].

وبهذا تبرز صفات عشتار البيضاء المكونة في الرموز الكونية عبر مفاتيح مهمة تكمن في: الدّر، الماء، الكوكب، البياض، الإضطراب، وكأنها المرأة العشتارية، وهي رموز عرفــت بها الإلهة الكونية[5].

وقد برزت الدّرة لتعطي النموذج المتكامل للجمال الأمومي بكل نواحيه، ويبدو أن "أصل الصّورة الأسطورية لأفروديت اليونانية، هي أنها وجدت في محارة طافية على الزّبد، وأفروديت اشتقت من لفظة "أفروس" بمعنى الثلج أو زبد الموج، وغدت فيما بعد رمزاً للحب والخصــوبة واتصلت بنظيرتها الشمس لشدة إشعاعها وتألقها وقوة سحرها"[6].

---

[1] القمر، 1.

[2] المصري، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني: **تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2014، 14/4.

[3] يُنظر: سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص134.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 57/1.

[5] ينظر: سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص135.

[6] الحسين: **أنثروبولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام**، ص 179.

تحاكي العذارى في الهياكل المعبدية، فِعل الربة السماوية، وممثلتها الأرضية، فيتهــولن بأجمل اللآلئ العشتارية، ليكن محط إعجاب طلاب الشهوة واللذة، فهي في ليالي العشق الإلهــي المفعم بالمتعة[1]. فالمرأة في "ألف ليلة وليلة" صاحبة صون وعفاف، يرد في الحكاية:" فلما نظر بدر الدين صفاء جسد قمر الزمان عانقها... فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيرة ما ركبت، فأزال بكارتها"[2].

ولا تكاد تخلو حكاية من الحكايات من ألفاظ تشير إلى الجمال وروعته، فهــو العمــود الفقري للنصوص وبه تتباهي النسوة على غيرها ومن خلاله تعبر عن ثقتها، فالجســد الفتّــان والفتيّ الشاب يحقق أماني الصبيّة ويبعد عنها الهموم والاغتراب، ويجعل الفتية يتسابقون للظفر بها حتى تورث في قلوبهم حسرة البعد والفراق القاتل، ويتجلى ذلك في القول: "فكشفت القنــاع عن وجهها فلما نظرت وجهها أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا أملك عقلي ثم رخت قناعها، وجعلت أكرر النظر إلى وجهها وأنشد:

جــودي علـــى بـــزورة أحيـــا بهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ها قد مــددت إلـــى نوالــك راحتـــي"[3].

قدس الرجل جمال المرأة الرجل وتماهى مع وجودها وصلّى لها منــذ الوجــود، فهــذه الزهرة كما يدّعي القدماء كانت فتاة من أهل فارس، ملكة على بلدها، تتصف بالحسن والبهــاء، وقد سلبت عقل هاروت وماروت، اللذين استعدا لعبادة الله والابتعاد عن المعاصي، وحين رأياها افتتنا بها، وشغفا بحبها، وراوداها، إلا أنها أبت وانصرفت عنهم حتى يصليا للأصنام، ويشــربا الخمر، ويقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فهان عليهم شرب الخمر على اعتبار أنه أخــف المنكرات في نظرهم، فشربا وسكرا ومارسا الجنس معها، فرآهما أحــد البشــر، فخافــا مــن الفضيحة ثم سجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكبا لأنها خدعتهما بخبث طبعها وفتنتهما برونــق جمالها[4].

---

[1] يُنظر:طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، عمــان: دار فضــاءات للنشر والتوزيع، 2009م، ص276.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ص 98.

[3] المصدر نفسه، 121/1.

[4] ينظر: جمعة، بديع محمد، **فينوس وأدونيس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص15.

إن فكرة الجمال في "ألف ليلة وليلة" تتبلور أولا وتتضح من خلال تقاطيع جسد المـــرأة وخفاياه، وإذا كان هذا الرجل قديما اعتاد على تشبيه جسد المرأة بجسد الناقة، فإن مع نزوعـــه الحضري، أصبح يرى جمال عيون المرأة في عيون المها[1].

وَيُعَدُّ تجسيد المرأة الإلهة في رموز حيوانية، تحمل صفات الأنثى المثالية، وتشكل وَجهاً من وجوهها، تمثيلا نظائريا للربة الكبرى عشتار، وحضورها الكبير في عالم الحيوان، بوصفها راعية الخصب، والحياة والنماء[2].

وقد وظفت الليالي "وظفت رموز الربة الكبرى عشتار؛ للدلالة على القيم الأمومية ممثلة في الظباء والغزلان المقدسة، التي تواجدت في لوحة الجمال الأنثوي المثالي فتأسر قلب العاشق المرهف بعينين متألقتين، كعيون الطبية"[3]. يرد في الحكاية: "فنظر الحمال إلى الصبية فوجـــدها رشيقة القد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كثغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان"[4].

فقد حازت المرأة الحسناء على حظ وافر في "ألف ليلة وليلة"، بعينيها اللتـــين تشـــبهان عيني الغزالة الأم. ومما ورد في وصف جمال عُيونها "وفي وسط القاعة سرير مـــن المرمـــر وناموسة من الأطلس الأحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشـــمس المضيئة" [5]. وفي موضع آخر"فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء بأهداب وأجفان وهـــي ناعمة الأطراف كاملة الأوصاف"[6].

قدمت "ألف ليلة وليلة" وصفاً لحسن وجمال الإلهة عشتار سيدة الحكمة ممثلة بالجاريـــة الميتة إذ يرد في الحكاية:"أن الأمير موسى لما رأى الجارية تعجب من جمالها وتحير من حسنها

---

[1] ينظر: يونس: **خطاب الحب والجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص80.

[2]. يُنظر:طه: **صورة المرأة المثال**، ص307.

[3] المصدر نفسه، ص307.

[4] **ألف ليلة وليلة**،1/ص42.

[5] المصدر نفسه،1/ص42.

[6] المصدر نفسه،1/ص41.

وحمرة خديها وسواد شعرها يظن الناظر أنها بالحياة وليست ميتة، وقال له طالب بن سهل: أنها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتها زئبق وأعيدتا مكانهما فهما يلمعان كأنما يحركهما الهدب يتخيل للناظر أنها ترمش بعينيها وهي ميتة" [1].

وثمة أسطورة عربية لامرأة حادة البصر كانت تُعرف بزرقاء اليمامة، وسميت بهذا الإسم نسبة إلى اليمام_ الحمام_ وقد رجح عبد الله الطيب كون زرقاء اليمامة هذه إلهة من إلهات العرب المؤنثات أو كانت كاهنة ثم أُلهت فيما بعد، وكانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام[2].

وقد عرفت زرقاء اليمامة بصدق نبوءتها؛ ولذا اقترنت بالوجه الأسود (لعنانا/ إنانا)[3]؛ فهي تمثل الكاهنة العالمة، العارفة، الرائية، الحكيمة، والمُطلعة، والكاشفة عن حجب الغيب[4].

يبدو أن ما ورد في "ألف ليلة وليلة" مردّه إلى أسطورة زرقاء اليمامة،إذ يرد في النص:

"استباح حسان جديس وقتلهم وسبى صبيانهم،

ثم دعا باليمامة، بنت مر، فأمر فنزعت عيناها،

فإذا في داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك، فقالت: حجر"[5].

تقدم "ألف ليلة وليلة" وصفاً لجمال الصبية فـ"لها أنفٌ كحد السيف المصقول، ولها وجنتان كرحيق الأُرجوان، ولها خد كشقائق النعمان، وشفتاها كالمرجان، وريقها أشهى من الرجيق،ولها بطن مطوية كطي القباطي المصرية،وخصر مختصر من وهم الخيال" [6].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ص183.

[2] يُنظر: الحسين: **أنثربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص197.

[3] يُنظر: الديك، إحسان: **الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي**، نابلس: مجلة جامعة النجاح الوطنية، مج 13، ع2، 1999، ص17.

[4] يُنظر: الديك،إحسان: **الكاهنة الجاهلية: قراءة في مكانتها ولغتها**، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب: جامعة البحرين، 2010م، ص3.

[5] الربيعي، فاضل: **أبطال بلا تاريخ" الميثولوجيا الإغريقية والأساطير العربية"**،ط1،دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص 99.

[6] **ألف ليلة وليلة**، 2/ص108.

ولا يُغادر الجمال الليالي البتة،فَهوَ كاللباس الذي يرتديه الإنسان؛ ففي أسواق النخاسة تزدهر أخبار النساء وقصصهن، فتدور الأحاديث عن الجواري، ولا تظل صفة للجمال إلا وتلصق بهن، حتى إذا ما جئن إلى السوق يكون الناس في حالة ترقب لمشاهدتهن، والتمتع بجمالهن، وفي أسواق الجواري تتواجد النساء العجائز العارفات بأسرار الجمال اللواتي يبعن معاجين التجميل، والأعشاب، والبذور، والزيوت للنساء[1]. يرد في الليالي: "وقفت الجارية واشترت عشر مياه ماء ورد وقدرا من السكر وحصى بان وعودا عنبرا ومسكا وأخذت شمعا إسكندرانيا"[2].

ورضى الصبيّة الجميلة عن الرجل هو إنجاز عظيم له كما يظهر في الليالي فأجمل الأوقات هي التي يقضيها بصحبة فتاة ساحرة الجمال، ويرى بهجة الحياة في المكوث معها ليلة واحدة، وفقًا للقول: "فلما دخلت ظفرت بها، وفرحت بدخولها، فردت الباب علي وعليها، وكشفت عن وجهها وخلعت أزارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكّن حبها من قلبي، فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج إليه المقام، وأكلنا، ولعبنا، وبعد اللعب شربنا، حتى سكرنا ثم نمت معها في أطيب ليلة إلى الصباح"[3]؛ والظاهر من هذا النص هو قيمة المرأة وجمالها فهي التي تبعث الحياة في الرجل، وتجعله شابًّا قويًّا، ولعلّ النص يرتد إلى أساطير قديمة غرست في عقلية الإنسان القديم والحالي قدسية المرأة وأهميتها، يؤكد ذلك ما ورد على لسان فينوس:

"آن كبير الآلهة وخالقنا جميعًا، بل وخالق كل الكائنات

عندما بعث العشق في جسدي، جعلني في صورة امرأة

لذا فإنني لست من البشر ولست من الملائكة

بل إنني من جوهر أسمى من كليهما معًا

---

[1] ينظر: حميد، حسن، **ألف ليلة وليلة، غيبوبة القص غيبوبة الاستماع**، ط1، القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة، 2006م، ص141.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1،ص42.

[3] المصدر نفسه، 134/1.

إنني ربة النوع في لغة العرب، وإلهة الجمال في لغة الأدب"[1].

فتغدو صورة المرأة المُسفرة عن وجهها صورة مُتكررة في "ألف ليلة وليلة"، حيث غدت صورة الأم الكبرى عشتار إذ يرد في الحكاية: "فازدحمن النساء ورفعن ما كان على وجـوههن من النقاب وتحيرت منهن الألباب" [2]. فالخمار أو القناع الذي كان للعزى في تصور العرب هو عينه قناع عشتار الذي اشتهرت به، فكانت تسفر عن وجهها أمام عبادها فقط، وقد ارتبط هـذا القناع بالحب عند الجاهليين فهم يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها، وشقت رداءه صلح حبهما ودام، فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما[3].

والمرأة في "ألف ليلة وليلة" تُعرض للبيع كأية قطعة أثرية، أو لوحة فنية في مزاد علني، وها هو سيدها يتفنن في عرض مميزاتها السلعية الجمالية: "وقال: يا تجار، يا أرباب الأمـوال، من يفتح باب السعر في هذه الجارية سيدة الأقمار الدُرة السنية زمرد السنورية بغيـة الطالـب ونزهة الراغب؟ فافتحوا الباب، فقال بعض التجار:عليَّ بخمسمائة دينار"[4].

ولكن الجارية تَرفض أن تُباع للشيخ رشيد الدين باعتباره على مشارف العمر، ورؤيتها بضرورة أن يكون سيدها جميلاً قادرا على المستوى الجسدي[5]. تُعبر الجارية زمرد عن مكنون جسدها وطموحه بقولها للدلال: "إنَّ الجارية لما وقع نظرها على علي شار، نظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة وتعلق قلبها به؛ لأنه بديع الجمال وألطف من نسيم الشمال، فقالت: يا دلال أنا لا أُباع إلا لسيدي صاحب هذا الوجه المليح والقد الرجيح؛ لأن خده أسيل ويشفي العليل" [6].

وفي معظم الليالي تركز شهرزاد على جمال المرأة والغلمان، في المجتمعات، إذ يصبح الجمال هدفاً من أهداف الحكاية[7]. وطبيعي أن تحقق شهرزاد حالة التراضي بين أنس الوجـود

[1] جمعة: **فينوس وأدونيس**، ص179.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ص96.

[3] يُنظر:الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص42.

[4] **ألف ليلة وليلة**،2/ص295.

[5] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص27،26.

[6] **ألف ليلة وليلة**،2/ص297،296.

[7] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص43.

والورد في الأكمام إلى أن يأتي هادم اللذات ومفرق الجماعات، فالورد في الأكمام هـي بنـت الوزير إبراهيم أما أنس الوجود فهو أجمل شباب المملكة؛[1] إذ "لم يكن أحسن منـه منظـراً ولا أبهى طلعة، نَّير الوجه، ضاحك السن، طويل الباع، واسع المنكب"[2].

فالجواري في "ألف ليلة وليلة" يتمتعن بجمال أخاذ وذكاء وقاد.وقد كان الجمال الآسـر أولى الصفات الواجب توافرها في الجارية الطامحة في الوصول إلى بلاط الخليفة، ومما لا شك فيه أن أؤلئك الجواري الجميلات الفاتنات كُن مثار الحسد من قبل الملكات زوجات الخليفـة أو الأمير[3].

والغيرة من جمال الجواري كانت سبباً دائماً ولازماً من أسباب القضاء عليهن، أو الكيد لهن، فالسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد تَدفن إحدى الجواري حية لأنها استحوذت على الخليفة وأشغلته عنها[4].

ويتربع اللون الأبيض على عرش الجمال، فهو لون ملائكي، والنسوة البيضاء حـازت على اهتمام العشاق والشعراء منذ قديم الأزل، وقد أقرّت الليالي بذلك في الأسطر الآتية: "عشر جوار كأنهن الأقمار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الأبصار وكلهن أبكار بـديعات كما قيل فيهن هذه الأبيات:

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالي

زاد حسنها جمالا من بديعات الخلال

كل هيفاء قواما ذات غنج ودلال"[5].

---

[1] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص111.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 2/ص360.

[3] ينظر: حميد: **ألف ليلة وليلة" غيبوبة القصّ_ غيبوبة الاستماع**"، ص99،98.

[4] ينظر: المصدر نفسه"، ص99.

[5] **ألف ليلة وليلة**، 219/1.

وفي الوسط الشعبي يُعَدُّ اللون الأبيض رمزاً للنقاء والصفاء، والطهر، والأمل والسلام، وهو يرمز إلى الخير، ويعتقد الإنسان أن العين الدورية تفيض تارة، وتجف تارة أخرى، بحيث تسكنها روحان، إحداهما بيضاء، وهي التي وتسبب انسياب الماء من العين؛ أي أن هذه الـــروح البيضاء هي مصدر الخير والعطاء.[1]

وهذه عشتار بوجهها الأبيض تظهر جميلة منعمة، بدينة مخصبة؛ فهي عشـــتار البغـــي والمتعة الدنيوية، وربة الخصب والحياة، وقد ارتبط قناعها الأبـــيض بالحـــب والغـــزل عنـــد الجاهليين[2]. فاللون الأبيض يرسخ الطهر والنقاء المبين عن الجانب الإخصابي فـــي الوظـــائف الأمومية الكبرى[3].

وصورة دنيا البرمكية هي صورة للأميرة الفارسيّة، أو الهنديّة، أو الروميّة، التي تحتل فضاءً مهماً في "ألف ليلة وليلة"، وكل هاته النسوة كنّ يتهالكن للحصول على الجواهر الثمينـــة، ويبالغن في التفنن في إظهار جماليات أجسادهن تمهيداً لاصطياد الرجال[4].

وكانت النساء حرائر وجواري يبالغن في أناقتهن وزينـــتهن، فَكـــن يلبســـن الســـندس والإستبرق من كل لون، وكنَّ يتحلين بالجواهر من كل صنف، وكنَّ يتخذن منها تيجانا، وعقودا، وأقراطا، وخلاخل، وكنَّ يضعنها بصورة مختلفة على عصائبهن[5].

ويظهر العنق الأمومي المثالي ناعماً، مزيناً بالحلي الأموميّة المقدسة، كاللؤلؤ والياقوت واللؤلؤ والذهب فالملكة في الليالي تلبس حُلة مزركشة باللؤلؤ الرطب، وعلى رأسها تاجٌ مكلـــل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقود يرد في الليالي: " قد أقبلت أكثر من عشـــرين جاريـــة كالأقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وســـطها

---

[1] ينظر: الباش، حسن والسهلي: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص217.

[2] ينظر: سلمان، نادية زياد، **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص93.

[3] يُنظر: طه: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، 308.

[4] يونس: **السلطة والجنس في ألف ليلة وليلة**، ص141.

[5] ينظر: يونس: المصدر نفسه، ص142،141.

زنار مرصع بأنواع الجواهر، وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر"[1]. ويبدو أن الزنار من الأشياء التي كانت تميز المسلمات والروميات، فالرومية مريم الزنارية تضع الزنـــار حول خصرها وقد انتشر الزنار في العصر العباسي[2].

والصبية في "ألف ليلة وليلة" تلتف بإزار موصلي من حرير مزركش بالذهب الأحمـــر. يرد ذلك في الحكاية:" أقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن، وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلى والحلل من لباس الملوك الأكاسرة عليها ثوب منقوش بالذهب الأحمـــر وفيه صور الوحوش والطيور، وفي عنقها عقد يساوي الألوف قد حوى كل فص من الجواهر ما حاز قيصر"[3].

إنَّ الحلل التي ترتديها المرأة في "ألف ليلة و ليلة" مزركشة، أو أنها زرقاء، أو خضراء. ويكثر من ذكر الذهب والفضة والثياب المقصبة وكأن جمال المرأة لاتكتمل إلا بهذه الجـــواهر الثمينة ولا يظهر مستواها إلا هذه الدرر. فالصورة حسية في وصف جمال المرأة بل إنها تتكرر بنفس الألفاظ وكذلك بالنسبة للملابس وألوانها التي ترتديها[4]، "وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الأقمار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الأبصار وكلهن أبكار بديعات"[5].

وورد "أن العزى عند العرب مثلت امرأة حسناء في صورة الزهرة، كما كانـــت عنـــد البابليين، وقد وصف كوك تمثال عشتار بأنها امرأة تلبس القلائد والقراط، فالقنـــاع الـــذي مـــن مميزات عشتار، كان للعزى عند العرب"[6].

ولم يقتصر الجمال في "ألف ليلة وليلة" على الإنسيات بل تعداه إلى الجنيات فهذا حســـن الصائغ يقدم وصفا لجمال زوجته منار السنا الجنية. حيث يقول: "إن زوجتي صاحبة وجه مليح

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،224/1.

[2] ينظر: شعلان، سناء: **المرأة في ألف ليلة وليلة**، الأردن: مجلة عود الند،ع2008،23م،ص7.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص96.

[4] ينظر: شعلان: **المرأة في ألف ليلة وليلة**، ص7.

[5] **ألف ليلة وليلة**،219/1.

[6] يُنظر: خان: **الأساطير العربية قبل الإسلام**، ص 123.

وقد رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين، بيضاء الأسنان، حلوة اللسان، ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل، بديعة الصفة، حمراء الشفة، بعيون كحال، وشفايف رقاق ووجهها منير كالقمر وريقها يشفي العليل كأنه الكوثر"[1].

وفي حكاية الوزير ريان يظهر جمال الصبية الجنية: "وإذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفي معاصمها أساور وفي أصابعها خواتم بالفصوص المثمنة"[2].

لقد باتت المرأة تشاكل عشتار وتماثيلها فتجسدت فيها عناصر القداسة والجمال، فيتربع اللون الأبيض على عرش هذا الجمال فهي تتزين بالحلى الأمومية المقدسة.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،4/ص40.

[2] المصدر نفسه،1/ ص32.

المبحث الثاني

الحبّ الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

يعد الحب في طليعة الصفات التي تتصف بها البشرية؛ فهو قيمة أساسية من قيمها؛ لأنه تجربة وجودية عميقة تنتزع الإنسان من وحدته القاسية الباردة لتقدم له حرارة الحياة المشتركة الدافئة[1]. وإذا كانت الحياة عامرة بالحب فإنه لا محالة سيترك بصماته الواضـــحة علـــى الأدب مرآة الواقع؛ فالحكاية الشعبية تزخر بوقائع الحب والعشق وأحداثها تختلج بالعواطف[2]. و"ألـــف ليلة وليلة"هي قصة القصص في التراث الشعبي العربي. الحب بلا منازع هو قضية القضايا في هذه الليالي التي ملأت الدنيا وشغلت الناس قرونا طويلة من الزمن[3].

والناظر في الليالي يجد القصص تختلف نظرا لظروف اللقاء وصفات المحبـــين ولكـــن شيئا واحدا يظل ثابتا هو الصورة المادية للمحبوبة حيث الجسم واللباس والألوان المزركشة التي ترتديها المرأة كالأخضر وهو الغالب والأزرق بصورة أقل[4].

وتزخر قصص "ألف ليلة وليلة" بحكايات الحب والعشق والغرام التـــي تأخـــذ أشـــكالاً متنوعة ومختلفة؛ فهناك قصص الحب العادية البسيطة، وقصص أخرى مُطولة ومعقدة، تأخـــذ أبطالها في رحلات وتقلبات قد تمتد سنوات كثيرة، ونجد في كتاب "ألف ليلة وليلة" نماذج لكـــل أنواع الحب والغرام الحب العذري الرومنسي الذي ينتهي إما بالوصال أو البعاد[5]، ومـــن هـــذه النماذج:

---

[1] يُنظر: حسونة، خليل: **الفلكلور الفلسطيني: "دلالات وملامح" المؤسسة الفلسطينية للإرشـــاد القـــومي**، ط1، 2003م، ص54.

[2] يُنظر:كناعنة، شريف ومهوي، إبراهيم، **قول يا طير**، لبنان: مؤسسة الدار الفلسطينية، 2001م، ص 115.

[3] ينظر: النجار، محمد رجب: ***قصص الحب في الليالي" البنى والوظائف***"، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ج2، مـــج13، ع1، 1994م، ص 152.

[4] ينظر: القلماوي، سهير: **ألف ليلة وليلة**، دار المعارف، مصر، 1967م، ص 303.

[5] يُنظر: البطوطي، ماهر: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية" دراسة في الأدب المقـــارن**"، القـــاهرة: مكتبـــة الآداب، 2005م، ص181.

المطلب الأول: العشق من نظرة واحدة

لعل أكبر دور قامت به المرأة في الليالي هو دور العاشقة، وهي في هذا الدور لا تكـاد تختلف كثيرا في القصص المتعددة، فالصورة العامة لهذا الدور، هو لقاء وحب لأول وهلـة أو نظرة[1]،" فكشفت القناع عن وجهها أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصـرت لا أملـك عقلي"[2].

ويظهر هذا في حكاية "أنس الوجود والورد في الأكمام" فبمجرد تبادل الرؤى بين العاشق والمعشوق تتحول المشاعر من الثبات والسكون إلى الانفعال والتهيج[3]. تقول الحكاية: "جلسـت ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب إذ لاحت منها إلفافة فرأت بين العساكر شـابا لم يكن أحسن منه منظرا، والأبهى طلعة، نير الوجه، ضاحك السـن، طويـل البـاع، واسـع المنكل،فكررت منه النظر مرارا فلم تشبع منه النظر"[4].وعند رؤية أنس الوجود للورد في الأكمام فكأنما رأى البدر في الأفلاك، فلم يرد إليه طرفه، إلا وهو يعشقها مشغول الخاطر.

فاللقاء يتبعه حب من أوّل نظرة، كما في حكاية الوزيرين الذي ذكر أنيس الجليس "فـإذا هو كالبدر في تمامه فأورثتهما النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفافة إليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر"[5]. وبالتالي فإن النظرة تشكل معيـاراً أساسياً من معايير العشق التي تتماثل في الأحاسيس والمشاعر وتجعل العاشقين يبحثان عن سر الأمان المتمثل في سبل الانطلاق والوصال[6].

وفي الأساطير ما يشبه الحكاية السابقة فهذه بسايكي الربة العذراء عنـد الرومـانيين، أثارت غيرة فينوس بجمالها، فأرسلت ابنها كيوبيد ليرميها بسهم، لكنه سرعان ما وقع في حبها

---

[1] القلماوي، سهير: **ألف ليلة وليلة**، ص302.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ص121.

[3] ينظر:مسكين، سعاد: **خزانة شهرزاد الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة**، ط1، القاهرة:رؤية للنشر والتوزيع، 2012م، ص238.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 2/ص360.

[5] المصدر نفسه، 167/2.

[6] ينظر: مسكين: **خزانة شهرزاد الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة**،ص238.

وتزوج منها، وكان يأتي إليها ليلا دون أن تراه. فعاقبتها فينوس بعدة مهمات، ومنحها(جوبيتر) نعمة الخلود[1].

فالإلهة أفروديت هي إلهة الحب الذي يجعل أفئدة البشر تخفق كخفق أجنحة الحمام عندما تضطرم الجنبات بالعواطف. وابنها كيوبيد هو الإله الحمامة، الذي يطير دوما بجناحين بيضاوين فيرمي بسهامه قلوب البشر ليزرع فيها الحب والعشق[2].

المطلب الثاني: العشق من سماع وصف المحبوبة

قصص الحب في "ألف ليلة وليلة" التي تقوم على السماع بأوصاف المحبوب دون معرفة المحبوب شخصياً هي قصص ذات أصل فارسي. وتعتمد تلك القصص على هيام البطل وهو عادة ما يكون أميراً أو ابن ملك من الملوك بفتاة اعتمادا على ما سمعه من أوصافها الجميلة، أو إعجاباً باسمها أو رسمها، ثم يشرع بعد ذلك في التحايل إلى الوصول إليها، ويخوض مغامرات عجيبة وأهوالاً رهيبة تنتهي ببلوغ مراده والفوز بالحبيبة والعيش معها في هناء حتى يأتيهم هادم اللذات ومفرق الجماعات[3].

في حكاية "زواج الملك بدر باسم بن الملك شهرمان ببنت الملك السمندل" مثالٌ للعشق عن طريق السماع؛ حيت يسمع الملك بدر خاله صالح يتحدث عن ابنة ملك البحار ويصف محاسنها وتستعرض ملكات البحر كما تستعرض كل ام أجمل من تعرف لتزوجها ابنها. تقول الحكاية: "أريد أن أزوجه بملكة من ملكات البحر تكون في حسنه، ما أرضى هذه لولدي ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله في الحسن والجمال"[4].

فعندما صار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق في بحر لايُدرك له ساحل ولا قرار، ويعترف بدر لخاله أنه سمعه يتحدث بأوصاف جلنار وأنه عشقها على السماع. تقول الحكاية:

---

[1] يُنظر: بادنجكي، طاهر: **قاموس الخرافات والأساطير**، ط1، لبنان: جروس برس، 1996م، ص72.

[2] السواح: **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ص149

[3] ينظر: البطوطي: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية**، ص181.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 346/3.

"إنَّ الملك بدر باسم لما سمع كلام خاله صالح وأمه جلنار في وصف بنت الملك السمندل صـــار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل"[1].

ولا يمكن أن نفصل الأساطير الماضية عمّا تجود به الليالي، فقد اشتهرت قصص الحب قديما ولعل أبرزها: ما حصل مع أتيس هو إله الخصب في آسيا، أحبته (سيبيل) حبا عذريا، لكنه خانها، وأحب حورية دفعتها غيرتها إلى رميه بالجنون، فخصى نفسه ومات، وبما أن عبادتـــه كانت تتراوح بين الحزن الشديد والفرح المفرط، فهي تمت بصلة إلى عبادة أدونيس.[2]

المطلب الثالث: العشق بصورة مجهولة

من صور العشق أيضا العشق لصورة مجهولة، لا يعلم لها اسم ولا مستقر، حيث تمثل حكاية "سيف الملوك وبديعة الجمال" نموذجا حيا لنمط العشق لصورة مجهولة. تقول الحكايـــة: "فرأى فيها قباء من شغل الجان ففتح القباء فوجد صورة بنت منقوشة بالذهب ولكن جمالها شئ عجيب. فلما رأى هذه الصورة طار عقله من رأسه وصار مجنونا بعشق تلك الصـــورة ووقـــع على الأرض مغشيا عليه"[3].

وهذه المعشوقة هي جنية؛ إذ يرد في الحكاية: "ورأى مكتوبا على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم: هذه الصورة، صورة بديعة الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك مـــن ملـــوك الجـــان المؤمنين الذين هم نازلون في مدينة بابل وساكنون في بستان أرم بن عاد الأكبر"[4].

وأيضا الرجل الصائغ الذي عشق صورة الجارية المنقوشة على الحائط في حكاية حسن الصائغ البصري إذ يرد في الحكاية: "فرأى فيها صورة جارية منقوشة لم ير الراؤون أحسن ولا أجمل منها فأكثر الصائغ من النظر إليها وتعجب من حسن هذه الصورة ووقع حب هذه الصورة في قلبه إلى أن مرض وأشرف على الهلاك فجاءه أحد أصدقائه يزوره فقال لـــه "يـــا أخـــي إن

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 347/3.

[2] يُنظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**،ص20.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص 380.

[4] المصدر نفسه، 381/3.

مرضي كله وجميع ما أصابني من العشق وذلك أني عشقت صورة منقوشة في حـــائط وهـــذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض الوزراء وهي بمدينة كشمير بإقليم الهند"[1].

ويبدو أن ما ورد من صور لعشق الصورة في "ألف ليلة وليلة" مـــرده إلـــى أســـطورة بجماليون مبدع تمثال امرأة جميلة وقع في حبها، استجابة لصلاته دبت أفروديـــت الحيـــاة فـــي التمثال[2]. وهذا نرسيس فتى عشقته الحورية إيكو، فنبذها لأنها لا تستطيع إلا أن تـــردد صـــدى كلماته. عاقبته نيمسيس بأن جعلته يعشق نفسه ويتأمل صورته. فصار لا يحب إلا نفسه، وقـــد نبتت حيث اضطجع زهرة النرجس[3].

وكانت عشتار ممثلة القوة العظمى وربة الحياة، ظهرت في الرسوم القديمة وهي تضـــم الكون كما تضم الأم وليدها، مما يؤكد سيادة الألوهية المؤنثة، يؤيد ذلك أن أقدم التماثيل التـــي شكلها الإنسان للعبادة في العصر الحجري في تماثيل إناث على شكل دمى طينية أو فخاريـــة أو حجرية على هيئة امرأة حبلى أو أم تضم إلى صدرها طفلها الصغير، أو عارية الصدر تمســـك يديها بكفيها في وضع عطاء[4].

وتتوحد صفات دمى عشتار في معابد الأم الكبرى المنتشرة في أنحاء العالم وكأنها نسخة عن دمية الأصل مع اختلاف بسيط في الشكل أو الهيئة. وبالإمكان وصف عبادة الأم الكبـــرى بأنها عبادة أممية عالمية؛ لأنَّ تماثيلها ودماها قد انتشرت في معظم بقاع العالم القديم، وكـــذلك معابدها. فظهرت الدّمى والتماثيل في دول عدّة، مثل: فرنسا، والنمسا، والهند، وآشور، وبـــلاد الشام، وقبرص، ومصر.[5]

---

[1] يُنظر: **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص205_206.

[2] شابيرو: **معجم الأساطير**، ص211.

[3] يُنظر: شابيرو: **معجم الأساطير**، ص175.

[4] ينظر: السواح: **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ص25.

[5] سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص 27،26.

المطلب الرابع: الحب بين الإنس والجن

في الحكايات الشعبية يظهر عنصر الحب بين الإنس والجن، أو القوى الغيبية بشكل لافت للنظر؛ فالمحب يزور عالم الجان ويغوص في أعماق بحاره أو غياهب أرضه وحينها يصادف عالما يعج بالأسواق والعلاقات الاجتماعية تماما مثل الإنس ويقوم البطل بمغامرات عدة يقتحم من خلالها المجهول ويقترب من التمازج مع عالم الجن فيحب جنية أو تحبه جنية[1].

وتأتي حكاية "حاسب كريم الدين" تأكيداً لذلك " فبينما جانشاه جالس إذ أقبل عليه من الجو ثلاثة طيور في صفة الحمام ونزعوا ما عليهن من الريش فصاروا ثلاث بنات وكأنهن الأقمار ليس لهن في الدنيا شبيه، فلما رآهن جانشاه تعجب من حسنهن وجمالهن واعتدال قدودهن، وتعلق قلبه بالبنت الصغيرة وكان اسمها شمسة"[2].

ولا تكاد تخلو قصة من حكايات شهرزاد من وجود دور للجان الجان، بدرجات متفاوتة، فأكثر أدوار الجن في الحكايات تلك التي يتفق فيها جني وجنية على مساعدة عاشقين من الإنس في الحب والوصال، وقد جاء ذلك في حكاية "نور الدين مع اخيه شمس الدين"؛ إذ يحتال الجني والجنية على إتمام نية زواج ابن نور الدين من ابنة عمه شمس الدين بعد الكثير من المغامرات والأمور المدهشة[3].

وتمضي حكاية "قمر الزمان والملكة بدور" في إطار من التنافس بين الجنية ميمونة والعفريت دهنش على جمال قمر الزمان وبدور، وعلى أيهما أفضل من الآخر، ويستخدمان قدرتهما الجنية في التنقل بالحبيبين من مكان إلى آخر في لمح البصر، وفي تدبير الأمور والتدخل في خطط بني الإنسان، كي يحققا في النهاية اللقاء بين قمر الزمان والملكة بدور بعد

[1] ينظر: دوابشة، محمد: **المرأة في الحكاية الشعبية الفلسطينية**، ص 79

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ ص69.

[3] البطوطي: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية**، ص241.

كثيرٍ من المغامرات وتقلبات الدهر.[1] " فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور وخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها إلى مكانها وأعاداها إلى فراشها"[2].

ونجد مواضيع حب في "ألف ليلة وليلة" الحبيب فيها آدمي والحبيبة جنية، وقد تستطيع أن تطير. كما في حكاية التاجر مع العفريت: "وجدنا على شاطئ البحر جارية فقالت: يا سيدي، تزوجني وخذني إلى بلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا، فأخذتها وكسوتها وقد أحبها قلبي... أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل،واعلم أني جنية رأيتك فحبك قلبي" [3].

ويعشق الإنسي الجنية كما حدث مع الملك حسن البصري الذي يعشق الجنية منار السنا بنت ملك الجان، إذ يرد في حكاية حسن الصائغ: "أن الملكة نور الهدى كتبت كتابا إلى الملك أبيها تخبره: أنه ظهر في بلادنا رجل من الإنس وأختي منار السنار تَدعي أنها تزوجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنا ويسمى حسنا وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويل من الزمان، ثم أخذت أولادها وأتت من غير علمه"[4].

وعلى النقيض مما سبق يتضح حب الجني للإنسية عندما يخطفها ليلة زفافها، فيبعدها عن العالم الإنسي، وهذا ما أشارت إليه حكاية "الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان": "فلما نظر إليها الجني قال: يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلا، ثم أن الجني وضع رأسه على ركبتيها ونام، فرفعت رأسها إلى أعلى الشجرة، فرأت ملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجني من فوق ركبتيها ووضعته على الأرض"[5]، هذا الجني قدموس هو إله يوناني من فينيقيا بحثا عن أخته أوروبا التي اختطفها زيوس بعد أن اتخذ شكل ثور وحملها على ظهره إلى جزيرة كريت[6].

---

[1] البطوطي، ماهر: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية**،ص243.
[2] **ألف ليلة وليلة**،2/ص118.
[3] المصدر نفسه، 1/ ص16.
[4] المصدر نفسه، 4/ص56.
[5] المصدر نفسه، 8/1.
[6] يُنظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص181.

وقد تحبّ الجنية رجلا من الإنس في الليالي وهذا يرد في حكاية "أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام": "كانت تلك الجنية من جن الصين وقد أحبت إنسانا ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها فلما زاد الغرام فتشت في الأرض على مكان تخفيه فيه فاختطفت محبوبها وولدت منه أطفالا متعددة"[1].

وقصص الخطف هذه جاءت في إطار استعادة لأساطير قديمة من بينها أسطورة أريشكيجال: وهي إلهة العالم الأسفل، في نص الجحيم السومري اختطفها "نرجال" إلى عالمه الأسفل وجعلها سيدته. وفي الميثولوجيا الإغريقية اختطفها "هاديس إلى عالمه الأسفل، وجعلها سيدته، وزوجة لسيد عالم الموتى[2]. وكذلك أسطورة إيو وهي ابنة إيناخوس، ملك أرغوس، أحبها زوس الذي سحر بجمالها، فحولها عجلة حتى يتقي غيرة زوجته "هيرا"، وجعل حارسها "أرغوس" من قبل "هيرا"، ولما اشتاق " زوس" إلى عجلته الحبيبة، أرسل "هرمس" فاختطفها له[3]. وهذا ينطبق تماما على أسطورة ديميتر: هي إلهة الأرض والحقول والحنطة عند اليونانيين، اختطف "هاديس" ابنتها "بيرسيفوني"[4].

المطلب الخامس: الحب العذري

تفيض الحكايات بقصص الحب العذري، وهو حب يعلو فوق متطلبات الغريزة الجنسية، ولكنه حب لا ينكر الجسد، غير أن الظروف التي تحيط بالعاشقين تمنعهما من تحقيق آمالهما بالاتصال الجنسي، فمجرد الإعلان عن نية الزواج تبدأ الظروف في تحقيق عامل الحرمان (حيث لا إشباع)، رغم ذلك لا تنطفئ جذوة الحب، بل يزيدها الحرمان والكبت اشتعالًا، ولأن النفس مولعة بحب ما منعت منه، سيظل العاشقان يعانيان القسوة والمرارة التي قد تؤدي بحياتهما.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،2/ص375.

[2] ينظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص29،28.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص61،60.

[4] يُنظر: المصدر نفسه، ص118.

ويظهر الحب العذري جلياً في حكاية "علي بن بكار مع شمس النهار"، تنشأ علاقة حب بين البطل علي بن بكار مع شمس النهار، التي تحظى بمكانة لافتة لدى أمير المؤمنين، غير أن حبهما لم يكتمل، الأمر الذي ألهب نيران العشق والهيام، وعلى الرغم من المراسلات الطويلة بينهما، والعيش في بيت مشترك، فإن هذه العلاقة ظلت طاهرة محكومة بالعفة والنقاء.

ويُعَدُّ هذا "مثالًا للحب العذري الصادق، الذي تدخلت فيه ألوان الحياة واتجاهاتها المختلفة، والتي حرمت المحبين من اللقاء فأورثت فيهما الآلام والعذابات، وهناك شبه بين ما حل بأسطورة إناناودموزي ؛ إذ تفضل الإلهة إنانا الفلاح (أنكيدو) على الراعي (دموزي)، وعلى هذا يدور حوار بين إله الشمس آوتو وبين أخته إنانا، التي هامت بحب أنكي، ولكن أخاها وقف عارضًا في طريقها، وحاول ثنيها عن الزواج من أنكيدو معددا خيرات دموزي التي ستحصل عليها إن قبلت به، غير أنها تظل مصرة على أنكيدو، ويظل قلبها معلقًا به، دون أن يحصل اجتماع بينهما:

"يا أختي تزوجي الراعي

يا إنانا العذراء، علام أنت ترضينه زوجا؟

إن سمنه دسم، ولبنه طيب، فيا أنانا تزوجي الراعي دموزي.

ولكن أنانا تجيبه: لن أتزوج الراعي، ولن ألبس ثيابه الخشنة

أنا العذراء، صممت على الزواج من الفلاح

الذي يزرع أنواع النباتات الكثيرة وضروبا مختلفة من الحبوب"[1].

وفي حكاية "جميل بن معمر لأمير المؤمنين"، يظهر راعيًا كان يتعشق ابنة عمه الثرية، فمنعها عنه أبوها ولم يوافق على زواجهما فأضرمت نار العشق بينهما، وكانت تذهب إليه في

---

[1] شحيلات، علي، والحمداني، عبد العزيز إلياس: **مختصر تاريخ العراق (تاريخ العراق القديم)**،بيروت: دار الكتب العلمية، 2012م، ص260.

الصحراء، حيث اعتزل الحياة، ومع ذلك فقد شهد حبهما عفة، وكانت الهواتف من الجن تبـــارك هذا الحب، وترثي حال العاشقين العفيفين[1].

ولعلّ شهرزاد قد استوحت حكاية جميل بن معمر، وهو شاعر واضح الشخصية، ظــلّ يتغني ببثينة معشوقته، إحدى نساء قبيلته، حيث تحابا صغيرين، ولم تلبث أن الهمته الشـــعر، إذ أحبها حبا انتهى به الهيام بها، وعرفت ذلك فمنحته حبها وعطفها، وأخذت تلتقي به في غفــلات من قومها وخشي أهلها مغبة هذا اللقاء، فضيقوا عليها الخناق. على الرغم مما عرفوا أن الحب بينها وبين جميل نقي برئ[2].

وأخذت الألسنة في الحي لا تكف عن التعريض بالمتحابين، فهجرته، واحتجبت من دونه راغمة، كانت تلتمس فرصة من أهلها أحيانا فتلقاه، فتشرق الدنيا في عينه، ويسعد سعادة لا حد لها، وخطبها من أبيها فرده، لكراهة العرب أن يزوجوا فتياتهم ممن يتغزلون بهــم، ويزوجهــا أبوها من فتى في القبيلة يسمى نبيها فتسود الدنيا في عين جميل، ويلتاع لوعة شديدة، ويصـــبح حبها كل حياته وقد ظلت بثينة تحفظ له حبه، إلى أن وافاه القدر بمصر[3].

تعود القصتان السابقتان بجذورهما إلى أساطير موغلة في القدم، فهذا آتيس إله الخصب في آسيا أحبته سيبيل حبًا عذريًا، لكنه خانها وأحب حورية دفعتها غيرتها إلى رميه بـــالجنون، فخصي نفسه ولأن عبادته كانت تتراوح بين الحزن الشديد والفرح المفرط، فهي تمت بصلة إلى عبادة أدونيس مثل مراهقا يرتدي اللاصق والقبعة الفرنجية وبيده مجرفة[4].

المطلب السادس: كُيد المرأة في الحب

الكيد عند المرأة في الليالي سلاح لا يوجه نحو الحبيب أو العشيق، وإنّما يوجـــه نحـــو الزوج مباشرة، ويستخدم من أجل الوصول إلى الحبيب مرفأ الرغبة والشهوة. فالمرأة تســـتخدم البنج لتخدير زوجها من أجل أن تذهب إلى عشيقها[5].

---

[1] ينظر: النجار، محمد رجب: **قصص الحب في الليالي" البنى والوظائف"**، ص260.

[2] ينظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، القاهرة: دار المعارف، 1963م، ص 367.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 368.

[4] ينظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص20.

[5] يُنظر: حميد: **ألف ليلة وليلة" غيبوبة القص_ غيبوبة الاستماع"**، ص104.

ويستعمل البنج في الليالي على قلة ذكره بوصفه وسيلةً لشل حركة الإنسان حتى يتسنى للآخر أن ينفذ خطته، والمبنج يفيق بعد صعوبة. وهذه ظاهرة تتكرر في الليالي في حكاية "ملك الجزائر" إذ يقول: "تزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة فسمعت الجارية تقول: إن سيدتنا الخبيثة تعمل له عملا في قدح الشراب كلَّ ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام... ولم يعلم أين تذهب وتلبس ثيابها وتغيب إلى الفجر وتأتي إليه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه" [1].

وتمنح المرأة جسدها من أجل تخليص عشيقها من السجن، فهي تَعِدُ الوالي بما يُريد، وكذلك القاضي، ثم الملك وتخدعهم بعدما أوهمتهم بأنَّها استجابت لرغبتهم فقي وصالها، لكن غايتها الأساسية تتجلى في تخليص حبيبها من السجن[2].

يرد في الحكاية "فلما نظر الوالي إليها عشقهاوقال لها ادخلي المنزل حتى احضره، فقالت له: أنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول المنزل فال لها: لا أُطلقه حتى تدخلي المنزل واقضي حاجتي منك..."[3].

المطلب السابع: الزواج في "ألف ليلة وليلة"

لا غرابة في احتلال الزواج حيّزا من حكايات الليالي، التي ربما استعانت بموروثات الأمم القديمة حول هذا الموضوع، ومن ذلك فينوس ربة الحب والجمال عند الرومانيين، إضافة إلى كونها إلهة الزواج والإخصاب[4]. وهذه هيرا هي إلهة الزواج عند اليونان، وزوجة "زيوس" وأخته، أنجبت له "هيبي" و "آيس"، و"هفستوف"[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،1/ص36.

[2] حميد: **ألف ليلة وليلة" غيبوبة القص_ غيبوبة الاستماع**"، ص104.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص217.

[4] يُنظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**،ص178.

[5] يُنظر: المصدر نفسه، ص233.

كما يتضح عنصر الزواج في حكاية "الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان"، التي يرد فيها: " فلما اشتهر حسن الملكة بدور وجمالها وشاع في البلاد ذكرها أرسل سائر الملوك إلى أبيها يخطبونها منه فزاودها في أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها: يا والدي ليس لي غرض في الزواج أبدا فإني سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم علي. وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها فيها ثم أن جميع ملوك جزائر الصين أرسلو إلى أبيها الهدايا والتحف فكرر عليها أبوها المشاورة في أمر الزواج مرارا عديدة، فخالفته وقالت له: يا أبي أن ذكرت لي الزواج قتلت نفسي"[1].

إنَّ ما سبق يحدونا للعودة إلى الحديث بين الإلهة إنانا وأخيها أوتو إله الشمس الذي كان يحاول من خلال ذلك أن يقنعها بالزواج من الراعي دموزي الذي تقدم لخطبتها. ويبدو جليا من هذا الحوار أن مُحاورة الفتاة في مسألة زواجها، كان عند القدماء، من المسائل الحساسة التي تستلزم مزيدا من الأناة والتبسط في الحديث لإقناعها بقبول الزواج من خاطبها.[2]

وهذا ما فعله الإله أتو مع أخته الإلهة إنانا؛ إذ إِنَّهُ ابتدأ حديثه معها قائلا بأنه سيأتي لها بهدية وهي عبارة عن كمية من نبات الكتان. وعندئذ تدرك إنانا الغرض من حديث أخيها معها فتسأله عمن يكون ذلك الفتى، فيجيبها بقوله إِنَّهُ الإله الراعي دموزي[3].

وهناك قصيدة سومرية شائقة تتحدث عن لقاء بين دموزي وحبيبته في إحدى الأمسيات، ويظهر أندموزي حظي بحبيبته صدفة بينما كانت ترقص وتغني وأنها لما عرفت بوجوده أرادت الإفلات منه[4].

إنَّ مثل اللقاءات الجميلة بين دموزي وحبيبته لم تكن لتنتهي دائما بالأماني والأحلام العذبة، لقد كان لدموزي وإنانا، شأنهما شأن بقية العشاق، مناسبات من المتاعب مما ينغص

[1] **ألف ليلة وليلة**،2/ص109.

[2] يُنظر:علي، فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، ط1، بغداد: دار الحرية" مطبعة الجمهورية، 1973م، ص86.

[3] يُنظر: علي: **عشتار ومأساة تموز**، ص67

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص98.

العيش. فيبدو أن موضوع الأهل والنسي كان المحفز لذلك. والعلاقة بين إنانا ودموزي قد أسفرت في النهاية عن تحقيق أمنيتهما المشتركة وهي أن يتقدم لخطبتها فيوافق الأهل ومن ثم يتزوجها[1].

بعد ذلك تذكر القصيدة كيف أن الحبيبين استمتعا بلقائهما تحت ضوء القمر، فها هي إنانا تتحدث عن لقائها مع حبيبها دموزي فتقول:

"بالأمس عندما كنت، أنا الملكة ــ أتألق لامعة.

آنذاك ألتقي بي آنذاك ألتقي بي

أشمكل أنا أحتضنني".[2]

ويبدو أن ما ورد في الليالي يتلاقى مع ما ورد في ملحمة جلجامش حين "ارتدى لباسه الملكي، وقد شخصت الإلهة عشتار إلى قامته الفارعة وهامت به حبا، وعرضت عليه الزواج منها معددة الهدايا والأعطيات التي ستمنحه إياها إذا قبل العرض[3]. ولكن جلجامش رفض عرض عشتار مندداً بخياناتها المعروفة لعشاقها وأزواجها:

"تعال يا جلجامش وكن حبيبي

هبني ثمارك هدية

كن زوجا لي وأنا زوجا لك

ولكن جلجامش يدير ظهرا لحب الإلهة ويأخذ في تعداد مثالبها وتهتكها:

أي حبيب أخلصت له الحب إلى الأبد؟

---

[1] يُنظر: علي: **عشتار ومأساة تموز**، ص102،101.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص99.

[3] يُنظر:السواح، فراس: **جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة دراسة شاملة مع النصوص الكاملة**، ط2، سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002م، ص 35.

وأي راع لك أفلح يرضيك على مر الأزمان؟"[1].

إن الإنسان القديم عكف على تخيل عشتار كالإنسيات، تعشق، وتحب وتتزوج، في موكب احتفالي، وتتحد مع عشيقها، لتنجب وتلد، فالإلهة تتزوج وتنجب آلهة إناثا وذكورا، يشبون عن الطوق، ويكبرون، ليساعدوا آباءهم في العالمين: العلوي، والسفلي[2].

ويمكن تفسير قيام الملك والملكة بهذا الطقس، بعظم الواجب المترتبة عليها، وقد أقيمت طقوس الزواج الإلهي، وفقا لقاعدة مفادها[3]: "كما فعل الآلهة، يفعل البشر، فأصبح الزواج الإلهي المخضب من مهام الملك، من أجل تعميم الخير والكثرة، وكان على الملك أن يقترن بالإلهة إنانا، تمثلها في المعبد أو في القصر مختارة لتكون الحبيبة"[4].

وما سبق يظهر في الليالي بوضوح في القول الآتي: "فدخل حسن بدر الدين بين الناس وكان عليه الطربوش والعمامة المنسوجة بالذهب، فعند ذلك دخل قاعة الفرح ثم أن المغنيات ضربن بالدفوف وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وألبسنها وحسن شعرها وصارت العروسة كأنها البدر إذا أقمر في ليلة أربعة عشر"[5].

المطلب الثامن: تعدد الزوجات في "ألف ليلة وليلة"

تعدد الزوجات في "ألف ليلة وليلة" بدى ظاهرا في حكاية "الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان": " لما سمع الملك أرمانوس صاحب الجزائر الأبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك تعجب منها غاية العجب وأمر أن يكتبوها بماء الذهب، ثم قال لقمر الزمان: يا ابن الملك هل لك

---

[1] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة** "، ص 182،183.

[2] يُنظر: طه: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**،ص59.

[3] يُنظر: المصدر نفسه، ص59.

[4] نعمة: **ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص36.

[5] **ألف ليلة وليلة**،1/ص96،95.

أن تصاهرني وتتزوج ابنتي حياة النفوس،ثم أحضر القضاة وعقد قمر الزمان على ابنته الملكـــة حياة النفوس"[1].

ويتلاقى هذا مع عشتار وأدونيس؛ فقد تزوج الإله الابن الأم الكبرى في وجهها الأبيض والأسود، فعاش في أحضان عشتار جزءا من السنة، وفي كنف أريشكيجال جزء السنة الآخـــر. وإذا كانت أسطورة عشتار وتموز، لا تظهر هذه الفكرة بشكلها الصريح؛ إذ يبدو تموز في العالم الأسفل رهينا لأريشكيجال ينتظر فك أسره، فإن عنصر زواج تموز من الإلهتين وتنافسهما مـــن أجله يبدو واضحا في أسطورة عستارت وأدونيس الكنعانية[2].

ومن صور الحب في "ألف ليلة وليلة" الحب المحرم فهذه صورة امرأة العزيز ظـــاهرة قوية في كثير من القصص، بل إنها تبرز كأقوى ما تكون في قصة قمر الزمـــان ابـــن الملـــك شهرمان، حيث تحب بدور وحياة النفوس كل منهما ابن صاحبتها من قمر الزمان وتشـــكوانهما لأبيهما كما شكت امرأة العزيز يوسف لزوجها[3].

ففي قصة يوسف تعود إلى الظهور العناصر الأساسية للأسطورة التموزية. وكان يوسف راعيا شابا ولد ليعقوب في شيخوخته من زوجته الثانية راحيل، فكان الأثير إلى قلب أبيه صنع له قميصا ملونا ألبسه إياه، وقد أثار حقد إخوته، فقرّروا مجتمعين التخلص منه، ورموا أخـــاهم في بئر مهجور بعد أن نزعوا عنه قميصه، وعادوا إلى أبيهم، وعليه دم تيس ذبحوه عند البئر، فأوهموه أن وحشا ضارِباً قد افترسه[4].

ولكن قافلة عابرة في طريقها إلى مصر، تنتشل يوسف وتحمله معها حيث تبيعـــه إلـــى فوطفيار رئيس شرطة فرعون...وهناك يلقى حظوة عند سيده الذي يأمن له ويسلمه أمور بيتـــه ورزقه؛ لأن الرب كان يأخذ بيد يوسف في كل أمر من أموره[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،2/ص159.

[2] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص300.

[3] القلماوي، سهير: **ألف ليلة وليلة**،ص 310.

[4] ينظر: السواح: **لغز عشتار"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص340.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص341

في بيت فوطفيار، تقع زوجته في حب يوسف وتعرض عليه وصالها فيعرض عنها ولاء لسيده، فتتهمه بإغوائها، ويلقي به في السجن سنوات طوال. كما أن علاقة يوسف بسجنه، زوجة فوطفيار، تحمل إشارة خفية إلى عنصر الخصاء عند الإله الابن، وإلـــى عنصـــر الأســـطورة المتعلق بإرسال عشتار بحبيبها إلى العالم الأسفل.[1]

تستلهم حكاية "قمر الزمان بن الملك شهرمان" عن طريق قصة "يوســـف وزليخـــا"، أو "يوسف وامرأة بوتيفار"، كما وردت في العهد القديم.

يقع الأسعد ابن حياة النفوس في قلب الملكة بدور زوجة أبيه وأن محبة الأمجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة أبيه فصارت كل واحدة تلاعب ابن ضرتها وتقبله، وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنا بالولدين[2].

وعندما علمَ الملك بهذه الخيانة من حياة النفوس والملكة بدور "قال الملك قمـــر الزمـــان للملك إرمانوس: ادخل إلى ولدي الأمجد والأسعد وكتفهما واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واخرج بهما إلى وسط البرية واذبحهما واملأ قنينتين من دمهما"[3].

ورفض الخازندار طلب الملك وقال لهما: "حاشا الله أن أُقر بكما بضرر ولكن اعلما أني أريد أن أنزع ثيابكما وألبسكما ثيابي، وأملأ قنينتين من دم الأسد، ثم أروح إلى الملك وأقول له: أني قتلتهما" [4].

وأدرك الملك الحقيقة "عندما فتح البقجتين صار يقلّب ثياب أولاده وبكى فلما فتح ثيـــاب ولده الأسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها فعلم أن ولـــده الأسعد مظلوم"[5].

---

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ص342،341.

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**،2/ص160.

[3] المصدر نفسه،2/ ص164.

[4] المصدر نفسه، 2/ص168.

[5] المصدر نفسه، 2/ص169.

ويبدو أن ما في ورد في هذه الحكاية ؛ مرده إلى حكاية يوسف بن يعقــوب التوراتيــة؛ ففي قصة يوسف تظهر عناصر الأسطورة التموزية.عندما أثار تفضيلُ الأب ليوسف حقد إخوته، فقرروا التخلص منه، ورموه في بئر ونزعوا عنه قميصه الملون، فــأوهموا أبــاهم أنَّ وَحشــاً افترس يوسف[1].

لم يكن حقد الإخوة في الواقع نابعا من تفضيل الأب ليوسف، بل لقد لَعِبَ ثوب يوســف المُلون دوراً مُهِماً في زرع النفور في نفوسهم؛ ذلك أن الأثواب المُلونــة كانــت فــي التقاليــد العِبرانية وَقفاً على النساء من دون الرجال، فكان ثوب يوسف تأسيساً للقيم الأمومية بين الجماعة البطريكية الذكرية، وقبولاً للجانب الأنثوي في شخصية إله الخصب. هذا وتُشير مصادر يهودية إلى أن الثوب الذي لَبِسَهُ يوسف، لم يكن سوى الذي لبسته أمه راحيل يوم عُرسها[2].

وبذلك يعودُ بنا زي يوسف النسائي إلى ثياب الإله ديونيسيوس النسائية، وإلى تربيته في جناح الحريم. وهبوط يوسف إلى الجب وصعودُه منه، هو موت رمزي وانبعاث، ويعادل هبوط تموز أو أدونيس إلى العالم الأسفل[3].

في بيت فوطفيار تقع زوجته في حب يوسف وتَعرِض علي وصالها فَيُعرض عنها ولاء لِسيده، فتتهِمهُ بإغوائِها، ويُلقى في السجن... إن إلقاء يوسف في غياهب السجن ثم خُروجه منه هو موته الرمزي وبعثه. كما أنَّ علاقة يوسف بسيدته، زوجة فوطيفار، تحمل إشارة خفية إلــى عنصر الخصاء عند الإله الابن، وإلى عنصر الأسطورة المُتعلق بإرسال عشتار بحبيبهــا إلــى العالم الأسفل[4].

المطلب التاسع: مُراودة المرأة للرجل

ومن صور الحب المحرم في "ألف ليلة وليلة" المرأة التي راودت الرجل في بيتها فامتنع عنها، يتلاقى هذا أيضاً مع قصة يوسف تقول الحكاية: "إنه كان من بني إســرائيل رجــل مــن

---

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص340.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص341.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص341.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص341،342.

خيارهم وقد اجتهد في عبادة ربه، فرأته امرأة فعشقته ومال قلبها إليه ميلا شديدا وكان زوجها غائبا، فدعته خادمتها، فدخل وقعد كما امرته فأغلقت الباب عليه وخرجت سيدتها من بيتها وأمسكت بجلابيبه وجذبته وأدخلته، وقالت له: كم ذا أطلب خلوة منك وأنا قد وهبت لك نفسي وطال أمرها في القول والرجل لا يرفع رأسه من الأرض حياء من الله وخوفا من عقابه وقال لها: أريد ماء طاهرا أصعد به إلى أعلى فتوضأ وصلى ركعتين وألقى نفسه من أعلى المنظرة"[1].

ويبدو أن ما ورد في هذه الحكاية مرده إلى الأساطير، فهذه أثيرا زوجة الإله "إيل" الذي أصبح شيخا عاجزا عن إرضائها جنسيا، فأخذت تراود إله الطقس عن نفسها، فشكاها إلى زوجها، فغضب عليها "إيل" وعمل على إذلالها[2]. وأتيه إلهة العاطفة الهوجاء كانت توقع الرجال في الإثم وتضلّهم وقد حرمها الإله "زوس" من الحياة في الأولمب بسبب أفعالها[3].

وهناك عشق حاسب لملكة الحيات، و العاشق لا يدرك ذلك العشق إلا يعد فوات الأوان[4]. والمكتوب على ملكة الحيات هو مصير كل الآلهة المعشوقين، أن تموت على يد العاشق. ولكي تكتمل طقوس المحبّة، يشرب حاسب رغوة لحم ملكة الحيات التي تجعل قلبه بيت الحكمة. فيرى السماوات السبع وما فيهن إلى سدرة المنتهى، ويغدو عالماً بكل ما في الكون من معرفة وعلم[5].

ويتشكّل العاشق بفعل العشق، كما يكون المحبوب عين ما يراه العاشق، كأنَّ المعرفة التي يتلقاها العاشق ويتشكل بها هو فعل العشق نفسه الذي مارسه العاشق، وأعطى به المحبوب سلطانا[6]. يرد في حكاية "حاسب كريم الدين": " فوقع بصر ملكة الحيات على حاسب كريم الدين

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،3/ص20.

[2] ينظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**،ص21،20.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص20.

[4] ينظر: رزق، السيد فاروق: ***حكاية النفس " ألف ليلة وليلة" في كتابات بدر الديب***، **فصول مجلة النقد الأدبي**،ع13، مجلد3، ص 91.

[5] ينظر: رزق: **حكاية النفس " ألف ليلة وليلة" في كتابات بدر الديب**، ص 92.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص 92.

فقالت له: أين العهد الذي عاهدتني به واليمين الذي حلفته لي أنك لا تدخل الحمام ولكن لا تنفــع حيلة في القدر وقد جعل الله آخر عمري على يديك"[1].

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ص106.

المبحث الثالث

الجنس الأسطوري في "ألف ليلة وليلة"

حاز الجنس في ألف ليلة وليلة على حظٍ وافرٍ من الإشارات والتعقيبات، فلولاه ما اضطر شهريار للثأر من بنات حواء بعد أن أحسّ بالإهانة لفحولته، ومهما بدت الأسباب الاجتماعية والسياسية قوية وطاغية في التأثير على الملك، إلا أنه كان محكوما بحسه الطاغي بفجيعة فحولته المقهورة[1].

والمتأمل في الليالي يرى شهرزاد تنطق بالجنس بوصفه أمرًا اعتياديًا لا ينبغي التكتم عليه، فلم تقدم الحكايات بالشكل الذي سيخفف من حدّة غضب الملك وغلوائه، بل أطلقت العنان لحكاياتها الناضجة بالفعل الجنسي القائم على الخطيئة والغدر والإغراء. وهذا النمط من الفعل الجنسي سيزيد من استفزاز الملك وسيذكره بماضيه القريب[2].

والجسد منذ الأزل وحتى يومنا جوهر الحياة، ومنطلق الوجود البشري، وتأتي ألف ليلة وليلة لتأكد ذلك بقول شهريار المكرر: "احكي حكاية وإلا قتلتك ثم امنحيني جسدك"، حينها تسارع شهرزاد بتقديم جسدها لملكها، وقص الحكايات المثيرة؛ لتتمكن من البقاء على قيد الحياة، وبالرغم من أن الحكايات تستمر الليلة تلو الأخرى فإنّ دافع القتل لا يفتر،فاللذة العجيبة التي يجدها شهريار في قتل نساء مدينته تعادل لذة الليالي الحمراء التي ترويها شهرزاد. وتبدو شهرزاد في معظم الليالي قبل أن تكون مخلوقا إنسانياً مجرد جسد ووعاء لذكورة السلطان شهريار وأرقه، فهي تشحذ ذاكرته، وتحبب إليه الفعل الجنسي[3].

وتمتلك شهرزاد فكرًا ذكيًا مكنها من البقاء على عرش شهريار؛ ذلك أنها استخدمت جسدها بصورة مثيرة، فزينته بألقاب وأوصاف تتكرر باستمرار؛ فهي كالبدر المنير، والقمر

---

[1] ينظر: الموسوي، محسن جاسم، **مجتمع ألف ليلة وليلة**، مركز النشر الجامعي، 2000م، ص117.

[2] ينظر: تنفو، محمد، **المرأة المتجردة (عجائب مائة ليلة وليلة)**، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2012م، ص196.

[3] ينظر: يونس، محمد عبد الرحمن، **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ط1، بيروت_لندن: مؤسسة دار الانتشار العربي، 1998م، ص12،13.

الساطع، ونهدها كفحل الرمان، وردفها ككثيب الرمل، مما يثير الشبق الجنسي للملك، ويبعده عن نزعة القتل أو إلغائها[1].

وشهرزاد في الليالي ليست إلا جارية، لكنها فاتنة، شبقة، وذكية، وخبيرة بنفسية الرجال، تجيد العشق والحبّ والجنس على أحد الطرق الفنية، وتدفع شهريار إلى قمة الشهوة، ثم تسكت عن الكلام المباح، ليبدأ الجسد المستباح، بإعطاء آخر جرعة وأقوى جرعة، وهي جرعة الجنس وارعشة التي ستسكن شهريار إلى الليلة الثانية[2].

ولقد وعت شهرزاد، طبيعة المجتمع الذكوري الذي يضع أول اهتماماته قضايا الجسد والجنس؛ فعمدت إلى تطعيم السرد بخطاب لغوي مثير من ناحية الوصف، وشحنته بالعبارات ذات الإيحاءات الجنسية القريبة أو البعيدة، إذ تقول: "ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كأنهما حقان من عاج، وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض، قد انقطعت وانطوى بعضها على بعض، وفخذان ملتفان كأنهما من الدر عمودان، وأرداف تمور كأنها بحر من بلور أو جبال من نور"[3].

وتصف شهرزاد مفاتن جسد المرأة فتقول: "وإذا بجارية كأنها قضيب يثني سناء العينين، عليها قميص جلناري ورداء صنعاني قد غلبت شدة بياض يديها حمرة، قميصها يتلألأ من تحت القميص ثديان كرمانتين وبطن كطي القباطي"[4].

وَتقدّم شهرزاد جسد بنات جنسها في الليالي على أنه كونٌ مُصغر يشهد بعظمة الخالق، وتفحص هذا الجسد قراءة في سفر الكون، وامتلاكه والسفر معه في بحور اللذة عيش مسبق في الجنان، كيف يمكن لامرئٍ مقاومة شهرزاد، فهي تعلم الكثير عن الحب وتتقن عرض ما تعلم بأسلوب يحرك أغلظ القلوب[5].

---

[1] ينظر: يونس، **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص13.
[2] يُنظر: المصدر نفسه، ط1، ص102.
[3] **ألف ليلة وليلة**، 136/3.
[4] المصدر نفسه، 3/ص285.
[5] يُنظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص45.

فعشتار شكلت الدافع الجنسي في ذاته، فقد عجّت الدمى والتماثيل الصـــغيرة بصـــورها وخصائصها التي تحمل في طياتها الشبق الجنسي والأمومة، وذلك بالتأكيد على الثديين والبطن والوركين، ومن هذه التماثيل، ما تمدّنا به مواقع المستوطنات الزراعية الأولى، كتل المـــريبط، وتل أسود، وتل الرمد[1]. فالمرأة النموذجية الجمال قد تكون بدينة، ضخمة الثديين، وأحيانا يُفضل المرأة الرشيقة النحيلة المتماسكة[2].

يمكن القول إن شهرزاد محقة في وصفها للمجتمع الذكوري، فمنذ وجود الإنسان البدائي على الأرض وهو ينظر إلى الدافع الجنسي بوصفه قبسًا إلهيا، فلم يكن عنده متعة فردية، بل كان طقسًا مرتبطا بالآلهة، فهو عبادة يتقرب من خلالها الإنسان إلى ربه، وتُظهر الأعمـــال الفنيـــة التشكيلية منذ العصور الحجرية قدسية هذا الدافع، وقيمته الدينية، كما تظهر المعابد المكرسة للأم السورية الكبرى نظرة الإنسان القديم له باعتباره فعلا دينيا مقدساً[3].

كانت النساء تتعرى وتدعو إلى العناق وفعل الجنس، وخير ذلك: ما عـــرف فـــي كـــل أرجاء الشرق القديم بالبغايا المقدسات أمثال:كاهنات الزهرة عشتار، اللواتي كن "يمارسن الجنس نيابة عن كل النساء... بكل أبهة الطقس الديني وجديته، بعيدا عن أي مظهر من مظاهر الدعارة الرخيصة، أو إرضاء الميل الشخصي"[4].

يبدو ذلك حاضرا في "ألف ليلة وليلة"؛ إذ يرد في حكاية "الحمال مع البنات": "فلما تحكم الشراب معهم قامت الصبية وتجردت من ثيابها، ثم رمت نفسها في تلك البحيرة، ولعبـــت فـــي الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال...، فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الأولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الحمال، ثم قامت الثالثة وفعلت مثل

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 184.

[2] يُنظر: بوحديبة، عبد الوهاب: **الإسلام والجنس**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1987م، 203.

[3] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**،، ص 179.

[4] الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،1998، ص 276

من قبلها ثم لبست ثيابها و ألقت نفسها في حجر الحمال ثم بعد ساعة قام الحمال ونـزع ثيابها ونزل البحيرة ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن"[1].

وعُرفت الزهرة على مر الأزمان إلهة للذة وللعشق، وسيدة للدافع الجنسي، وارتبطت عبادتها بالعاهرات المقدسات المعروفات بالعشتاريات، ومن طقوس عبادتها البغاء المقدس الذي يقام في معابدها مدداً للقوة الإخصابية الكونية[2]. ومن معابدها المشهورة عند العرب (بيت غمدان) الذي بناه الضحاك في مدينة صنعاء، وهو البيت الخامس من البيوت المعظمة في العالم[3]، وبيت (يافاش) الذي بُني في القرن الرابع قبل الميلاد لممارسة البغاء المقدس[4].

وإذا كان الفراغ الإنساني، والإحساس بالغربة والقهر ظواهر عامة في بنيات الليالي، فطبيعي أن تكون اللحظات الحميمة بين المرأة والرجل في اتقادها وتوهجها، وفي اشتعالها من جديد عن طريق اتساع الفضاء الزماني، الذي يعتمد على حفلات الطعام والشراب التي تساهم في نمو هذا الفضاء الزماني، طبيعي أن تكون هذه اللحظات معادلاً موضوعياً وبديلاً عن حالات الفراغ والوحشة واللاانتماء والاستلاب التي تتعرض لها الشخوص[5].

ورد في حكاية "الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم": "وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها،فرأيتها كالبدر في تمامه فلم أر أحسن منها،فقمت وقدمت لها الأكل والشرب،فأكلنا وشربنا،وصرت أقبل الصبية، وأملأ لها القدح وأشرب معها، ونمت مع الصبية إلى وقت الصباح" [6].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص 44.

[2] ينظر: الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص24

[3] ينظر: المسعودي، علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرجاء، القاهرة، 1938، ص 240؛ نقلاً عن: الديك:**صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**،30_32.

[4] ينظر: الحمد، جواد مطر: ***الإله الزهرة الابن (دراسة تاريخية في الميثولوجيا والمعتقدات اليمنية القديمة)***، **مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)**، الجامعة الأردنية، مج2، ع6، 1995، ص3195.

[5] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص17

[6] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص134.

يتلذذ شهريار في هتك أعراض النساء الجميلات وفض بكارتهن، واستمر على هذا المنوال مدة ثلاث سنوات، فضجت الناس وهربت ببناتها إلى أن أتت المخلصة (شهرزاد)[1]، ولا بد من الإشارة إلى مدى الشبق الجنسي الذي يحمله شهريار في أحشائه، فهو يتلذذ بالنساء رغمًا عن معاناتهن[2]، وربما يلتقي شهريار في ذلك الشبق الجنسي مع الآلهة التي وقعت في حب جلجامش العائد من معركته المظفرة مع وحش الغابة، فهي ترغب بوصاله ومضاجعته، رغم إعراضه عنها، إذ تقول الملحمة:

تعال يا جلجامش وكن حبيبي

هبني ثمارك هدية

كن زوجا لي وأنا زوجا لك

ولكن جلجامش يدير ظهرا لحب الإلهة ويأخذ في تعداد مثالبها وتهتكها:

أي حبيب أخلصت له الحب إلى الأبد؟

وأي راع لك أفلح يرضيك على مر الأزمان؟[3]

وتتناول حكاية الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان موضوع الجنس الجماعي المقدس، "وهذا الجنس ساد في المجمع الأمومي، وهو يقدم للإلهة عشتار عن طريق ممارسة الجنس بأنواعه: الفردي أو الجماعي بين جدران معابدها، أو بجوار المعبد، أو تحت الأشجار، أو على قمم الجبال العالية في أماكن عبادتها، ويعرف بطقس البغاء المقدس"[4]. وهكذا، يظهر أن الفتيات هن عبارة عن قرابين جنسية قدّمت إلى شهريار الحاكم ومالك السلطة بيده.

---

[1] يُنظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، 1/ص9،8.

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 8/1.

[3] يُنظر: السواح: **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**،، ص182.

[4] نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص30.

وأقيمت هذه الطقوس تكريماً للإلهة ولعلو شأنها ومركزها المتسامي، في كثير من مناطق العالم مثل "بابل وقبرص واليونان وصقلية وقرطاجة وغيرها من الأماكن"[1] التي تنتشر فيها عبادة الإلهة الأم الكبرى. يظهر ذلك بوضوح في الأسطر الآتية: "وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظروا وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبداً وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي غاية في الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم، وإذا بامرأة الملك قالت: يا مسعود، فجاءها عبد أسود فعانقها، وعانقته وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري، ولم يزالوا في عناق ونحو ذلك حتى ولّى النهار"[2].

ومجرى الأسطر السابقة يعود إلى منبعه الأسطوري الذي حدد موعدًا تُقام فيه طقوس الجنس الجماعي، إذ تتم في "أعياد الربيع عندما كان الناس يحتفلون بصعود روح الخصوبة الغائبة في عالم الأموات، وعودة عشتار، أو ابنها، إلى الحياة حاملة معها ثمار كل الأرض من باطن التربة، فكانت الممارسات الجنسية في هذه الأعياد مددا للقوة الإخصابية النائمة التي بدأت تستعيد نشاطها، ودفعا لها لتعود سيرتها الأولى"3.

وما يدلل على اهتمام الآلهة بالجنس ورغبتها في إقامة طقوس جماعية له، ما يظهر في الميثولوجيا السومرية التي تصور عشتارت على إحدى المسلات "مقاتلة عارية فوق فرس وقد شدّت عنانه على جسدها، ترمي بنبلة من قوس... وهناك مشهد آخر وهي عارية، إلا من قلادة في عنقها، وخواتم في أصابعها، تمتطي جوادًا، وتلوح بسلاح في يدها"[4].

ومثل هذه الطقوس الجماعية ما زال موجودًا لدى كثير من الثقافات البدائية الحديثة ففي بعض الجزر الواقعة غربي غينيا الجديدة وأجزاء من شمال استراليا يعتقد الأهالي بأن إله

---

[1] مجموعة من كبار الباحثين: **موسوعة عالم الأديان كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم**، القاهرة: مكتبة مدبولي،20، 157/2.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص6.

[3] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص188.

[4] ازدارد: **قاموس الآلهة والأساطير**، تر: محمد وحيد خياطة، ط1،حلب: دار مكتبة سومر، 1978م، ص224.

الشمس المذكر يهبط من عليائه مرة كل سنة ليحتضن إلهة الأرض المؤنثة، وذلك قبل بدء موسم الأمطار فيجتمعون رجالا ونساء تحت شجرة التين حيث يعتقدون أن الجماع الإلهي يتم هنـــاك، ويمارسون الجنس الجماعي الذي من شأنه حث الطبيعة على إطلاق خيراتها الكامنـــة فيهطـــل المطر وتنبت الارض وتتكاثر الماشية وتخصب أرحام النساء[1].

وطقس البغاء المُقدس يُقام فوق الجبال العالية وتحت الأشـــجار الخضـــراء، ومـــا زال تقديس الشجرة الخضراء موروثاً في أرض كنعان، وهي ذلتها ما يطلق عليها اسم عشيرة وهي رمز الخصب.[2]

وما يؤكد وجود هذا الطقس في المجتمع الأمومي، ظهور الرموز الجنسية فـــي معابـــد عشتار المنتشرة في كثير من الدول، مثل العراق في مدينة (ماري) على الفرات، حيث رفعـــت جدران المعبد وضمّت رموزا جنسية تشير إلى الخصب وضعت في أساس الهيكل تيمنا برمزها المقدس[3].

ومن هنا صار البغاء المقدس في المعابد، فكانت العروس في ليلة زفافها تضاجع كل من يجلب إليها هدية زواج. أو كانت تضاجع أقارب العريس واحدا واحدا مبتدئة بأكثرهم قرابة، فإذا انتهى الأقارب، جاء دور الأصدقاء وأخيرا يأتيها عريسها لأول مرة وتصبح صالحة للإخلاص الزوجي. وفي هذه الممارسة توكيد على حق القبيلة في المرأة قبل حق الـــزواج الـــذي ســـوف يحتكر جسدها لما تبقى من عمرها[4].

ويتلاقى هذا مع ما ورد في حكاية "الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان" وما حدث في قصره؛ إذ يرد: "فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته، وواقعها وكذلك باقي العبيد"[5].

---

[1] يُنظر:السواح: **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص189.

[2] يُنظر:.نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص30.

[3] مجموعة من كبار الباحثين: **موسوعة عالم الأديان كل الأديان والمذاهب والفرق في العالم**، 130.

[4] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص192.

[5] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص6.

أما الجنس الجماعي فتلعب في الإلهات الإناث دور الخصب والولادة والحياة، ويقوم على أساس قديم، سادت فيه الأنثى التي لا تعرف رجلاً واحداً [1].

وتظهر في ثنايا سطور الليالي في حكاية "الملك شهريار وأخيه شهرمان" فتاة الصندوق التي خطفها العفريت، حيث سمع الأخوان، عند الوصول إلى الشاطئ، صرخة عظيمة تصدر من جوف البحر، وفجأة تنشق المياه، ويندفع منها عمود أسود لا يتوقف عن الإرتفاع، ويتحول العمود الأسود إلى عفريت، ويخرج حاملا صندوقا زجاجيا كبيرا[2].

ثم يفتح الصندوق، فتخرج منه سيدة شابة جميلة، يجلسها تحت الشجرة، ويخاطب العفريت المرأة بما يكشف عن أنه اختطفها ليلة زفافها. إذ يرد في الحكاية "وإذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد إلى السماء وهو قاصد تلك المرجة،... وعلى رأسه صندوق فطلع إلى البر وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة"[3]. فالشكل العمودي بالحكاية يقترن بالرجل بينما يقترن الصندوق برحم المرأة.

ويتكرر الأمر في حكاية "مكر النساء" فتاة الصندوق التي اختطفها عفريت من الجن إذ يرد في الحكاية: "أن ابن الملك مر بروضة خضراء فرأى دخانا عظيما طالعا من السماء فخاف وصعد على شجرة، فرأى عفريتا طلع من وسط النهر وعلى رأسه صندوق من الرخام وعليه قفل، وفتح الصندوق فخرجت منه جارية كأنها الشمس وهي من الإنس، فحط رأسه على حجرتها فنام، فرأت ابن الملك فأشارت إليه بالنزول فامتنع فأقسمت عليه إن لم تنزل نبهت العفريت، فخاف ونزل، فلما نزل قبلت يديه ورجليه وراودته عن قضاء حاجتها فأجابها إلى سؤالها فلما فرغ قالت له أعطني هذا الخاتم الذي بيدك فأعطاها، فقال لها: ماذا تصنعين بهذه الخواتم، فقالت له: هذه الخواتم قدر عدد الرجال الذين واصلوني" [4]. فالخواتم التي مع الفتاة هي بعدد الرجال الذين راودتهم.

---

[1] يُنظر: القمني، سيد محمود: **الأسطورة والتراث**، ط2، مصر: سينا للنشر والتوزيع، 1993م، ص114.

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 7،8/1.

[3] المصدر نفسه، 7/1.

[4] المصدر نفسه، 3/ص236،235.

كما تظهر في حكاية "الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان" رغبة جامحة لصبية غرّاء بممارسة الجنس معهما، فتلجأ إلى القوة من أجل إقناعهما، وذلك عبر ممارسة التهديد المتمثـل بخطورة الجني عليهما، يظهر ذلك في القول: "يا أخي افعل ما امرتك به فقال: لا أفعـل حتـى تفعل أنت قبلي، وأخذا يتغامزان على نكاحها فقالت لهما ما أراكما تتغامزان فإن لم تتقدما وتفعلا وإلا نبهت عليكما العفريت، فمن خوفهما من الجني فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما اقفا واخرجت لهما من جيبها كيساً وأخرجت لهما منه عقداً فيه خمسمائة وسبعون خاتماً، فقالت لهما: أتدرون ما هذه؟ فقالا لها: لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة"[1].

وهذا يدل على عدم رغبة الملكين في ممارسة الجنس إلا أنهمـا أجبـرا علـى ذلـك، وبالعودة إلى الجذور الأسطورية يمكن الاستنتاج أن البغاء المقدس كان شائعا فـي حضـارات الشرق القديم، وهو ممارسة الجنس بين أطراف لا يجمعهم رابط شخصي، ولا يغلفهـم الحـب بوشاحه، ولا تحركهم دوافع تتعلق بالتوق الفردي لشخص بعينه، وكل هذه الممارسات الجنسـية مكرسة لمنبع الطاقة الكونية مستسلمة لها، وكانت عشتار هي البغي المقدسة الأولى لأنها مركز الطاقة الجنسية الشاملة التي لا ترتبط بموضوع محدد، وما هو انغماسها في الفعل الجنسي الدائم إلا تعبيرا، على مستوى الأسطورة، عن نشاط تلك الطاقة الذي لا يهدأ لأن في سـكونه همـود لعالم الحياة، حيث تقول عشتار البابلية عن نفسها:

"أنا العاهرة الحنون

وأنا من يدفع الرجل إلى المرأة ويدفع المرأة إلى الرجل"[2].

ويبدو أن كثرة الأسطر التي تتناول موضوع الجنس مع رجل غريب مردُّها إلى الديانات الوثنية التي صورت عشتار بصور المرأة العارية، وأقامت لها المعابد في أنحاء العالم القـديم،

---

[1] ألف ليلة وليلة، 8/1.

[2] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**،، ص181.

وفيها ينبغي على كل امرأة أن تضاجع رجلًا غريبًا[1]، وكان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يُلقي أحد الغرباء قطعة من الفضة في حجرها، ويضاجعها خارج المعبد[2]."وهو يلقي قطعة الفضّة عليه أن يقول: باسم الإلهة ميليتا" [3]. "ولا أهمية لقطعة النقد لأن مجرد أن تلقي للمرأة مقدسة، ويمنع القانون رفضها منعاً قاطعاً. ولا يكون للمرأة حق الإختيار لأن عليها أن تذهب مع أول رجل يلقي لها النقود. بعد أن تؤدي الفتاة طقس البغاء المقدس يمكنها العودة إلى بيتها، بحيث يغدو من المستحيل إغراؤها بأي مبلغ مهما يكن ضخماً"[4].

وبهذا تستطيع الزواج من الزواج من أي رجل تختاره بعد أن أدت قربانها للإلهة الكبرى العاهرة الحنون، سيدة الحبّ والدافع الجنسي.

يقول جيمس فريزر: "يظهر أن العرف في قبرص سابقًا، كان يلزم جميع النساء قبل الزواج أن يضاجعن الغرباء في هيكل الآلهة سواء كان اسمها أفروديتي، أو عشتاروت... ومهما يكن الدافع لذلك، فإنه لم يكن مجرد الانغماس في الفسق الشهواني، بل كان واجبًا دينيًا خطيرًا يقام به خدمة للإلهة العظمى"[5].

ويبدو أنَّ ما ورد في الليالي مرده إلى أسطورة الزهرة؛ حيث " كانت الزهرة قبل مسخها في الأسطورة العربية امرأة جميلة فاتنة تعيش على الأرض قبل أن تصعد إلى السماء وتتحول إلى ذاك الكوكب اللامع، ووردت أسطورة الزهرة العربية في كتب التفسير وقصص القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى:**(وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)**[6]، ومع أن السورة

---

[1] ينظر: حتي، فيليب: **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق،بيروت: دار الثقافة، 1982م، 132/1.

[2] يُنظر: ديورانت: **قصة الحضارة**، ص 229

[3] نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة**، ص30.

[4] مجموعة من كبار الباحثين: **موسوعة عالم الأديان كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم**، ص 128.

[5] فريزر، جيمس: **أدونيس أو تموز**، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م، ص43.

[6] **سورة البقرة**، آية 102.

الكريمة ليس فيها ذكر للزهرة، وذُكر الملكان دون الإشارة إلى قصة تتعلق بهما، مما يدل على خيال المفسرين قد استمد قصصا قديمة كانت متداولة في أذهان معاصريهم"[1].

وملخص الأسطورة أن الملائكة أخذت تشكو ضلال البشر وفجورهم بعد نزول آدم عليه السلام، فأراد الله عز وجل أن يبتلي الملائكة أنفسهم، فأمرهم باختيار ملكين من أكثرهم نقـاوة وزهداً، فاختاروا هاروت وماروت وأهبطا إلى الأرض، فعرضت لهما امـرأة جميلـة، فـأقبلا عليها، وراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأخرجت لهما صنماً يعبدانه ويسجدان له، فامتنعا، ثم أتياها ثانية، فتمنعت، واشترطت عليهما إحدى ثلاث: إما عبادة الصنم، أو قتل النفس، أو شرب الخمر فاختاروا شرب الخمر، فسقتهما حتى إذا أخذت الخمرة منهمـا، وقعا بالزهرة، ويمر بهما إنسان، فيخشيان الفضيحة، فيقتلانه، فأرادا العودة إلى السماء بعـد أن عرفا وقوعهما في الخطيئة، فلم يستطيعا، فطلبت منهما المرأة تعليمها الكلام الذي يصعدان به، ففعلا وعرجت إلى السماء، وهناك نسيت ما تنزل به، فبقيت في مكانها، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل[2].

وفي ترتيلة بابلية إلى عشتار من القرن السادس قبل الميلاد،يظهر الشبق الجنسي لسيدة الحب والدافع الجنسي، ورغبتها في ممارسة الجنس مع الغرباء:

لك الحمد يا أرهب الإلهيات جميعا

لك الإجلال ياسيدة البشر وأعظم الآلهة

موشحة بالحب والمتعة

تفيض طاقة وسحرا وشهوة

---

[1] الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**،ص32،31.

[2] ينظر: الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان فـي تفسـير القـرآن (تفسـير الطبـري)**، القـاهرة: دار المعـارف، 409/2_442؛ والثعلبي، أحمد بن إبراهيم: **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)**، بيروت: المكتبة الشـعبية،د.ت، ص32؛ نقلاً عن: الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص32.

شفاهها عذبة وفي فمها الحياة[1].

والشهوة هي المحرك الأول لكل مظاهر الفعل الجنسي سواء أكان جماعيـــاً أم فرديـــاً، وهذا الأمر يظهر في حكاية " الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين" التي تقول: "فلما نظر بدر الدين صفاء جسدها تحركت فيه الشهوة...[2].

ويغرق علي شار مستمتعاً بالأجساد النسائية مستهلكاً نفسه، إذ يستهلك الجنس والخمور ثروته وتجارته ودكاكينه، فيخرج تائهاً شريداً إلى الأسواق، يتأمـــل النســـاء وحلقـــات بـــيعهن والمتاجرة بهن، ويتقدم إلى إحدى الحلقات بجسده الذي أصبح محروماً مـــن الرفاهيـــة واللـــذة والجنس، بعد أن فقد أمواله وخلّانه وعشيقاته من النساء الزانيات، فها هو يعاين جســـد إحـــدى الجواري[3]، يظهر ذلك في السطر الحكائي:" ثم تقدم فوجد جارية خماسية معتدلة القـــد، مـــوردة الخد قاعدة النهد، قد فاقت أهل زمانها في الحسن والبهاء والكمال"[4].

وفي حكاية "التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنه" تحركت الشهوة عند غـــانم، ثـــم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام... وكانت ليلة من الليالي وهو راقد معها والاثنان سكرى..."[5].

اقترنت عبادة الزهرة السماوية والعزى الأرضية بشرب الخمر، لأنه يمثل في العبـــادة الأمومية دم الإله المسفوح، فكان الشعراء الجاهليون "يباشرون الشرب قبل شروق الشمس، ولعل الكأس في هذه الفترة تكون آخر ما يعاقر الشاعر قبل أن ينصرف، وكأنه أدى الطقـــس القـــديم الذي فرضته الزهرة"[6].

---

[1] يُنظر:السواح: **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**،، ص181.

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 98/1،99.

[3] ينظر:يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص 26

[4] ألف ليلة وليلة، 295/2.

[5] المصدر نفسه،1/ص202.

[6] أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**،ط1، عمان: دار الجيل ودار عمان للطباعة والنشر،1987م،134.

فالخمر مشروب مقدس عند الجاهليين، وكانت تقام طقوس شرب الخمر مساء عند بزوغ نجم الزهرة، وقد عرفها العرب "بالصبوح وهو من أشهر أسماء الخمر عند الجاهليين"[1] لعلاقتها "بنجم الصباح"، فيحتفل عبادها بشرب الخمر المقدس ويقدمون طقوسهم تحت أنوارها. والخمر "شراب الآلهة المفضل، احتستها نشدانا للقوة، واغتبطت حين كانت ترى عبادها يعبون منها أو يريقونها عندما يقدمون الأضاحي والقرابين لها"[2]. يرد في الليالي: "ولم يزالا يشربان إلى أن ولّى النهار وأقبل الليل بالاعتكاف "[3].

وقد عدّ العرب العزى أو الزهرة (ربة الخمر)، ولذلك كانوا يباشرون الشرب سحرة قبل شروق الشمس، وكأنه أدى الطقس القديم الذي فرضته الزهرة، فقد اقترنت عبادة الزهرة بشرب الخمر[4].

وإذا كان كثير من الفقاء الإسلاميين والأصوليين يرى أن الخمرة هي مفتاح الفجور الأول، وهي المحرك للشهوة والجسد، ويتركز دورها في إفساد أخلاق الرجال والنساء والمجتمعات، فإنها عند كثير من شعراء ورجال السلطة الأموية والعباسية تأخذ دلالة جمالية وتشكيلاً جمالياً، إذ تصبح سِراً مُقدَساً، وشاربها يسبحُ في بحور السعادة والسكينة والصفاء الإنساني النفسي[5].

وأوغلت شهرزاد في قصّها الجنسي، فقد وضحت طريقة المضاجعة بتفاصيلها، وهذا يبدو جليًا في قولها على مسامع شهريار: "تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها... وأنا كذلك وقالت: أصحيح أتيت عندي أم هذا منام"[6].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، جذر(صبح).

[2] الديك، إحسان: عينية الحادرة ***ترتيلة استمطار في محراب عشتار***، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، جامعة مؤتة، الكرك، مجلد 6، العدد2، 2010م،،ص20.

[3] ألف ليلة وليلة،1/ص227.

[4] يُنظر:أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**،ط1، عمان: دار الجيل ودار عمان للطباعة والنشر، 1987م، ص 134.

[5] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص202.

[6] **ألف ليلة وليلة**، 122/1.

ويتكرر الأمر ذاته في حكاية " الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس"، إذ تقول شهرزاد موغلة بتفاصيل العملية الجنسية: "فعند ذلك تقدم الصبي إليها وكان في حالة السكر.... فأزال بكارتها"[1].

والموسيقى جزء رئيسي ومهم في ألف ليلة وليلة التي سيتحقق فيها الفعل الجنسي حتى أن كلمات اللحن الموسيقي مليئة بالإثارة والشهوة والإيحاءات الجنسية، وكثيراً ما تبرز هذه الكلمات بعض خصوصيات جسد المرأة...، ولذا لا نغالي إذا قلنا إنّ طقوس الجنس في العالم تبدأ بالموسيقى وتتواصل بالموسيقى[2].

تقوم زبيدة العودية لِتشعل طقس الليلة وجسد علاء الدين إذ "دعت الجارية وقالت لها: خذي سفرة الطعام وأعطيها له.، ثم أنها وضعت بين يديها عوداً من صنعة الهنود وأصلحت أوتاره[3].

وفي حكاية "علي بن بكار مع شمس النهار" بدت الموسيقى واضحة؛ إذ إنَّ "شمس النهار وهي من جواري أمير المؤمنين هارون الرشيد، أمرت شمس النهار الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على السرير، وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول:

أَعِدِ الرِّسالَةَ ثانِيَه وخُذِ الجوابَ علانيه
وإِلَيكَ يا مَلِكَ المِلاحِ وَقَفْتُ أَشكو حالِيّه[4].

فلما فرغت من شعرها قالت لجارية غيرها: أنشدي فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

سَكِرتُ مِن لحظِهِ لا مِن مُدامَتِهِ ومالَ بالنومِ عن عيني تمايلُهُ[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 186/1.
[2] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص200.
[3] يُنظر: **ألف ليلة وليلة**،3/ص216.
[4] المصدر نفسه، 2/ ص71.
[5] المصدر نفسه، 2/ 72.

وملأت شمس النهار الكأس وأعطته لعلي بن بكار، ثم أخذت العود وقالت: لا يغني على قدحي غيري، ثم شدت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

غرائـــبُ الـــدمعِ فـــي خديـــه تضـــطربُ وجداً ونارُ الهوى فـــي صـــدرهِ تتقـــدُ.[1]

فقام أبو الحسن واستدعى غلمانه وأرسل إلى المغاني والآلات فحضروا وأقاموا علـــى أكل وشرب وانشراح باقي اليوم إلى المساء ثم أوقدو الشموع ودارت بينهم كـــؤوس المنادمـــة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول:

رُميـــتُ مِـــن الزمـــانِ بِســـهمِ لحـــظٍ فأضـــناني وفارقـــتُ الحبائـــب[2].

يتلاقى ما ورد في "ألف ليلة وليلة" من طقوس الغناء والرقص مع عشتار؛ ففي أساطير العالم القديم ظهرت "تربسيكوري"[3] وهي إلهة الرقص المصحوب بالغناء عند اليونانيين تحمـــل قيثارة، و" بوليهيمينيا"[4] وهي ربة الموسيقى والشعر اليوناني، و" يراتـــو" وهـــي إلهـــة الشـــعر الغربي. وكذلك "يوتربي" وهي إلهة الموسيقى تحمل مزماراً[5].

ولا عجب في هذه الصور المتفحشة، فهي قادمة من مخزون عشتاري قديم، ففي بعض الأختام الأسطوانية والمنحوتات البارزة تبدو عشتار نصف مكتسية وقد أزاحت عباءتها بإحـــدى يديها من منطقتها الجنسية، وفتحت ذراعيها في وضع من يتأهب للاحتضان[6].

وتبلغ شهرزاد مرحلة الذروة في تصويرها الجماع حينما تذكر العضوين الـــذكري والأنثـــوي بوضوح في حكايتها "التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة"، حيث تقول واصفة إياهما: "وأنا ألاعب البنت وأرقص معها إلى أن صار عمري اثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعـــوني

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص74.

[2] المصدر نفسه، 2/ ص78.

[3] ينظر: بانجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص86.

[4] يُنظر: المصدر نفسه، ص79.

[5] يُنظر: المصدر نفسه، ص177.

[6] ينظر: السواح: **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص184.

عنها إلا أن دخلت عليها يوما من الأيام وهي جالسة في البيت؛ لأنها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها... وأزال بكارتها"[1].

ليس عجبًا أن تصور شهرزاد كل هذه الصور حول العضوين التناسليين؛ فهذه الأساطير المصرية القديمة لم تبخل على المتلقي في ذلك، حيث تقول إن نفرتيتي وتي وبناتهما يظهرن عرايا أمام الناس، فليس في إظهارها عيبا ولا كارثة أخلاقية في المنظور الأسطوري، كما صورت المنحوتات القديمة الإله (مين)-الرب القضيبي-الذي قطن بين منطقة إخميموقفط وبين طيبة وآرمنت، على شكل رجل عارٍ وعلى رأسه ريشتان عاليتان وذراعه اليمنى مرفوعة وبيده سوط مثلث في النهاية[2].

ومن الإغريق يأتينا (بان) ربّ الرعاة أو ربّ الماعز، وكانت صورته المفضلة التيس، وكان في الوقت ذاته ربّ الجنس، ولعل اسم الإله بعل نفسه مأخوذ من كلمة بال السومرية التي تلفظ باللاتينية فال[3].

وتظهر الأعمال الفنية التشكيلية منذ العصور الحجرية قدسية الدافع الجنسي، والقيمة الدينية للممارسة الجنسية. فمن العصر النطوفي الذي يعتبر مقدمة للعصر الحجري الحديث وجدت في سوريا الجنوبية تماثيل صغيرة تعود للألف التاسع قبل الميلاد تمثل أزواجا متعانقة... وهذه التماثيل تعبر عن قيم جنسية دينية مرتبطة بمعتقدات ذلك العصر.[4]

كما تظهر المعابد المكرسة للأم السورية الكبرى، نظرة الإنسان القديم للجنس باعتباره فعلا دينيا مقدسا. فبعض هذه المعابد قد صمم بطريقة توحي بالعضو الجنسي للمرأة، كما هو الحال في معابد تل العبيد وخفاجة وأوقير.[5]

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص195.

[2] ينظر: القمني، سيد: **النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة**، ط1، دار العالم العربي للطباعة، 1999، ص818.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص588.

[4] يُنظر: السواح، **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**"، ص178.

[5] يُنظر: المصدر نفسه، ص179.

وهذه المعابد الثلاثة، كغيرها من معابد بلاد الرافدين، وكانت مكرسة للإلهة إنانا أو للإلهة ننخرساج، وهما من الأشكال الأولى للأم الكبرى للعصور التاريخية. حيث نجد الحرم الداخلي لهيكل الأم الكبرى على هيئة عضو التأنيث،[1] ويلخص التصميم التشكيلي المعروف باسم "اللينغوم_يوني" القيمة الدينية للفعل الجنسي في العبادات، وهو عبارة عن عضو الأنوثة[2].

ارتبطت الحمامة بالمرأة المثال في الميثولوجيا القديمة، فعند الكنعانيين كان الحمام من الرموز المُقدسة، حيثُ ظهر في المعابد الكنعانية[3]، وفي حكاية" نور الدين" ذكرت الحمامة: "وفي ليلة العرس ذبحوا على قميصها حمامة غبثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجماله"[4]. وللحمامة دورٌ في الخصوبة والولادة، وهو ما يتماهى مع دور المرأة، فعندما تَعسرت ولادة " ليتو" إلهة الضوء، ظلت تتوجع لِسبع ليالٍ، أرسلت "إيزيس" إلى ربة الولادة إيليثويا ربتين على شكل يمامتين، ولما جاءها المخاض أمسكت بجذع نخلة، ووضعت "أرتميس" ثم "أبوبو"[5].

فالحمامة رمز للمأوى ورمز للودّ، ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة المشهورة من تآلف الحمام[6].

والحمامة مُقدسة منذ الأزل، فهي رمز للسّلام، وتستعملها بعض المجتمعات في الزفاف، إذ تقوم كل من العروس والعريس بإطلاق حمامة بيضاء. والواقع أنَّ الحمام هو الطّائر المقدس لربّة أفروديت آلهة الجمال النسوي، وربة العلاقات الجسدية، لما له من لمحات غزلية لفتت نظر الإنسان من أقدم العهود كما أن بين الحمام والساميين علاقة حميمة ظهرت في نظر السامي القديم إلى هذا الطائر الوديع[7].

---

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار " الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**،ص179.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص179_180.

[3] ينظر: المزين، عبد الرحمن: **الفكر الأسطوري الكنعاني وأثرهُ في التراث الفلسطيني**، ط1، عمان: دار فضاءات، 2012م، ص131.

[4] **ألف ليلة وليلة**،1/ص195.

[5] الماجدي، خزعل: **المعتقدات الإغريقية**، ط1، عمان: دار الشروق،2004م،ص 260.

[6] الجاحظ، عمرو بن بحر: **كتاب الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، مصر، 1938م، ص321.

[7] يُنظر: ماي: **تجليات شهرزاد في ديوان " ما لم تقله شهرزاد... قالته: سامية عليوي"**، ص198.

ولأن الحمام كان من الطيور المُخصصة لـ" أفروديت"؛ لذلك ارتبط زجره بمواضيع الزواج والحب والتنبؤ بالمستقبل؛ ففي المعتقدات الشعبية السائدة في أوروبا أنه إذا هبطت حمامة على الكتف الأيمن للفتاة أو لامستها خلال طيرانها، فإن ذلك بُشرى بزواج قريب للفتاة[1].

ذلك أنها "الطائر المقدس للربة أفروديت إلهة الجمال النسوي وربة العلاقات الجسدية، لما له من صبوات غزلية لفتت نظر الإنسان من أقدم العهود، كما أن بين الحمام والساميين علاقة حميمة ظهرت في نظرة السامي القديم إلى هذا الطائر الوديع حين جعلته أساطير الطوفان السامية، الدليل الذي بشر بالأرض اليابسة وانحسار الماء"[2].

تبرز في مجتمعات "ألف ليلة وليلة" ظاهرة الشذوذ الجنسي مع الحيوانات الأليفة، أو التي جرى ترويضها لتكون أليفة مثل ما جرى مع ابنة السلطان في حكاية داء غلبة الشهوة في النساء[3].

ويحكى في الليالي أن كان لبعض السلاطين ابنة قد تعلق قلبها بحب عبد أسود، فافتض بكارتها وأولعت بالنكاح، فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فكشفت أمرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق أن قردا مرَّ من تحت طاقتها فأسفرت عن وجهها، ونظرت إلى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله[4].

ولأنَّ القرد أكثر الحيوانات قدرة على النكاح، فإن القهرمانة والقوادة في آن تقترح على الأميرة أن تلجأ إلى قرد يطفئ ظمأها الجنسي، ويضيء فراغها الإنساني والروحي التي تحّسه نتيجة لعدم حصولها على الرعشة الكافية، أو الجرعات الكافية والمتواصلة من اللذة. تلجأ الأميرة إلى القرد تواقعه لخلق فضاء حميمي يفصلها عن العالم وفضاء السلطة، ويربطها بالحياة والحلم في آن واحد[5].

---

[1] ينظر: الخادم، سعد: **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1981م، ص143.

[2] البطل: **الصورة في الشعر العربي**،ص 80،81.

[3] يُنظر: **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص340.

[4] يُنظر: المصدر نفسه، 341/2.

[5] يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص98،99.

إذ يرد في حكاية "داء غلبة الشهوة في النساء ودوائها": "ثم أنها نزعت ما عليهـا مـن الثياب ولبست أفخر ما عندها من ملابس النساء فعلمت أنها أنثى أحضرت خمرا وشربت وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتى غشي عليها"[1].

ومردّ ذلك لأساطير قديمة عندما كانت النسوة إذ عسر على إحداهن النكاح، تنشر جانبًا من شعرها، وتكحل إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وتحجل على إحدى رجليها، وتقـول: "يا لكاح، أبغي النكاح قبل الصباح؛ فيسهل أمرها وتتزوج"[2].

وفي الحكاية تُعيد شهرزاد تشكيل طبقتين في معظم الليالي، ويمكن فهم هاتين الطبقتـين من الدلالات النفسية العميقة اللتي يُمكن أن تفسّر من خلال تشكل الدودتين السوداء والصفراء في رحم الصبية من خلال ممارساتها الجنسية السابقة مع العبد الأسود والقرد، ويمكـن القـول إن مفهوم الدودة السوداء يَحيل إلى العبد الأسود الذي شكلها من خلال نكاحـه للأميـرة؛ أي أنهـا مُتشكلة من الشريحة العامة من عبيد وخدم، فهم يعتدون على نساء أسـيادهم وبنـاتهم بالفعـل الجنسي حين تنام عين السلطة[3]. فشهرزاد تُحرّض شهريار على قتل العبيد، ولا سيما وأنه قتـل عبيده السابقين عندما اكتشف خيانتهم له مع زوجته.

وإذا كانت ربَّة الخصب والحياة عشتار تطلب الجنس وتريد المضاجعة، فلا قيمة للحياة عند النساء بدونه، وهذا ما تصوره حكاية " وردان الجزار مع المرأة صاحبة الكنـز"؛ فالفتـاة تطلب الجنس من الدب، يرد في الحكاية: "صارت تشرب بقدح وتسقي الدب بطاسة من ذهـب، فنزعت ثيابها ونامت فقام الدبّ وواقعها وهي تعاطيه أحسن ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كلٌ منها مغشيا عليه"[4].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 2/ص340.

[2] الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العـرب**، ط2، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، 1314هـ، 2/ص330.

[3] ينظر: يونس، محمد عبد الرحمن، **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص103.

[4] **ألف ليلة وليلة**،2/ ص338.

فعندما تشعر المرأة أنها فقدت كل أمانيها في الحصول على الجنس تصبح الحياة مظلمة قاتمة، وتطلب من وردان أن يذبحها لتستريح من فضاء الحياة القاتم، لكن وردان يعرض عليها الزواج ويطمئنها بأنه أشد قدرة على فعل الجنس من الدب، لكنها ترفض لقناعتها أن وردان لن يستطيع أن يحقق لها اندفاع الجسد والفعل الجنسي المحرض لديها دائماً، وتصر على أن يذبحها[1]. يرد في الحكاية: "صارت تشرب بقدح وتسقي الدب بطاسة من ذهب، فنزعت ثيابها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه أحسن ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منها مغشيا عليه "[2].

ثمة بعض الحكايات التي كانت مُتساهلة مع الأخلاق العامة، وهي حكايات ظهرت المرأة خائنة لزوجها، وهذا ما حدث مع الشيخ في حكاية "التاجر مع العفريت"؛ إذ يرد في الحكاية: "فجئت في الليل فرأيت عبد أسود راقدا مع زوجتي وهما في كلام وضحك..." [3].

ويتضح مما سبق أن شهرزاد أرادت من خلال الجنس السيطرة على عواطف شهريار، وتحويله إلى رجل قادر على أن يسمو على جراحه، لذلك كانت تقص حكايات متساهلة مع الأخلاق، لتنقله من حالة الشقاء التي يعيشها إلى صاحب سلطة. ولأن الجنس كان مفتاح علاج شهريار، فقد أرادت شهرزاد استعراض جميع أنواع النساء على مسامعه، لتتمكن من السيطرة على عواطفه، وتحويل تفكيره إلى رغبات جنسية، وإقناعه بأن النساء ليس كلهن مثل امرأته الخائنة.[4]

وتقدم حكايات "ألف ليلة وليلة" الجواري والوصيفات على أطباق ذهبية، ووسط أجواء سحرية مزركشة، تقديماً يركّز بالدرجة الأولى على الإثارة والوهج الجنسي بين أجساد التجار

---

[1] ينظر: يونس، **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص91.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص338

[3] المصدر نفسه، 1/ص17.

[4] ينظر: العمد، هاني: ***خطاب الجنس في كتاب ألف ليلة وليلة***، الأردن: **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 35، ع3، 2008م،ص522.

والجواري من جهة، والأمراء والجواري من جهة أخرى[1]، ويغرق علي شار مُستمتِعاً بالأجساد النسائية مُستهلِكاً نفسه؛ إذ يستهلك الجنس والخمور ثروته وتِجارتَهُ ودكاكينه، فيخرج تائِهاً شريداً إلى الأسواق، يَتأمل النساء وحلقات بيعهن والمتاجرة بهن[2].

فعلي شار يعشق الجارية زمرد ويقضي معها أجمل ليلة يرد في الحكاية: "وأدركت علي شار الشهوة، فلما رأى زمرد قبلها وعانقها... ورق منها الأولاد وعاشا في أحسن المسرات إلى أن أتاهما هاذم اللذات ومفرق الجماعات "[3].

لقد لعبت التوابل وكافة أنواع البُخور والعطور القامة من الهند والسند وفارس واليمن دوراً واضِحاً في تفجير الإثارة العربية على المستوى الجنسي. ومن يقرأ "ألف ليلة وليلة "يلاحظ أن العطارين أصبحوا خبراء في فن الجنس والإثارة العربية، وقد ساهم هؤلاء العطارون إلى درجةٍ كبيرة في انحلال الحياة العربية والإسلامية؛ إذ أصبحت حوانيتهم فضاءً تُعقد فيه صفقات الجنس، وتتردد إليه الجواري والغلمان[4].

فشهرزاد تغنت بجمال جسد المرأة وبجمال روحها من خلال وصف مفاتنها الجسدية، والفعل الجنسي في "ألف ليلة وليلة" هو جماعي يتشارك فيه أبناء الملوك والجواري والعبيد، وهذا الفعل ملئ بطقوس الحب والعشق، وطقوس الجنس المقدس ارتبطت بالإلهة الكبرى عشتار فهي ربة اللذة وسيدة الدافع الجنسي، وكذلك الزهرة إلهة الجنس والإخصاب عند العرب.

---

[1] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص22،21.

[2] يُنظر: المصدر نفسه، ص22.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص317.

[4] ينظر: يونس: **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ص174.

الفصل الثالث

التجليات الشخصية

لعشتار في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول: السحر الأسطوري في الليالي

المبحث الثاني: الجنية في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الثالث: الحية في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الرابع: المرأة المحاربة في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الخامس: المرأة الكاهنة في "ألف ليلة وليلة"

المبحث الأول

السحر الأسطوري في الليالي

السحر هو ما خفي على أكثر العقول سببه، وصَعُب استنباطه، وحقيقته كل ما سحر العقول، وانقادت إليه النفوس بالتعجب والاستحسان والإصغاء من الأقوال والأفعال[1]، ويقوم السحر على تسخير الجن والعفاريت، وذلك بطقوس منافية للدين والأخلاق حيث تنبذها الإنسانية، منها على سبيل المثال: عبادة الشياطين والتقرب إليها بالذبائح، وكتابة آيات القرآن بدم الحيض، أو بدم الطيور التي تذبح دون ذكر اسم الله عليها، بل بذكر اسم الشيطان[2].

ومذْ درجت الأمم على وجه الحياة، وهي تبحث عن وسائل تمكنها من السيطرة على الآخرين، فوجدت ضالتها في السحر الذي يُعتقد أن أصله بابلي، ثم تناوب الكنعانيون على عبادة الآلهة والعفاريت، بغية السيطرة عليها، ولم يفلت الجاهليون من الاعتقاد بقوة الجن في التأثير على أشعارهم، وقد زعمت العرب أن الشعر وحي يوحى، فما الشاعر إلا لسان لشيطانه يقول ما يلهمه إيّاه[3].

وشهرزاد لم تستخدم السحر تجاه شهريار لتحويله من هيئة إلى هيئة خوفاً؛ منه سواء أكانت عارفة بفنون السحر أم لا، لكنها استخدمت سحراً آخر حولهُ من داخله، فهي بسحرها العالي المدهش" فن الكلام وجماليته" استطاعت أن تؤنس شهريار وتعيده رويدا، فهي بذلك كانت ساحرة لتبني، لا ساحرة لتنتقم[4].

وتظهر صورتها في الغرب على شكل الساحرة العجوز الشمطاء، التي تركب عصا المقشة طائرة في الهواء، وفي بلادنا هي النّهّالة مصاصة الدماء وهي السماوية خاطفة الأطفال

---

[1] يُنظر :الحوت، محمد سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص236.

[2] ينظر: القرني، عائض، **عالم السحر**، ط3، مكتبة العبيكان، 2013، ص172.

[3] ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2013، ص64.

[4] يُنظر: حميد: **ألف ليلة وليلة" غيبوبة القص_ غيبوبة الاستماع**"، ص179.

وهي الغولة آكلة البشر التي احتفظت بلقب الأم حيث يشير إليها الناس دوما على أنها أمنا الغولة[1].

وعندما انهارت الديانات العشتارية وارتفع على أنقاضها آلهة الشمس الذكور، احتكروا وجه الألوهة الأبيض ورموا بوجهها الأسود للأبالسة والشياطين، تحللت صورة عشتار السوداء الجليلة، وتفتت إلى صور مبعثرة مبتذلة يلوكها الخيال الشعبي، ويعجنها على طريقة الحكايات الفلكلورية.[2]

وتعلق المصريون القدماء بالسحر وآمنوا به، وتشهد على ذلك الممارسات الشعبية التي تحتل فيها الرقى والتعاويذ مكانا مركزيا إلى الحد الذي جعل المصريين غامضين دائما أمام الشعوب الأخرى التي أساءت فهمهم.[3]

ولم تخلُ الليالي من حكايات تفصل القول في موضوع السحر، فشهرزاد عادت بثقافتها إلى زمن قديم كان السحر فيه الشغل الشاغل، ودرست أساليب ترويض الجن والشياطين، وبطريقة مشوقة نقلتها إلى شهريار الذي افتتن بحكاياتها. وتركز الليالي على المرأة الساحرة التي تمارس شتى أصناف الطغيان على أبناء جلدتها. وهذا ليس بغريب فالأساطير تحفل بالوجه الأسود لعشتار إلهة الجدب والموت والفناء، وحين تغضب تكشر عن أنيابها فتظهر بقناع أمنا الغولة كما عرفت في المعتقدات الدينية والشعبية[4].

غير أن أسطورة عشتار الساحرة تختفي في الحكايات، فهي لم تنل التصريح المباشر، ففي حكاية التاجر مع العفريت، وقد صنفت على أنها من الخرافات ذات الأصل والنمط الهندي، تبدأ حكايات الشيوخ الثلاث التي يحكونها للجني لإنقاذ حياة التاجر، بأن يسافر كل واحد منهم بصحبة حيوان هو في الأصل إنسان ممسوخ، عقابا على شر اقترفه. والغزالة التي يصحبها

---

[1] يُنظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص234.

[2] السواح، المصدر نفسه، ص234.

[3] يُنظر: طلب، حسن: **إيزيس خلف قناع شهرزاد (أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره)**، ص 223.

[4] ينظر: سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص 98.

الشيخ الأول هي في الحقيقة زوجه الأولى التي سحرت زوجه الثانية إلى بقرة وولدها إلى عجل، ثم عوقبت بعد ذلك بأن تحولت هي نفسها إلى غزالة[1].

وتظهر قوة الساحرة في تحويل الآدمي إلى حيوان فهذه "سيرس ساحرة اليونان حولت بسحرها الرجال إلى حيوانات "[2] في حكاية "التاجر مع العفريت": "إن هذه الغزالة هي بنت عمي وتزوجت بها وهي صغيرة وأقمت معها ثلاثين سنة فلم أرزق بولد فأخذت لي سرية فرزقت بولد وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة منذ صغرها فسحرت الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة "[3].

أما قضية تحويل الآدمي- إلى عجل أو بقرة من خلال السحر، فمردّها إلى أساطير ترى في هذين الحيوانين قربانين متميزين للآلهة، فقد حفلت النقوش والتماثيل برسوم لهما، ففي التصوير الأيقوني المسيحي كان العجل حيوانا قربانيا بامتياز، وفي الأساطير اليونانية أبدل آيو عشيقته ببقرة كي يبعدها عن نيران عشيقته المسحورة "هيرا"[4]. إن البقرة المقدسة موضوع شائع في الفن الهندي، حيث تبدو الربة "أوزاس" متوحدة البقرة في الطقس الفيدي كذلك الربات "أديتي"، "برشيني" وغيرهن، وأكثر ما مثل الفن المصري، البقرة المقدسة، أيضا: فهي الربة "حاتور" الحامية للفرعون، أو مرضعته لكي تنفث في اللبن الإلهي، وحياة الآلهة نفسها[5].

وتتجلى عِشتار على الصعيد الحيواني، من خلال البقرة، التي تمتاز بمظاهر الإخصاب الظاهرة على جسدها، عما سواها من الحيوانات، فقد جاء في أحد ألواح أسطورة بَعل الأوغاريتية: أَنَّ بعلاً قبل هبوطه، باشر بَقرة صغيرة فولدت، إمعاناً منه في تأدية الوظيفة الإخصابية، بمعية عناة البقرية:

---

[1] ينظر: أبو بكر، أميمة: ***المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة*، فصول مجلة النقد الأدبي**، ج2، 1994م، ص243،242.

[2] بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**،ص144.

[3] **ألف ليلة وليلة**،1/ص13.

[4] يُنظر: بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير،ص60.**

[5] ينظر: سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن _ الأديان_ الحياة**،ص54.

فراح يحبُ عجلةً في طرف القفر، بقرة صغيرة في المرعى، في ساحل الممات أو في حقل الأسد1.

وَتَشي لنا ألواح أوغاريت، برمزية البقرة للحضرة الأمومية، حيث يُشبِه الكاتب قلب عشتار في أحدها، بقلب البقرة الممتلئ حناناً وعطفاً، تجاه وليدها الطفل:

كقلب البقرة على عجلها،

وكقلب الشاة على حملها،

كذلك هو قلب عناة على بعل[2].

ويبدو أن الكلب هو الآخر نال نصيبه من التحول في الحكايات، يظهر ذلك في حكاية التاجر مع العفريت: "قال الشيخ للجني: إن هذه البغلة كانت زوجتي سافرت سنة كاملة، وجئت إليها في الليل فرأيت عبد أسود معها في الفراش فلما رأتني قامت إلى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني، وقالت أخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت"[3].

وربما اقتناع شهرزاد بسحر الكلاب وتحولها بصورة واضحة مرده إلى أساطير المصرية التي تجعل الكلب معادلاً موضوعياً للإله أنوبيس عند المصريين، وهو حيوان غير طاهر في الشريعة الإسلامية، وبعضهم يمجّده حيث يقولون إنه كان يرافق محمدا عند دنوه من مكة، وهورمز الوفاء، وعند شعوب السلت يعد الكلب –على الأغلب– حيوان الموتى، وما يزال يعرف حتى يومنا في الخرافات الإيرلندية بالشيطان، أو مفترس الجيف[4].

وتنالُ السمكة حظًا وافرًا من السحر التحولي في الحكايات وهذا يظهر في حكاية وزير الملك يونان والحكيم ريان" التي ترد في الأقوال الآتية:" قال العفريت للصياد: اتبعني وطلعا على

---

[1] فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت" رأس شمرا"**، بيروت: دار النهار للنشر، 1980م، ص156،155.

[2] السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ط11، دمشق: دار علاء الدين،1996م، ص 352.

[3] **ألف ليلة وليلة**،1/ص17.

[4] سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن _ الأديان_ الحياة**، ص 75.

جبل ونزلا إلى برية في وسطها بركة ماء، وأمر الصياد أن يطرح شبكته، فنظر الصــياد إلــى البركة، وإذا بهذا السمك ألوانا، الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر، ثم طرح شبكته وجــذبها فوجد فيها أربع سمكات، كل سمكة بلون "[1]. و"أخذت الجارية السمك ونظفته ثــم أنهــا تركــت السمك حتى استوى، وإذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منه صبية رشيقة القد أسـيلة الخــد، وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن، وقالت: يا سمك هل أنــت علــى العهد مقيم...ثم أقامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود"2.

"فالعفريت في نهاية الأمر يكافئ الصياد بأن يدله على مكان بحيرة مســحورة يصــطاد منها سمكا مسحورا ذا ألوان مختلفة، يهديها إلى الخليفة فيجزل لــه العطــاء. بيــد أن الســمك مسحور، ولا تستطيع جواري الخليفة طهوه، إذ ينشق الحائط عن صبية تخاطب السمك ويــرد عليها ثم يتفحم قبل طهوه، وبعد إصرار الخليفة على معرفة السر، يقوده ذلك إلى اكتشاف بلــد كامل وقد تحول إلى حجارة سوداء، وفيه بركة كبيرة فيها تلك الأسماك الملونة. ويجد الخليفــة ملك ذلك البلد متحجرا نصفه الأسفل، ويحكى له كيف غدرت به زوجته حــين ضــبطها مــع عشيقها فسحرته وبلده إلى تلك الحالة المتحجرة، وحولت شعبه إلى تلك الأسماك، وكل لون يشير إلى ديانة صاحبه، وتنتهي القصة بأن يساعد الخليفة ملك الجزر السوداء علــى قتــل الزوجــة وعشيقها بعد أن تفك السحر عن البلدة وسكانها3.

ويبدو أن تحويل السحرة الآدمي إلى سمك دون غيره من الكائنــات البحريــة لعلاقــة أسطورية، حيث تظهر القديسة العذراء في نقش بمدينة نوتردام وهي تعطي ثديها إلى سمكة، كما تظهر في نقوش أخرى سمكة ذات حجم كبير وهي تبتلع كائنا بشريا حتى نصف جسده[4]. وهناك أبجو: إلهة مصرية قديمة، تشبه السمكة، مهمتها حماية إله الشمس في رحلته إلى العالم الســفل في أثناء الليل[5].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،1/ص31.

[2] المصدر نفسه، 1/ص32.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 1/ ص 31_36.

[4] سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن _ الأديان_ الحياة**، ص 212، 216.

[5] بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص 16

ولا يقتصر السحر على تحول البشر إلى كائنات حية بل يصل الأمر إلى سحر الجمادات وتحويلها من شاكلة إلى أخرى كما يرد في السطر الآتي: "الساحرة سحرت المدينة وما فيها من الأسواق والغبطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود وسحرت الجزائر الأربعة جبال وأحاطتها بالبركة"[1].

وتحليل السطر السابق مرده لأساطير سحرية قديمة، فالأسطورة (ميدوزا) تعد إحدى الغورغونات، اللواتي يحولن كل من يقع نظرهن عليه إلى حجر[2]. وهذا برسيوس: استطاع ان يقطع رأس ميدوزا في حين كان ينظر في درعه ليتجنب نظرة دانائي التي تحول الناس إلى حجارة. حمل الرأس وطار به. لأن أطلس كان ضده. وبهذه الطريقة ظهرت جبال أطلس. فأخرج رأس ميدوزا فتحول أطلس إلى حجر[3].

وليس فقط على الكائنات البشرية بل تعداه إلى الفضاء المائي مثل عين الماء المسحورة في حكاية "مكر النساء" حيث إن أي امرأة تشرب من هذه العين تتحول إلى رجل؛ إذ يرد في حكاية مكر النساء " يا أخي ما يقال لهذه العين؟ فقال له يقال لها عين النساء لا تشرب منه امرأة إلا صارت رجلا فاحمد الله واشكره على العافية"[4].

إنَّ المتأمل فيما سبق يرى خطورة السحر الموجود في الليالي، غير أن شهرزاد تعي تماما أن لكلِ داءٍ دواء، ودواء السحر يكمن في فكه، وهذا ما لم تبخل به الحكايات ففي حكاية التاجر مع العفريت تنفذ بصيرة ابنة الراعي إلى حقيقة هذا المخلوق العجل إلى ما وراء صورته الظاهرة، وهي الطرف الذي يستطيع تخليصه وإرجاعه إلى صورته الأولى، لتطابق الشكل مع الجوهر أو الروح، بعد أن مثّل المسخ نزعا واضطرابا للهوية[5]. وردت في حكاية التاجر مع العفريت " قال الراعي: أيها التاجر إن لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،1/ص38.

[2] شابيرو: **معجم الأساطير**، ص 104.

[3] المصدر نفسه، ص 202.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص 201

[5] أبو بكر: **المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة**،ص243

عجوز، فلما كنا بالأمس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت إليه ابنتي وغطت وجهها وبكت، وقالت: قد خس قدري عندك حتى تدخل الرجال الأجانب "[1].

وفي حكاية "الحمال مع البنات": "قال الملك لبنته: من أين عرفت أنه مسحور، فقالت:كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتني السحر، وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه، أقل منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحر وأجعل أهلها سمكا"[2].

وفي تعليم الفتيات الصغار قضايا السحر منذ نعومة أظفارهن عودة إلى أساطير قديمة، ففي أمريكا الجنوبية تروي قبائل أونا:"أنه في الأيام القديمة كانت فنون السحر وقفا على النساء اللواتي كن يجتمعن في محافل سرية خاصة، لا يجرؤ الرجال على الدنو منها. وكانت البنات الصغيرات تلقن أسرار السحر عندما يقتربن من سن النضج، ويتعلمن كيف يجلبن الأذى والمرض وربما الموت لكل من يسئ إليهن، ثم سرعان ما يلتحقن بالمحافل ليرثن إدارتها عن متقدماتهن[3].

فالمرأة جسدها مستودع للأسرار العشتارية، يعمل بطريقة هي أقرب لفعل السحر منها للفعل الطبيعي، لذلك كانت المرأة الساحرة الأولى، وبسحرها كانت تمارس سيطرتها على الرجل وتعزز مكانتها ضمن الجماعة، فليس من المستغرب أن يبدأ الرجل أولى خطواته في التحرر من سلطة المرأة باغتصاب صلاحيات السحر[4].

ولهذا كانت كثيرة المُتهمات بممارسة السحر من النساء، والنساء في نظرهم مفطورات على الشر، والساحرة في صورتها المُحدثة امرأة وثيقة الصلة بالشيطان، لها مقدرة على إتيان الخوارق، تُحلق بين آنٍ وآخر في الهواء، فيما بين الجمعة والسبت من ليالي الأسبوع، ممتطية

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،1/ص14.

[2] المصدر نفسه،1/ص63.

[3] السواح: **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص 257

[4] المصدر نفسه، 256.

مكنسة ذات عصا، فتؤُم ندوات مُختلفة تتنادى فيها الساحرات فوق قنن الجبال الشاهقة، لتجــدد البيعة للشيطان وإظهار الولاء له[1].

وتستخدم الساحرات الماء المسحور مساعداً في شعائر الانتقال والتحول، فابنة الراعــي في حكاية التاجر مع العفريت ساحرة أرجعت ابن التاجر الذي سُحر عجل إلى صورته الأصلية تقول الحكاية " أخذت طاسة وملأتها ماء ثم أنها عزمت عليها ورشت بنا العجل وقالت: إن كان الله خلقك عجلاً فَدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحور فعد إلى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض وصار إنساناً"[2]. وفي نفس الحكاية أيضا يظهر القول الآتي: "فأخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه وقالت: اخرج من هذه الصورة إلى صــورتك الأولــى فصرت"[3]... "وقلت لابنة الجزار: أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قلــيلا مــن الماء، وقالت: إذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فرششت الماء، وقلت اخرجــي مــن هــذه الصورة إلى صورة بغلة"[4].

فللماء بشكل عام في الأساطير والخرافات الشعبية القديمة دورٌ مهمٌّ في التغلــب علــى الأرواح الشريرة، باعتباره ضداً لها[5]، حيث ادعوا أن رشّ جسم المريض بالماء المحمول مــن أحد المجاري المقدسة، يُخرج الشيطان من الجسم"[6].

وحديث السحر يعود بنا إلى إيزيس، تلك التي عرفت بأنها العظيمة في أعمال الســحر، وإذا كانت قد جربت منذ القديم ألوانا من الطقوس السحرية في صراعها ضد قوى الشر بطريقة يعز فهمها على غير المصريين، فإنها ستجرب من خلف قناع شهرزاد سحرا جديدا يصل إلــى

---

[1] عيد، يوسف: **الديانة اليهودية**،ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني،1995، ص7.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص15.

[3] المصدر نفسه،1/ص17.

[4] المصدر نفسه،1/ص17.

[5] صالح: **الجن في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إ: إحسان الديك،فلسطين، 2005م،ص18.

[6] سعاف، كامل: **معتقدات آسيوية(العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)**، دار الندى،1999م، ص58.

أفهام البشر كافة، ويأخذ بمجامع قلوبهم، فيصبحون هم وشهريار مسحورين مأخوذين بما تلقيه الساحرة الصناع على مسامعهم من غرائب الحكايات وعجائب القصص[1].

فالإلهة إيزيس هي الأم الكبرى الساحرة، هي سيدة السحر بشتى أشكاله وأنواعه، وكل عمل يجري بمعاونتها واستلهام قوى الظلام التي تسيطر عليها. وفي مصر، تبقى إيزيس على مر العصور اسما يبعث في النفس رهبة الغوامض والخفايا والعوالم السرية[2].

وتؤكد أسطورة مصرية وجود حلول للسحر فهذه إيزيس تحصل على سلطتها المطلقة من يد الإله الأكبر رع، بوساطة قواها السحرية الخارقة، فالإله رع قد كبر وغدا طاعنا في السن، ولكنه بقي سيدا للسماوات والأرض، وإيزيس تتوق إلى الصعود إلى مرتبة السيد الأكبر كحاكمة للكون وسيدة للآلهة، فأحكمت خطة تجبر الإله على إفشاء سره لها. فعضته ودفعت سمها في جسده، وهنا تستخدم إيزيس تعاويذها السحرية لطرد السم من جسد رع، وتنتقل إليها جميع قوى الإله الأكبر بانتقال اسمه السري إليها[3].

كان حضور السحر في ألف ليلة وليلة واضحا واستعمل كوسيلة لتنفيذ خطة من المرأة الخائنة التي تريد أن تصل إلى حبيبها، فتسحر الزوج حتى تلتقي بعشيقها ولا تتعرقل خطتها يظهر ذلك في حكاية التاجر مع العفريت " غبت عن زوجتي سنة كاملة وجئت إليها في الليل فرأيت عبدا أسودا راقدا معها في الفراش فلما رأتني قامت إلي بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت في الحال كلبا"[4].

فهذه سيريس هي ساحرة عند اليونانيين، حولت بسحرها الرجال إلى حيوانات، كما حولت رفاق "أوديسيوس" إلى خنازير، إلا أن "أوديسيوس" نجا بفضل "هرمس" وأجبرها على إعادة رجاله إلى حالتهم الأولى، وثم صارت عشيقته[5].

---

[1] طلب: **إيزيس خلف قناع شهرزاد (أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره)**، ص 223.

[2] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص261.

[3] ينظر: المصدر نفسه"، ص 261،262.

[4] **ألف ليلة وليلة**،1/ص17.

[5] بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**،ص144.

تسحر الملكة جوهرة بدر باسم إلى طير رغم تعلقه بها يرد في الحكاية: "أن جوهرة بنت الملك السمندل قالت للملك بدر باسم: إن كنت أحببتني شبرا فأنا أحببتك ذراعا، وقربت منه وضمته إلى صدرها، فلما رأى الملك بدر باسم فعلها ازدادت محبته لها واشتد غرامه بها ثم أن جوهرة ضمته إلى صدرها وتكلمت بكلام لا يفهم وتفلت في وجهه وقالت له: اخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر، أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين وانقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر"[1].

يحفل تراثنا العربي بتحولات سحرية خرافية، بتحول أبطال الحكايات ومسخهم إلى حيوانات وطيور وأصنام وكلاب في معظم الحكايات الخرافية عن طريق السحر والتنجيم[2].

يبدو أن ما ورد في الليالي من سحر العاشقة لمحبيها على هيئة طير مرده إلى أسطورة الإلهة عشتار عندما وقعت في حب طائر الشقراق الملون. وقد شخصت الإلهة عشتار إلى قامته الفارعة وهامت به حبا، وعرضت عليه الزواج منها معددة الهدايا والأعطيات التي ستمنحه إياها إذا قبل العرض ولكن جلجامش رفض عرض عشتار منددا بخياناتها المعروفة لعشاقها وأزواجها[3].

جلجامش يدير ظهراً لحب الإلهة ويأخذ في تعداد مثالبها وتهتكها جاء في ملحمة جلجامش:

أي حبيب أخلصت له الحب إلى الأبد؟

تعالي أفضح لك حكايا عشاقك:

على تموز زوجك الشاب

أحببت طائر الشقراق الملون

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص353.

[2] عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص358.

[3] السواح، فراس: **جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة دراسة شاملة مع النصوص الكاملة**، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا، 2002م، ص 35.

ولكنك ضربته فكسرت له الجناح

وها هو في الغيضات ينادي: وا جناحي

أحببت الأسد، الكامل القوة

ولكنك حفرت له مصائد سبعا

أحببت الحصان السباق في المعارك

ولكنك قدرت عليه السوط والمهماز والأحزمة

أحببت راعي القطيع

ولكنك ضربته فمسخته ذئبا

أحببت أيشولا بستاني نخيل أبيك

فضربته فمسخته خلدا

فإن أحببتيني، ألا يكون نصيبي منك كهؤلاء؟[1]

بهذا الرد الذي ينطوي على السخرية والتشهير، سرد جلجامش مغامرات عشتار مع عشاقها وصور عدم إخلاصها لأيٍّ منهم والنهاية المحزنة التي انتهى إليها كل منهم، وكان طبيعيا أن تثور غاضبة وأن تفكر في الإنتقام لنفسها منه [2].

وفي حكاية زواج الملك بدر باسم بن الملك شهرمان ببنت الملك السمندل تسحر الملكة لاب وهي ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهي كاهنة غدارة، تسحر محبيها المارقين في هيئة طيور وحيوانات وتسحر نفسها طيرة ليجامعها عاشقها، إذ يرد في الحكاية "انقلبت تلك الطيرة البيضاء

[1] السواح: **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"،، ص183،182.

[2] علي، فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، ط1، بغداد: دار الحرية" مطبعة الجمهورية، 1973م، ص68.

في صورة بشر فتأملها وإذا هي الملكة لاب فعلم أن الطائر الأسود انسان مسحور وهي تعشــقه وتسحر نفسها طيرة ليجامعها" [1].

فالإلهة إيزيس تَحولت إلى طائر السنونو، وتَلازُم الحمام والسنونو قاد بعض البــاحثين إلى اعتبار إيزيس هي الحمامة[2]. وسميراميس ومعناها الحمامة البيضاء، ومنهم مــن قــال إن سميراميس تعني حَبيبة طيور الحمام[3]،وَحولت إلى حمامة وَعبَدها الناس على هذه الصورة[4].

فهذه الربة أثينا حولت أراخني إلى عنكبوت، وحكمت عليها أن تظل معلقة وتغزل إلــى الأبد عقابا لها على إهانتها. لأنها تحدت الربة في مباراة نسيج5. وكذلك زيوس الذي حول والدة أركاس إلى الدب الأكبر.[6] وأستيرا تحولت إلى طائر السمان وقفزت فــي البحــر، وأصــبحت جزيرة[7].

ويتكرر ذلك في حكاية ملك الجزائر الذي تسحره زوجته لتلتقي بحبيبها:: " قــال ابــن صاحب الجزائر السود: تزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة فمكثت فــي عصــمتي خمس سنين، فسمعت الجارية تقول: يا مسعودة إن سيدنا مسكين ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة، فقالت الأخرى: لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لايصلح لهذه الزانية التي كــل ليلة تبيت في غير فراشه"[8].

"وقلت لها وسيفي مسلول في يدي: هذا كلام الخائنات اللائــي يســكرن المعشــر، ولا يحفظن الصحة وأردت أن أضربها فرفعت يدي في الهواء فقامت وتكلمت بكلام لا أفهمه، وقالت جعل الله بسحري نصفك حجرا ونصفك الآخر بشرا" [9].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 362/3

[2] زيدان: **الحمام في الشعر الجاهلي" دراسة ميثولوجية**"،ص18.

[3] الأحمد، سامي: **سميراميس**،ط1،بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،1989م،ص83.

[4] ينظر: غبرائيل، ميخائيل: **أساطير الأولين**، بيروت: مطبعة المصريين اليسوعيين، 1894م،ص131.

[5] ينظر: شابير، ماكس: **معجم الأساطير**، تر: حنا عبود، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص47.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص47.

[7] ينظر: المصدر نفسه، ص53.

[8] **ألف ليلة وليلة**،1/ص35.

[9] المصدر نفسه،1/ص38.

المبحث الثاني

المرأة الجنية في "ألف ليلة وليلة"

منذ أن حطّ الإنسان على سطح الأرض، أخذ يتأمل ظواهر الطبيعة، ومن خلال صراعه معها، أحس بأن في تلك الظواهر قوى خفية، أو أرواحا تسبب أصواتاً، وحركات غريبة، فحاول التوصّل إلى مصدرها، الأمر الذي دفعه إلى ربطها بغريزة دينية عظمى، وقد عزا إلى هذه القوى مظاهر التجدد والعطاء، وما لبث أن ربط هذه القوى بكائنات غيبية أو خفية، قادرة على التشكل في هيئات متعددة، سيطرت على مشاعره، فرسم لها صوراً مثيرة مرعبة ممزوجة بصور من واقعه[1].

وأحداث الخوارق بكلّ مشتملاتها وأنماطها تغطي جانبا كبيرا من حكايات "ألف ليلة وليلة"، فلا عجب أنها أذكت خيال كلّ من قرأها، بما فيها من الحكايات التي تحاكي الإنسان إلى ما وراء واقعه المحدود المليء بالمشاغل والهموم والأمور الدينية[2].

وهكذا، فإن الليالي تزخر بوجود إشارات عن الجنيات، ففي حكاية نور الدين مع أخيه شمس الدين يظهر ذلك:"دخل على قمر الزمان الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه، وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين، فخرجت جنية"[3].

ويمكن ربط الحكاية السابقة بالشيطانة "ليليث" التي احتلت المركز الأول عند السومريين، والتي مثلت رمزاً للشر والعداء، هي إلهة الظلام، وسيدة السحر الأسود، وتنتمي إلى قوى العالم السفلي.[4]وليليث عفريتة وشيطانة القفار المظلمة حيث تؤدي دوراً مُهِمّاً في عالم الشر الشر والعالم الأسفل[5]، وبلقيس ملكة سبأ اعتقد الملك سليمان أنها هي العفريتة ليليث[6].

---

[1] ينظر: صالح: **الجن في الشعر الجاهلي**، ص6.

[2] البطوطي، ماهر: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية(دراسة في الأدب المقارن)**، ص 214.

[3] **ألف ليلة وليلة**،1/ص94.

[4] الماجدي، خزعل: **إنجيل سومر**، ط1، منشورات الأهلية، عمان، 1998م، ص 224،223.

[5] ينظر: السواح: **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص 216.

[6] ينظر:عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص600.

والبابليون والآشوريون ينظرون إلى الجن والأرواح على أنها كائنـات وسـيطة بـين مستوى الآلهة ومستوى البشر، وهي كائنات غامضة تحوطها الأسرار من كل حدب وصـوب، تنتمي إلى الإله "أنو" وأحياناً تُنسب إلى "إيا" وأحياناً أخرى إلى "نيرجال"، وتتخذ هذه الكائنات في بعض الأحيان صُوراً حيوانية، أو إنسانية أو وحشية غريبة [1].

والجنيات في "ألف ليلة وليلة" غير قادرة على الشر كثيراً، وهي غالباً خيرة وعلاقتهـا بالإنسان حسنة، تكون عِرفاناً بالجميل أحياناً، وحباً حيناً آخر[2]. " حظيت المعتقـدات الكنعانيـة بوجود جن طيبة تُسمى " الرفائيم" [3]، فتظهر الجنية الطيبة التي تقدم المساعدة للتاجر في حكاية التاجر مع العفريت يرد في الحكاية: " وَجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع،فأخذتها وكسوتها وقد أحبها قلبي فغار إخوتي مني وتحدثوا بقتلي...فجاؤوني وأنا نائم ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي صارت عفريتة وحملتني وأطلعتني على الجزيرة "[4]. فهذه الجنية طيبة لا تسبب الأذى للإنسان.

وفي حكاية "الحمال مع البنات" تُكافؤ الجنية الصبية التي قتلت عَدوها بأن تَسحر أختيها الشريرتين إلى كلبتين حيث " قالت الجنية للخليفة: اعلم أن هذه الصبية صَنعت معي جميلاً فهي أنقذتني من الموت وقتلت عدوي، ورأيتُ ما فَعَلَهُ معَها أختاها فما رأيـتُ إلا أن أنـتقم منهمـا فسحرتهما كلبتين"[5].

فالجنية تمتلك قوة خارقة فهي تسحرُ الإنسانَ حيواناً، كما في حكاية "الحمال مع البنات" الخليفة قال للصبية: هل عندكِ خبر بالعفريتة التي سحرت أختيكِ"[6].

---

[1] ينظر: الجوهري، محمد: **علم الفلكلور" دراسة في المعتقدات الشعبية**"، تر: رشدي صالح، ط1، القاهرة: دار المعارف، 2/ ص364_368.

[2] ينظر، القلماوي: **ألف ليلة وليلة**، ص144.

[3] ينظر: الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع،2001م، ص184.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص16.

[5] المصدر نفسه، 1/ ص81.

[6] المصدر نفسه، 1/ ص81.

وَتفك الجنية السحر عن الفتاتين بأمر من الخليفة أمير المؤمنين إذ يـرد "أنَّ العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها، وَرشت وَجه الكلبتين، وَقالت لهُما عودا إلى صورتكما الأولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما"[1].

وهناك الغولة الشريرة في حكاية "التاجر مع العفريت" تضمر الشر لإبن الملك الذي شاهدها تبكي في البرية، فرق لحالها وهو لا يعلم أنها تريد أن تطعمه لأطفالها، إذ يرد في حكاية "وزير الملك يونان والحكيم ريان":" وإذا بجارية على رأس الطريق وهي تبكي، وقالت له: أنت بنت ملك الهند وكنت في البرية فأدركني النعاس فوقعت من فوق الدابة، فلما سمع الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر الدابة، فقالت له: يا سيد أريد أن أزيل ضرورة، فدخل خلفها وهي لا تعلم به، فإذا هي غولة وهي تقول لأولادها يا أولا دي قد أتيتكم اليوم بغلام سليم فقالوا أتينا به يا أمنا نأكله في بطوننا"[2].

فالمرأة تتغول: أي تتلون، وكل ما يغتال الإنسان من جنّ أو شيطان أو سبع، غول، ومن معاني الغول المفازة؛ لأنها تغتال كلَّ من يمر بها، ويقال امرأة ذات غول أو طويلة، لذلك تغول الثياب، فتقصر عنها، ويقال كذلك للمنطقة المنخفضة من الأرض غول، ويقال الغول ساحرة الجن والحية، والجمع أغوال[3].

وقد ذهب الدميري إلى "أنّ الغيلان سحرة الجن لأنها قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وأنها من سباع الجن"[4]، ويؤكد الجاحظ ذلك بقوله: "إنَّ الجنيّة إذا تعرضت، وتلونت، وعبثت بالإنسان شيطانة، ثم غول؛ أي أن الغول من الشياطين"[5]، كما أطلق عليها العرب "خيتعور" لما

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص81.

[2] المصدر نفسه،1/ص27.

[3] **لسان العرب**، مادة (غول)، **تاج العروس**، مادة(غول)، الاشتقاق،188/2.

[4] الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت: دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، 1/ص185.

[5] **الحيوان**، 233/6.

لها من قدرة على التلون والتشكل، وهو كلّ شئ، لا يدوم على حالة واحدة، ويضمحل، ويتلاشى كالسراب"[1].

إن تلون الجنيات يعطي انطباعًا أن هناك قوة خارقة تملأهن ومن خلالها يسيطرن على العالم المحيط بهن ويبعث الرعب في القلوب، وتأتي حكاية "قمر الزمان بن الملك شهرمان" تأكيدا لهذه الحقيقة: "وطارت الجنية ميمونة فسمعت خفق أجنحة طائرة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بن ملك الجان خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها "[2].

والجنيات في "ألف ليلة وليلة" يَقمنَّ بِدورٍ خطير من حيث سلطانهم، فهنَ يحتكمن على جيوش وممالك ولهم دولة وعز وسلطان. وهن يسخرنَّ العفاريت وبعض الحيوانات لأغراضهن[3]. وينشرن الرعب والخوف مثل ميمونة في حكاية "نور الدين مع أخيه شمس الدين" " أن الجن دهنش قال للجنية ميمونة: اتركيني أروح في حال سبيلي واكتبي لي بخطك أني عشيقك حتى لا يُعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة، يا دهنش أخبرني بما تراه ولا تكذب وإن لم يكن كلامك صحيحا انتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك" [4].

وَتُهدد العفريت دهنش بحرقه تقول:"إن لم تفعل ما أمرتك به في هذه الساعة يا ملعون أحرقتُكَ بِناري وَرميتُكَ بشرارِ أسراري وَمزقتُكَ قِطَعاً في البراري وَجعلتُكَ عِبرة للمقيم والساري"[5].

تخرج الجنية وتشق الحائط فتخيف من حولها يظهر ذلك في "حكاية وزي الملك يونان والحكيم ريان:"وإذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد وقالت: يا سمك يا

---

[1] الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**،170/2.
[2] **ألف ليلة وليلة**،2/ص107.
[3] ينظر: القلماوي: **ألف ليلة وليلة**، ص144.
[4] **ألف ليلة وليلة**،2/ص107.
[5] المصدر نفسه،2/ص111.

سمك هل أنت على العهد القديم مقيم، فلما رأت الجارية هذا غشي عليها، ثم قامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود[1].

وأكثر ما تقوم به العفاريت أو الجن في "ألف ليلة وليلة" هو حَمل البطل إلــى مســافات بعيدة أو إلى بلادٍ لا يستطيع أن يصل إليها إنس. ففي حكاية الوزير نور الدين مع أخيه شــمس الدين:"قالت الجنية: يا أخي دعنا ندخل تحت ابن الوزير ونحمله ونروح به إلى الصبية، فحملــه وطار به إلى الجو ونزل به في مدينة البصرة، فاستيقظ حسن بدر الدين فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة" [2].

والمسافات التي تقطعها الجنية تقاس عادة بمسيرة شهر أو سنة وهي تدل على ســرعة الجن الفائقة[3]. في حكاية "حاسب كريم الدين": " قامت السيدة شمسة وأمرت جانشاه أن يركــب على ظهرها ولم تزل طائرة من الصبح إلى وقت الظهيرة، فقالت له: أتدري ما المســافة التــي سرناها؟ قال لها:لا قالت: مسافة ثلاثين شهراً"[4].

حكاية حسن البصري: "تعجب حسن وقال لهم كيف جئت أنا إلى هنا فقالوا: لأن الشــيخ عبد القدوس الذي أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك في الثلاثة أيــام ثــلاث ســنين للفارس المجد في السير"[5].

وفي حكاية "الحمال مع البنات" تظهر سرعة الجنية الفائقة إذ "قالت الصبية للخليفــة: إن العفريتة أعطتني شيئاً من شَعرها، وقالت إن أردتِ حضوري فاحرقي من هذا الشعر فأحضــرُ إليكِ عاجلاً ولو كُنتُ في جبل قاف... وأحرَق منه شيئاً فلما فاحت رائحته اهتز القصر وَسَمِعوا دويا وصلصلة، وإذا بالجنية حضرت"[6].

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،1/ 32.

[2] المصدر نفسه،1/ ص95.

[3] القلماوي: **ألف ليلة وليلة**، ص146.

[4] **ألف ليلة وليلة**،3/ص76.

[5] المصدر نفسه، 4/ص66.

[6] المصدر نفسه،1/ ص81.

إن فكرة عداء الجنيات للبشر تعود بتاريخها إلى فكرة عداء "ليليث" للحياة مـــن خـــلال الدور الذي تقوم به أختها الشيطانة نعامة في خنق الأطفال حديثي الـــولادة، والإضـــرار بهـــم، وإصابة البشر بالجنون "إذ تعد تعامة المصدر الأساسي لنشر الشياطين، فقد نسب إليها ما لا يعد ولا يحصى من الشياطين والجن"[1].

وهذه عشتار الحاكمة ذات الوجه الأسود تظهر في هذه، الترتيلة البابلية، التي تقول[2]:

أي عشتار، يا مليكة كل الشعوب، وحاكمة البشر

أنت سبب العويل والنواح، تزرعين العداوة، وتفرقين بين الإخوة

لذكر اسمك تهتز السماوات والأرض.

ترتجف الآلهة، وتترنح أرواح البشر.

ويبدو أن هذه هي نفسها "ليليث" السومرية التي لم يبق من صورتها فـــي الأذهـــان إلا صورة الجنية أو الغولة، أو الساحرة العجوز[3].

---

[1] عبد الحكيم: **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية**، ص 136.

[2] السواح: **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ص 214،213

[3] المصدر نفسه، ص 97.

المبحث الثالث

الحية في "ألف ليلة وليلة"

المطلب الأول: الحية

كان للحية مع المرأة حضور في "ألف ليلة وليلة"، فالأسطورة عندما تتدهور وتفقد سيطرتها وتأثيرها، تتشظّى إلى خرافات مبعثرة في الفلكلور والحكايات الشعبية، إلا أن رموزها مع ذلك، تبقى حَية متوهجة على الرغم من الرماد المتراكم فوقها[1].

وفي حكاية "الحمّال مع البنات" تنقلب الحية إلى صبية وهذا تماماٍ تام مع الأسطورة القديمة، التي جعلت من الأفعى والمرأة داخل ارتباط وثيق، ولعل القمر هو الواصل بينهما فالمرأة ذاتها القمر الأم الكبرى، والقمر يمثل الأفعى كذلك. يرد في "حكاية الحمال مع البنات":" الصبية حية عظيمة وهمهمت على هذا اللعين وهو في صفة عقرب، فتقاتلا قتالا شديدا، ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا"[2]. وفي حضارة وادي النيل آمن المصريين بفكرة تجسُّد الجن في أجسام الحيوانات، التي تتلبس فيها الشياطين والأرواح الشريرة[3].

بدت الحية في الفكر القديم مُحاطة بكل رموز الخصب، واعتبرت تجلياً لقواه،[4] " وما زال رمز الحية التي تحمل الهلال على رأسها قائماً لدى بعض القبائل للدلالة على الحياة الأبدية"[5]. من هنا كان الربط بين الحية والمرأة، وتعتقد شعوب كثيرة أن القمر يقترن بالنساء في هيئة رجل ثعبان تُسميه الإله الأفعوان، وكانت تطلق على أبنائه أبناء الله [6]،"وفي الديانة الديونيسية أو الأرفية كانت الأفعى تعبد باعتبارها الإله ديونيسيوس نفسه "[7].

---

[1] ينظر: السواح، **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص 154.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ ص 64.

[3] ينظر: الجوهري: **علم الفلكلور" دراسة في المعتقدات الشعبية**"،ص372.

[4] الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص87.

[5] السواح: **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، 136.

[6] الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص87.

[7] يحيى، أحمد إسماعيل: **الحية في التراث العربي**،ط1،صيدا، لبنان: المكتبة العصرية، 1997م. ص177.

والحيّة الملكة في "ألف ليلة وليلة" مُعظمة جداً، فهي لا تدخل إلا محمولة على طبق من ذهب، فإذا دخلت، زعقت حيَّة مُوكلة بحراستها، تخرُّ على أثرها جميع الجالسات على الكراسي، ساجدات، وهُن يدعون لها ولا يجلسنَ إلا بعد أن تُشير لهن بذلك يرد في الحكاية: "أقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل، وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب، وفي وسط ذلك الطبق حية تضئ مثل البلور ووجهها وجه إنسان وهي تتكلم بلسان فصيح فلما قربت من حاسب كريم الدين سلمت عليه فرد عليها السلام"[1].

فالملكة الحيّة وهي تقصُّ على مسامع بلوقيا الذي شاعت ظُروفه أن يدخل إلى هذه الملكة وأن تستضيفه الملكة، تُخبره بأنَّ نهايتها ستكون على يديه؛ لأن أحد وُزراء الملك مريض لا شفاء له، سَيحضر للملكة دواء ذلك الملك المريض، لأن شفاءه لا يكون إلا إذا أكل من لحم ملكة الحيات، ونصحت الملكة بلوقيا بعد ذبحها وطبخها سيأمر الملك المريض، بلوقيا، بناء على نصيحة وزيره، بأن يشرب أولا من رغوة اللحم المطبوخ، حتى لا يموتان الوزير سيشرب الجرعة الثانية من رغوة اللحم، فيصبح عالما بكل شئ. إن الملك المريض سيأكل اللحم المطبوخ فيشفى من مرضه. وعلى بلوقيا كما نصحته ملكة الحيات ألا يشرب الجرعة الأولى من رغوة اللحم حسبما يراه ذلك الوزير لأن الوزير ملعون ماكر.[2]

وهذه الحية أو ملكة الحيات كانت الشفاء الوحيد للملك في حكاية حاسب كريم الدين. وقد اضطر حاسب إلى أن يقتلها بعد معروفها الذي غمره ليقدّمها دواءً للملك.

وتتجلى الأفعى في الليالي ثلاث خصائص للأم الكبرى إلهة للحياة والشفاء، وإلهة للموت، وإلهة للحكمة.[3] والحية تتبوأ مكانها من السحر في الليالي فتصبح مادة من مواد المعالجة المعالجة السحرية.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ص31.

[2] الأب الصالحاني: **ألف ليلة وليلة**، ج2، المطبعة الكاثولوكية، بيروت 1889م، ص79،78.

[3] ينظر: السواح، فراس: **لغز عشتار**،ص 156.

ومن رموز الحية لديهم الشفاء والوقاية من الأمراض، فمن خرافاتهم اتخاذ الرجل دواء هندياً يعرف باسم "واكون" ومعه بقايا حية، ومن ثم لفه بالجلد مع بعض المواد المواد الأخرى، ووضعه في كيس مزين بخرز وتعليقه في عنقه لحمايته من الأمراض. [1]

ورأى العربي القديم في الحية دواء للعلاج، فهي مصدر الشفاء والصحة، فكما أنها سبب الموت فهي سبب الحياة، وكأنها مانحة الحياة والصحة.[2]

إن أفعى عشتار الشافية، ما زالت قائمة بيننا اليوم، وزمز الكاديكيوس السومري، شارة الطب والشفاء، ما زال الآن رمزا للطب في جميع أنحاء العالم. [3]ففي سومر يظهر رمز الأفعوانان المتقابلان الملتفان على عصى كرمز لإله الشفاء ننجزيدا(وهو احد أشكال الإله تموز)، وذلك منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. [4]

ونجد في الميثولوجيا الإغريقية، أفعى أعطت إله الطب بعد موتها دمها الذي يشفي ويميت، وهي المرأة الأفعى (ميدوزا)، التي قتلها البطل نصف الإله بيرسيوس في جملة أعماله البطولية الخارقة. وقد أعطى دمها لأسكليبيوس الذي جمع دماء أوردتها اليمنى في إناء ودماء أوردتها اليسرى في إناء آخر.فكان بدم الجهة اليمنى يشفي وبدم الجهة اليسرى يعطي السم القاتل.[5]

وقد انتشر هذا الرمز في الهند وما زال قائما إلى اليوم في التقاليد الفلكلورية لوسط جنوب الهند وبشكله السومري القديم. إذ يعتقد الهنود بقدرة هذا الرمز على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات.[6]

---

[1] ليان، جورج: **الحيات في العالم(بحث تاريخي، فني، علمي)**، حلب: مطبعة الضاد، ص27.

[2] عياش، عبد القادر: **الحية في حياتنا وتراثنا**، سوريا، 1986م، ص67.

[3] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص156

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص153

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص154.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص153.

وتظهر عشتار البابلية سيّدةَ للشفاء في التراتيل والصلوات التي تركتها لنا ثقافة بلاد الرافدين.وإيزيس المصرية تقدم لنا مثالاً للأم الكبرى الشافية، فإيزيس فهي اكتشفت الأدوية الشافية الأولى، وكانت حاذقة في فنون الطب، تمد يد العون لكل جسد عليل يطلب رحمتها.[1]

وتبقى الصلة قويّة بين الحية وبين المرأة في مجال الخصب، فإذا ما رأت امرأة (موالادي) في منامها، فإنها تعتقد أنها ستحمل.[2] وفي حكاية "سيف الملوك وبديعة الجمال" طبخاً مُعيناً لتلدا لهما ما اشتهيا من ولد.تقول الحكاية: وجدا ثعابين يخرجان، رأس أحدهما كرأس القرود فإذا رأيتهما فارمياهما بالنشاب واقتلاهما، ثم ارميا من جهة رؤوسها قد شبر واحد من جهة أذيالهما كذلك فتبقى لحومهما، فاطبخاهما وأتقنا طبخهما وأطعماهما زوجتيكما فإنهما يحملان بإذن الله تعالى بأولاد ذكور"[3].

هذا ملمح أسطوري مباشر إذ إنَّ الحية ارتبطت بالخصوبة في كثير من أساطير الشعوب، وهناك بعض القبائل الإفريقية إلى اليوم تضع الأفعى تحت سرير الزوجية لضمان خصوبة المرأة[4].

من هنا اكتسبت الحية مكانة لدى السومريين؛ إذ توضح الصورة مدى العلاقة بين الحيّة والإخصاب الإنساني والنباتي، وهذا يعكس المعتقد السومري الذي اتخذ الحية شاهداً مباركا لعملية التزاوج بين الإلهين، خاصة إذا تذكرنا أصل الكون العائد إلى الأفعى الأم "الأوربوس" في ذلك المعتقد[5].

وتبدو الحية مُحاطة برموز الخصب وبِخاصة سنابل القمح،؛ ممّا يدل على أنها كانت موضوع عبادة وتقديس بِوصفها تَجلِياً لقوى الخصوبة [6].

---

[1] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، 152.

[2] ليان: **الحيات في العالم**، 32.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ص 375.

[4] أبو يحيى:**الحية في التراث العربي**، ص 185.

[5] عبد الله: **الحية في الشعر الجاهلي**، ص4.

[6] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص139.

فحواء هي نموذج إنساني مصغر لعشتار سيدة الحياة، واسمها نفسه يعني الحياة أو سيدة الحياة؛ لأن كل الحيوات المقبلة إلى نهاية الكون مودعة في صلبها. والشجرة هي أيضا عشتار مركز الفردوس النباتي، والحية هي روح الطبيعة التي تطلب من المرأة أن تبقى لصيقة بها.[1]

ونستنتج من الدلالات السياسية لهذا الجزء من حكايات "حاسب كريم الدين" ورحلته العجيبة إلى مملكة الحيات؛ أن الحية رمز من رموز اليهودية، والحية هي التي أخرجت آدم من جنة عدن، كما في الرواية التوراتية... وبالتالي فإن آدم أو الملك، كما أخرجته الحية من الجنة أو من المملكة السعيدة، فهي ما زالت القادرة على إعادته إلى الجنة أو إلى المملكة من خلال شفائه من المرض[2].

والحية هي الملكة، ومن حولها اثنا عشر وزيرا... يسجدون لها عندما تدخل إلى المجلس الملوكي.وهما نلمس أصعب الرموز الكبالية اليهودية في هذه الجفرة السرية، فالحية هي الملكة (الأنثى / شخينياه/ حواء/ ليليت) ومن حولها اثنا عشر وزيرا، وهم عندنا رمز لعدد الأمم آنذاك من عرب /فرس /ترك/ سودان/ اليونان/ الصقالبة. كما أن الرقم (12) له دلالته الدينية المقدسة لإشارته إلى عدد الأسباط من بني يعقوب، ولأن الجفرة الكبالية تمتاز بخاصية قلب الدلالة كان العدد ثابتا في رقمنته، لكنه مقلوب في دلالته بما يخدم (المركز المقدس الملكة والمملكة اليهودية)[3].

ما يشاع عن (الفطير المقدس) الذي لا يأكله اليهودي إلا بعد غمسه وعجنه بدم شخص غير يهودي... لكن بموجب الحسابات الكبالية، تم قلب الدلالة، (اللحم بدلا من الدم)، لإبعاد الشبهة دون نفي أصل القضية.[4]

---

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 149.

[2] البدري، جمال: **اليهود و ألف ليلة وليلة، (دراسة تحليلية نقدية مقارنة من الأعماق إلى الأفاق)**، ط 1، سوريا: دمشق صفحات للدراسات والنشر، 2007م، ص74.

[3] ينظر: البدري: **اليهود وألف ليلة وليلة، (دراسة تحليلية نقدية مقارنة من الأعماق)**، ص74.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص75.

موضوع ذبح الحية وطبخها، يعني سلبا للملوكية من اليهود، إلى غيرهم... فالأجدر بيهودي آخر أن يحتفظ بهذا الإرث الملوكي، والوريث أمام الملكة _ الحيّة_ بلوقيا وهو اسم لشخصية يهودية قديمة، أفضل من أن تنتقل إلى الوزير الملعون الماكر الذي يريد أن يصبح عالما بكل شئ والوزير غير يهودي. ودلالة أخرى يمكننا إضافتها مرتبطة بسابقتها وهي أن اليهود في إدارة الممالك لهم الكلمة العليا، ولغير اليهود المناصب الأقل... وهو مطبق فعلا حتى اليوم في الحركة الماسونية العالمية[1].

وَيتضح مما سبق حضور الحية بشكلٍ جلي في "ألف ليلة وليلة"، فهي تتجلى في ثلاث خصائص للأم الكبرى إلهة الحياة والشفاء وإلهة الموت والحكمة،فغدت رمزاً من رموزِ اليهودية في العهد القديم.

المطلب الثاني: نبتة الخلود والحيّة

واكتسبت عشتار سيدة الشفاء من تجوالها الطويل في البرية بحثاً عن الجذور والأعشاب الصالحة للأكل معرفة بفضائل الأعشاب وأنواعها وطرق الإفادة منها، واكتشاف الخواص الشافية لبعض الأعشاب، والخواص السامة المميتة لبعضها الآخر. فاستجلبتها وصنعت منها الأكاسير، مضيفة بذلك نشاطا جديدا إلى نشاطاتها التحويلية الخلاقة، ومتحكمة بسر آخر من أسرار الطبيعية، به تشفي وتميت. سر أودعته عشتار الخضراء في نباتاتها ولم تكشف عنه إلا لوكيلاتها على الأرض، فعشتار سيدة النبات هي من وضعت فيه سرا آخر من أسرار الحفاظ على الحياة.[2]

وهكذا بقيت الإلهة عشتار الخضراء سيّدة الطبيعة النباتية، دعاها البابليون بعشتار الخضراء، ودعاها المصريون بإيزيس الخضراء، وسيدة الخبز، وسيدة الجعة، وأم القمح. وفي

---

[1] البدري: **اليهود وألف ليلة وليلة، (دراسة تحليلية نقدية مقارنة من الأعماق)**، ص75.

[2] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص151_152.

الأعمال الفنية الجميلة يمثل نحت بارز عشتار عارية الصدر، ترفع يديها الاثنتين حزمتين مـــن النبات وعن يمينها وشمالها يشب زوجان من الماعز الرمز القديم للأم الكبرى.[1]

في "ألف ليلة وليلة" تُكَلِّمُ ملكةُ الحياتِ حاسب كريم الدين وتحكي له قصتها التـــي تبـــدأ بذكر بلوقيا الذي خرج من بلاده سعياً وراء ملاقاة نبي الإسلام عند مبعثه، ويتوجه حاسب إلـــى بيت المقدس حيث يصادف أحد الحكماء ويّدعى عفان، وهو عليم بأسرار الملك سليمان، ويبحث عن أعشاب الخلود كي يبقى حياً عند مبعث نبي الإسلام.[2]

ويتلاقى هذا مع ملحمة جلجامس السومرية؛ فقد عانى جلجامش في بَحثِه عن الخلـــود، وكذلك بلوقيا تعب هو الآخر في بحثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم أن كلاهما يبحـــث عن عشبة فيها سر الخلود، جلجامش دافِعُه للبحث عن الخلود ما تشكل في نفسه من وعي بعـــد موت أنكيدو وما رآه من ضعف الإنسان، كل ذلك ولدَ لديه إحساساً قوياً بأن يطلب الخلود لِنفسهِ لِيبقى مَلِكاً خالداً.

وجلجامش وُهِبَ كثيراً من الخصائص والمزايا التي تُعليه فوق أقرانِهِ، ولكنهُ لم يوهـــب نعمة الخلود، فجلجامش يتوقُ إلى الخلود الشخصيّ ويبحث عنه خلال حياته، وعلى الأغلب فإن التوق إلى الخلود هنا قد رافق هلع جلجامش من اقتراب ساعة المنية[3].

يرد في حكاية "حاسب كريم الدين": "وإذا ظفرنا بملكة الحيات نحطها في قفص ونروح إلى الأعشاب التي في الجبال وكل عشب جزنا عليه وهي معنا ينطق ويخبر بمنفعته بقـــدرة الله تعالى؛ لأن في الأعشاب عشبا كل من أخذه ودقه وأخذ ماءه ودهن به قدميه ومشى على أي بحر خلقه الله تعالى لم يبتل له قدم فإذا أخذنا ملكة الحيات تدلنا على ذلك العشب وإذا وجدناه نأخـــذه وندقه ونأخذ ماءه، ثم نطلقها إلى حال سبيلها وندهن بذلك الماء أقدامنا ونعـــدي الســـبعة أبحـــر ونصل إلى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من إصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصـــل

[1] السواح، **لغز عشتار** "الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص124.

[2] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 3/ ص32_ 37.

[3] ينظر: السواح: جلجامش" **ملحمة الرافدين الخالدة**، ص68.

إلى مقصودنا وبعد ذلك ندخل بحر الظلمات فنشرب من ماء الحياة فيمهلنا الله إلى آخر الزمان نجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم"[1].

ويذهب بلوقيا وعفان إلى ملكة الحيات كي تدلهما على تلك الأعشاب، ويأسرانها ويطوفان معها على الأعشاب المختلفة، حيث ينطق كل عشب بخواصه، فيأخذان أعشاب المشي فوق المياه، ويفوتهما أخذ أعشاب الخلود. إذ يرد في حكاية "كريم حاسب الدين": "عفان تقدم على القفص وقفله على ملكة الحيات، وقالا لها نريد أن تدلينا على العشب كل من أخذه ودقه واستخرج ماءه ودهن به قدميه ومشى على أي بحر خلقه الله لا تبتل قدماه ثم أن عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبال التي فيها الأعشاب ودارا بها على جميع لأعشاب فصار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته".[2]

وتؤكد أسطورة جلجامش في بحثه عن نبتت الخلود ما ورد في حكاية حاسب كريم الدين فبلوقيا يبحث عن نبتت الخلود.والعشبة في جلجامش هي نفسها العشبة التي يبحث عنا بلوقيا.ذلك أن حية جلجامش هي التي قطفت منه النبات، وحية بلوقيا أشارت عليه في البداية أن يأخذ العشب.

وحيث تنتهي رحلة جلجامش الحُلمية بعد سماعه من أوتنابشتيم قصة الطوفان، وكيف حصل على الخلود.فما أن نزلَ أوتنابشتيم عند رغبة زوجته ودل جلجامش على النبتة السحرية التي تعيش في الأعماق المائية، والتي تُجدد شباب من يأكل منها دونَ أن تَهبهُ الخلود، حتى هبط إليها فاقتلعها وحملها إلى السفينة التي جهزت لعودته إلى أوروك[3]:

" إنها لَنبتةٌ عجائبية يا أورشنابي

بها يستعيد الإنسان قواه السابقة

---

[1] **ألف ليلة وليلة**،36/3.

[2] المصدر نفسه، 3/ 37.

[3] ينظر: السواح: **جلجامش "ملحمة الرافدين الخالدة"**، ص263.

سأحملها معي إلى أوروك المنيعة وأعطيها للشيوخ يقتسمونها

وأسميها رجوع الشيخ إلى صباه

ولسوف آكل منها أيضا فأعودُ إلى شبابي"[1].

وفي خِطاب جلجامش هذا، إلى أورشنايبي، الذي يأتي في نهاية رحلته الحلمية، وكيفَ انتهى هاجس جلجامش المُسيطر،وَسعيه وراء مصيره الفردي الخاص. فهو إذ يحمل النبتة السحرية معه إلى أوراك، سَيجعلُ الشيوخ يقتسمونها فيما بينهم لتجديد شبابهم،وسيكون آخر من يأكل منها لا أولهم[2].

وكانت الحية أكبر منافس للإنسان في محاولة الحصول على الخلود، فقد حصلت عليه بفضل نبات سحري يعمل على تجديد الحياة، وَوفقاً لملحمة جلجامش، يوم ذهب بَطَلُها إلى (أوتونابشتم) لِيحصُل منه على الخُلود الذي كان من صفات الآلهة، أرشده إلى نبات يُدعى (يعود الشيخ إلى صِباه كالشباب)[3].

شَرع جلجامش في رحلة العودة ومعه أورشنابي، وتتميز رحلة العودة بواقعيتها وسرعتها وخلوها من التفاصيل. ذلك أن رحلة العودة إلى أوروك هي رحلة العودة إلى الواقع، وانتهاء للرحلة الحلمية[4].

وفي وصف الطريق من جزيرة أوتنابشتيم إلى الشاطئ الآخر:

بعد عشرين ساعة مضاعفة توقفا للطعام

بعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقف لقضاء الليل

---

[1] ينظر: السواح: **جلجامش "ملحمة الرافدين الخالدة"**، ص263.

[2] يُنظر: السواح: **جلجامش "ملحمة الرافدين الخالدة"،ص263.**

[3] ينظر: الأحمد، سامي سعيد: **ملحمة جلجامش،** دار الجليل، بيروت، ص532؛ وينظر: بخور الآلهة، ص 333، باقر، طه: **ملحمة جلجامش،** ط4، دار الحرية للطباعة، 1980م،ص168.

[4] يُنظر: السواح: **جلجامش "ملحمة الرافدين الخالدة"،ص264.**

فرأى جلجامش بركة ماء بارد

نزل فيها واستحم بمائها

فشممت أفعى رائحة النبتة

تسللت خارجة من الماء وخطفتها

وفيما هي عائدة،تجدد جلدها

وهنا جلس جلجامش وبكى[1].

ويرصد التاريخ أولية السومريين في مجال الطب، وذلك بوجود شجرة الحياة في معتقداتهم وأختامهم ورسوماتهم التي تدل على قدرة نباتات على إدامة حياة الإنسان، فقد وجد على ختم سومري هذه الشجرة التي تتدلى منها ثمرتان، ويجلس على يمينها ويسارها رجل وامرأة يمدان يديهما لقطف الثمرتين، وتظهر خلف المرأة حية منتصبة على صورة من يهمس في أذنها[2].

فنبتة الخلود تخلق من عالم خالد يمثله جسد الآلهة مانحة التكاثر والصحة والخلود، فالأعشاب تنبت من الإلهة الأم الأولى، التي يرمز لها بالأفعى التي يشكل سمها مركباً دوائياً، إضافة إلى جلدها الذي يدل على الصحة والتجدد والشباب[3]، ويشكل مصدر من مصادر الأدوية الحيوانية المستعملة لديهم.[4]

وترمز الحية التي سرقت نبتة الحياة والخلود إلى الإلهة (نمو) التي وضعت ذيلها في فمها، وبأخذ هذه الحية النبتة تكون قد وضعت الذيل في الفم، وبذلك أطبقت على الزمن الأزلي[5].

---

[1] السواح: جلجامش "**ملحمة الرافدين الخالدة**"،**ص264.**

[2] **بخور الآلهة**، ص147.

[3] المصدر نفسه، ص 144.

[4] المصدر نفسه،ص150.

[5] الماجدي: **إنجيل بابل**، ص255.

المطلب الثالث: الجنية والحية في "ألف ليلة وليلة"

ومما ورد في المعتقدات المسيحية أن الحية كانت الهيئة التي تنكر بها إبليس لإغواء حواء وآدم ليأكلا من الشجرة المحرمة.[1] ورأى النصارى أن الحية هي أقرب صورة حسية للشيطان إبليس، الأمر الذي جعل لها مقار عبادة، واعتبروها معبداً شيطانياً.[2] وفي هذا تشابه مع المعتقدات والأساطير العالمية التي رأت فيها إلهاً أو قوة إلهية. ومن مسميات الحية في الديانة المسيحية الشيطان. وجاء في الإصحاح الثاني عشر: (نطرح التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان)[3].

وهناك علاقة بين المرأة والحية، فأصل المرأة حية، فمن أساطير الكونغو حول الطوفان أنه أعاد المخلوقات إلى أصلها، فصارت الرجال قروداً، والنساء حيات، وهذا أصل كل منهما حسب معتقداتهم.[4]

أما عن فكرة توحد حواء بالحية التي تتوحد بدورها بالشيطان، فتتبدى بكثرة في أغلب أساطير الخلق السامية، وتذكر هذه الأساطير أن الحية إذ ذاك لم تكن على شكلها الآن، بمعنى أن مسخا قد حدث لها، عقب توحدها بالشيطان ابليس، حين وسوس لحواء من فم الحية ودفعها إلى الأكل من الشجرة الممنوعة أو المحرمة.[5]

وكان للحية حضور في أساطير اليمنيين، فبينما كان والد بلقيس الملك شرحبيل يقوم بمهمات الصيد يوماً، وجد حيتين سوداء وبيضاء تقتتلان، فقتل السوداء، وحمل البيضاء، وصب الماء عليها حتى أفاقت، فأطلقها، فظهر له شاب من الجن كان هو الحية البيضاء التي أنجاها

---

[1] القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، ط3، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة،1999م،ص49.

[2] المصدر نفسه، ص59،58.

[3] **العهد الجديد، رؤيا يوحنا اللاهوتي**، الإصحاح الثاني عشر: آية 9.

[4] ينظر: السواح: **لغز عشتار"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 136.

[5] عبد الحكيم: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص600.

الملك، فكافأها بتزويجه ابنته التي كانت بلقيس ابنتها.[1] ويدل ذلك على علاقة قوية بين الحية والجن من ناحية، والحية والمرأة من ناحية أخرى.

هذه الأسطورة تتلاقى مع ما ورد في حكاية "أبي محمد الكسلان مع الرشيد": "ولم أزل سائرا إلى أن أمسى علي المساء ولم أعلم أين أروح فبينما أنا مشغول الفكر إذا أقبل علي حَيَتان واحدة سمراء والأخرى بيضاء وهما يتقاتلان فأخذت حجراً من الأرض وضربت الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء فغابت ساعة وعادت معها عشر حيات بيض فجاؤوا إلى الحية التي ماتت وقطعوها قطعا حتى لم يبق إلا رأسها، ثم مضوا إلى حال سبيلهم "[2].

وصراع الحية البيضاء مع الحية السوداء لعل ذلك إشارة إلى صراع الخير والشر الدائم وانتصار الحية البيضاء يقود إلى انتصار الخصب والجمال على السواد والقحط.

وللحية علاقة بالجن الذي كان له حضور في مغامرات الإنسان وسفره الليليّ، الأمر الذي جعلهم يتجنبون قتل الحية؛ خوفاً من ثأر الجن لها[3]، وقد زعم العرب أنَّ الحية صنف من الجن، وفي ذلك قال أبو قاسم الشلبي: "الجن ثلاثة أصناف كما جاء في الحديث، صنف على صور الحيات، وصنف على صور كلاب سود، وصنف ريح جبارة"[4]. وارتبطت صورة الحية في الذهن الشعبي العربي ارتباطا وثيقا بالجن، فمن أشهر الصور التي ظهرت بها الجن في الثقافة الجاهلية صورة الحية[5].

ومن هذا المنطلق فلا غرابة إذا زخرت الليالي بذكر الحية ورد في حكاية "الحمال مع البنات": " فأخذتني الشفقة عليها فقعدت إلى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته

---

[1] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط4، مصر، مطبعة السعادة،1964م، ص 75.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص189،188.

[3] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة بغداد، 1976م، ص811.

[4] الشلبي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: **أكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**، تح: أيمن البحيري، ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1995م، ص24.

[5] الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي (دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية والاجتماعية)**، دار الجليل، ص270.

فنشرت الحية جناحين وصارت في الجو فتعجبت، ووجدت تحت رجلي جارية وقلت لهـا مـن أنت: فقالت إني الحية التي خلصتيني من الثعبان الجني وهو عدوي"[1].

هناك الحية التي كانت حارسة الكعبة، حيث حرست بئر الأخسف، وكانت قـد منعـت قريشا من تجديدها، فعملت على حراسة هذه البئر التي كان الناس يلقون فيها الهدايا، وهذا يدلل علاقة الحية بالجن؛ لأن مثل هذه الموكلة إليها غريبة على مستوى الحيوان، وبذلك تكون الصلة مع الجن الذي يتمثل في هذه الحية[2].

"والتفت إلى البحيرة فرأى فيها حياة صغار لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وبعـد سـاعة أقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل"[3].

ومن المعتقدات التي سارت في الصحراء العربية أن الحيات كانت مصدر مسـاعدة أو تهديداً على طبيعة الأرواح التي كانت تحملها، ونوايا الناس التي تواجههم[4]. والحية تكافئ مـن يعمل خيراً معها، فلا تنسى ذلك، ويتجلى ذلك في حكاية "الحمال مع البنات" عندما تقوم الصبية بمساعدة الحية التي هي في الأصل جنية يرد في الحكاية " فأخذتني الشفقة عليها فقعـدت إلـى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وصارت في الجو، فوجدت تحت رجلي جارية فقالت لها من أنتِ فقالت ما أسرع ما نسيتيني أنتِ التي فعلت معي الجميـل وقتلتِ عدوي، فإني الحية التي خلصتيني من الثعبان جني وهو عدوي وما نجاني منه إلا أنت. وذهبت إلى المركب التي رماكِ منها أختاكِ وسحرتهما كلبتين من الكلاب السود".[5]

نتبين مما سبق ارتباط صورة الحية بالجن في "ألف ليلة وليلة"، فقد اعتقـد القـدماء أن الحية بنت الجن وهي الإلهة ليليث شيطانة القفار الموحشة.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص 76.

[2] عبد الله: **الحية في الشعر الجاهلي**، ص114.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 3/ص31.

[4] القيسي، نوري: **الأساطير وعلم الأجناس**، بغداد: جامعة بغداد، 1981م، ص149.

[5] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص76.

المبحث الرابع

المرأة المحاربة في "ألف ليلة وليلة"

منذ الأزل وفي مهد الأساطير العالميّة القديمة ارتبطت المرأة بالحرب ارتباطًا وثيقًا، وخير دليل على ذلك عشتار التي ظهرت بوجهها الأسود، فهي ربّة الحرب والقتل والهلاك، ومن ألقابها: "نجمة العويل، وسيدة المعارك وسيدة النواح، وسيدة الليل والماكرة والمنتصرة، مثلتها الأعمال الفنية البابلية في عدة الحرب الكاملة، تقف على أسدين، تحمل أسلحتها: القوس والكنانة والسيف، وتظهر فوق رأسها النجمة الثمانية، كما يظهر بالقرب منها مشهد لوعلين متشابكين"[1].

فصورة عشتار هذه جاءت من محض الديانات الأمومية القديمة، وقد تعددت مسمياتها في مختلف الأقطار، فهي عشتار في بابل، وأثينا في اليونان، وسخمت في مصر، كلها إناث محاربات أو آلهات الحرب في بعض صورهن، وعند الكنعانيين بدت صورة من صور هذه الربة المحاربة وهي الإلهة عناة التي تصور وهي تخوض في الدماء.[2]

ومن هذا المنطلق فلا غرابة إذا زخرت الليالي بحديث شيّق عن المرأة المحاربة، وهذا الأمر يظهر جليًّا في حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان، والتي يرد فيها: "فسمع شركان كلام امرأة تتكلم بالعربية وهي تقول: وحق المسيح أن هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها... قالت الصبية النصرانية لشركان: اعلم أنني بنت ملك الروم حردوب واسمي ابريزة والعجوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي أم أبي وهي التي أعلمت أبي بك ولا بد أنها تدبر حيلة في هلاكي خصوصا وقد قتلت بطارقة أبي، وشاع أني تحزبت مع المسلمين"[3].

---

[1] ينظر: الديك: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ص14.

[2] ينظر: البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورهـا**، ط3، بيروت: دار الأندلس للنشر والتوزيع. 1983م، ص 82.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص231.

فإبريزه الأميرة الرومانية التي التقاها شركان في أرض الروم وهو يحـــاربهم، مثلــت شخصية المرأة التي تقود الحروب، وتفتك بالأهالي أو تلعب دور المنقذة معهم[1]، ولعلّها في هذا السياق امتدادًا لعشتار ربة الحرب، ومانحة الحياة والموت، حيــث ظهــرت فـــي الميثولوجيـــا السورية على إحدى المسلات[2] " مقاتلة عارية فوق فرس، وقد شدت عنانة على جسدها، وهناك مشهد آخر للإلهة وهي عارية إلا من قلادة في عنقها، وخواتم في أصابعها تمتطي جواداً، وتلوح بسلاح في يدها".[3]

تقول ترتيلة بابلية واصفة عشتار سيدة المعارك والدمار:

"أنت ربة سلاح، ولك الأمر الفصل في المعارك

أنت سبب العويل والنواح، تزرعين العداوة وتفرقين بين الإخوة،

لذكر اسمك تهتز السماوات والأرض

يرتجف الآلهة، وتترنح أرواح البشر"[4].

وفي نشيد ارتقاء عشتار يقول المنشدون:

" اجعلي الجيوش، يا سيدة المعارك لا تتجابه وتتصادم

يا إلهة جولات القتال، قودي المعركة،

وكأنها مجموعة دمى تحركها يدك

أي إنين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة

---

[1] الحجاجي، أحمد شمس الدين، ***قصة الملك النعمان بين السيرة والحكاية الشعبية***، **فصول مجلة النقد الأدبي**،ج1،ع4، مج 12، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م. ص241.

[22] الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص202

[3] ازداد: **الآلهة والأساطير**،تر: محمد وحيد خياطة، ط1، حلب:دار مكتبة سومر،1987م،224.

[4] السواح، فراس: **لغز عشتار"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ص214.

اجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النرد"[1].

ونلاحظ في المقطع آنف الذكر في الحكاية السابقة ربط ذات الدواهي بعشتار، ويتكـــرر ذلك أيضًا في القول الآتي: "أن اللعينة ذات الدواهي قالت: أتيت برأسه إليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد وأريد أن أشغلكم في الجهاد وأذهب إلى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية"[2]. كذلك في القول: "وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فإنها لمـــا لاقت عسكر بهرا مورستم عادت إلى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت في سيرها حتـــى "أشرفت على عسكر المسلمين والمحاصرين للقسطنطينية "[3].

وليس عجبًا أن تكون إبريزه التي تمثل الحرب عجوزًا شمطاء ذات دواهي، "فـــالحرب كانت في بدايتها فتية تتزين لتغري المقاتلين للإقدام عليها وخوض غمارها، ولكنها تغدو عجوزا شمطاء قذرة مكروهة أو حية رقطاء وتتلاقى مع الوجه الأسود لعشتار، هذا الوجـــه المـــتجهم الأسود المتعطش للدماء"[4].

وتأمر الملكة إبريزة الجواري بإطلاق سراح الأسرى يرد في الحكاية: "ثـــم أن الملكـــة إبريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسيراً الذين أسرتهن من قوم شركان، فامتثلت الجواري أمرها "[5].

ثم إن عجوز الليالي مخيفة جدا، فهي تعجّ بصفات القوة والفتك والدمار كما يظهر فـــي الأسطر التالية من حكاية "الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان": "ثم أن الملعونـــة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت به وألقته بين يدي شركان والملك ضوء المكان... فقالت: ولدي إني طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت أرمي روحي بين عسكر الكفار يهابونني فلما انفصـــلتم

---

[1] الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير**، ط1، بيروت:دار الساقي،1999م،ج 3، ص 290.

[2] **ألف ليلة وليلة**،1/ ص236.

[3] المصدر نفسه، 1/ص334.

[4] سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص 111.

[5] **ألف ليلة وليلة**،1/ ص237.

أخذتني الغيرة عليكم وهجمت على الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو مني وأتيت برأسه إليكم"[1].

تلك الصفات الواردة ذكرها فيما سبق تشير حقًا إلى مخزون أسطوريٍّ قديم، ففي أسطورة "بعل" الأوغرتية، تكشف إلهة الخصب "عناة" عن وجهها الأسود، وقوتها الأنثوية المدمرة، فتقول الأسطورة في وصفها:

"حاربت المدن

سحقت سكان السواحل

غلبت رجال الشرق

تحتها الرؤوس مثل الكوز

أكف المحاربين مثل تلال القمح

في احتدام القتال

الرؤوس حول خصرها

ركبتاها غطست بدم الحراس

النجيع جمد على ردائها"[2].

وفي أوغاريت الكنعانية، تكشف إلهة الخصب عناة عن وجهها الأسود في أحد نصوص أسطورة بعل وعناة:

"هي ذي عناة تقاتل بضراوة.

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص325.

[2] الخازن، نسيب وهيبة: **أوغاريت (أجيال، أديان، ملامح)**، ص 213،214.

إنها تذبح أبناء المدينتين،

إنها تصارع أبناء شاطئ البحر،

وتبيد أبناء مشرق الشمس.

تحتها الرؤوس تتطاير كالنسور،

وفوقها تتناثر الأذرع كالجراد.

إنها تخوض في دماء الأبطال حتى الركب.

إنها تغوض في دماء الناس حتى العنق.

كبدها يتفجر سرورا،

تغسل يديها في دماء الجنود،

وأصابعها في دماء البشر[1].

كما كانت وبيلون وهي إلهة الحرب عند الرومان ترافق الإله مارس في الحرب وتقـود عربته، وتضع خوذه على رأسها، وتحمل رمحا بيدها، حيث شيد لها الرومان معبدا، وبرزت في الفن مقدامة متسلحة بالرمح وعلى رأسها، حاملة الشعلة بيدها، وتحمل الترس[2].

أما مصير العجوز شواهي ذات الدواهي فينتهي إلى صلبها على باب بغداد بعدما كُشفت غاياتها، وأهدافها التآمرية." قال السلطان: وهذه العجوز سأسجنها سجن الطير في الأقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية "[3].

---

[1] **لغز عشتار" الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"**، ص 217،218.

[2] بادنجكي: **قاموس الخرافات والأساطير**، ص 81.

[3] **ألف ليلة وليلة**،1/ص346.

ولا يقتصر الأمر على الوجه الأسود للمرأة المحاربة في الليالي بل يتعداه إلـــى وجـــود وجه أبيض كانت فيه المحاربة جنيّة جميلة ملهمة على الدوام، إذ يرد في حكاية "الصائغ حســن البصري": "فبينما هو جالس وإذا بعشر طيور قد أقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصــر وتلك البحيرة فعرف حسن أنهم يقصدون تلك البحيرة ليشربوا من مائها، ثم أنهن جلسوا علـــى السرير وشق طير منهم جلده بمخالبه وخرج منه فإذا هو ثوب من الريش وقد خرج من الثياب عشر بنات أبكار يفضحن بحسنهن بهجة الأقمار"[1].

إنَّ هؤلاء المحاربات لا يقمن بأي حرب ولا يستعملن آلاتهن في الحكاية، هُــنَّ مُجــرد زينة لهذا الخيال العجيب الذي تصور القصر فوق جبل السحاب، وتصور الجزيرة النائية بكل ما فيها من جمال، فأضاف إلى غرابتها وجمالها شذوذاً يميزها وهو أن جندها من النساء. المــرأة تحمل آلات الحرب وتستطيع أن تقوم مقام الرجل في هذا الشأن هو الذي استعان به الخيال في تصوير من هن محاربات من غير الآدميات2.

والمرأة المحاربة في الليالي جميلة جداً دائماً، وقد يكون جمالها من أسلحتها في الحرب، إذ تكشف عن وجهها في آخر لحظة فإذا جمالها يُكســبها المعركــة الأخيــرة3. " أن الصــبية النصرانية لما تحدثت لشركان أخذت النخوة والحمية وغيره الأبطال وأراد أن يظهر لها نفســه ويبطش بها، ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها "4.

فالليالي ترسم لنا صورة للحرب" تتصدر فيه المشهد بكونها امرأة جميلة، تغري النـــاس بخوضها، وكأنّها عشتار التي تجذب الرجال إليها بأنوثتها وجمالها، ولكن خلف هــذا الجمـــال والجلال يخفق لواء الموت"5. فهذه إبريزة بنت ملك الروم حردوب التي أفاضت شهرزاد فـــي وصف جمالها وفقاً لمعايير الجمال السائدة في حكايات الليالي، فلم تكن تلك الحسناء التي تـــذهل

---

[1] **ألف ليلة وليلة**، 3/ 423

[2] القلماوي: **ألف ليلة وليلة**، ص 315.

[3] المصدر نفسه، ص 315.

[4] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص223.

[5] ينظر: سلمان: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، ص111

الفرسان عن أنفسهم فحسب، بل كانت فارساً إفرنجياً مقدماً على غيره من فرسان الإفــرنج لـــه شجاعة وطعنات نافذات، غير أن كل من وقع في يده من فرسان المســلمين يتغافــل عنـــه ولا يقتله[1].

وهي حين برزت للقتال، بدت فارساً قماشه من ذهب، وهو راكب على جواد أشهب، لا نبات بعارضيه، ثم كر الإفرنجي على المسلم وطعنه بعقب الرمح فنكسه عــن جــواده وأخــذه أسيرا، وظل على هذا الحال حتى أسر من فرسان المسلمين عددا كبيرا[2].

وأيضا تظهر فروسيتها في الحكاية " فسار جواده حتى وقف في وسط الميدان وصادمه بالضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى وقف في وسط الميدان وصادمه بالضرب فلم يكــن غير ساعة حتى طعنه الإفرنجي بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا"[3].

---

[1] ينظر: مرسي، أحمد: **ألف ليلة وليلة ومشكلة الهوية(دراسة تمهيدية)**، فصول مجلة النقد الأدبي، القاهرة، ص 231

[2] ينظر: المصدر السابق، ص 231.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 1/ ص236.

المبحث الخامس

المرأة الكاهنة في ألف ليلة وليلة

لجأ الإنسان إلى التعاويذ والطقوس السحرية بغية السيطرة على القوى الخفيّة التي تحيط به، والتي تشاركه حياته، وتتحكم بمصيره، وبمظاهر الطبيعة من حوله، وحينما استنتج أن لا قوة له ولا حيلة عليها، اعتقد أن الأمر بيد شخصيات روحانية فائقة القدرة، فتحوّل إلى عبادتها واسترضائها واستعطافها، ووضعها في مكانة عليا تليق بقدرتها وقوتها وسموها[1].

ولأن الآلهة أوجدت فارقًا شاسعًا بين السماء والأرض في فكر الشعوب السامية القديمة، الأمر الذي جعل رغبات الناس حاضرة لتقليص هذه الفجوة وكسر الهوة، فكان لهم مرادهم بالتكهن عبر البحث عن وسطاء بين البشر والآلهة يزيلون العوائق بينهم، فترسخ اعتقادهم بقوة الجن والعفاريت في تحقيق أهدافهم التي تتمثل في تطويع الآلهة[2].

ومن هذا المنطلق فرض الكهنة حضورهم على المجتمعات البشرية حتى لا يكاد يخلو شعبٌ منهم[3]، فكانوا صلة الوصل بين البشر وآلهتهم، وكانوا الشفعاء والوسطاء الذين يملكون زمام الأمور، ويسيطرون على ما في الكون، لأنهم وحسب اعتقاد الناس وجدوا أصلا "لمعرفة إرادة الآلهة وتفسيرها"[4]، ولهذا أطلق على الاتصال بالآلهة والأرواح " الكهانة وعلى الذي يقوم به الكاهن[5].

ولم يقتصر اعتقاد الناس في الكاهن على أنه الوسيط بين الآلهة والناس فحسب، وإنما رأوا فيه " فم الإله الناطق"[6]، بل الإله نفسه في بعض الأحيان، فالهنود يعتقدون أن الكون

---

[1] ينظر: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص185.

[2] المصدر نفسه.

[3] ينظر: فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، تر: حسن عودة ورندة بعث،بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007م، ص 84؛ نقلاً عن: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**،ص185.

[4] كونتنتو، جورج: **الحياة اليومية في بابل وآشور**، تر: سليم التكريتي وبرهان التكريتي، بغداد: دارر الحرية، 1979م، ص464. نقلاً عن: الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، مجمع القاسمي للغة العربية،2016م،ص185.

[5] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت:دار العلم للملايين 1970م، 6/ص 755.

[6] ميخائيل، نجيب: **مصر والشرق القديم**، تر: فؤاد حسنين علي، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 4/ 269؛ نقلاً عن: الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**،ص185.

خاضع للآلهة، والآلهة خاضعة للتعاويذ، والتعويذ خاضعة للبراهمة؛ لذا اعتقـدوا أن البراهمـة ألهمتهم[1].

وقد أدت المرأة دور المعلم الأول في التاريخ القديم، واستطاعت بقدراتها الخفية اكتشاف وسائل حفظ الحياة، وتأمين البقاء، كالمأوى والغذاء والكساء، ويبدو أن السبب فـي ذلـك هـو اتحادها مع إيقاع الطبيعة في الخصوبة والولادة مما جعلها أكثر صلة بالقوى الخلاقة، والعـوالم السرية في الكون[2]، فهي "أكثر حسا بالخفي والماورائي من الرجل، وأكثر منه تـدينا، وايمانـا بالقوى الإلهية، وأكثر شفافية روحية، فبينما يتجه عقل الرجل إلى التعامل مع ظـواهر المـادة، تتجه نفس المرأة إلى تحسس العوالم الروحانية، وتلمس القوى الباطنية، ممـا جعلهـا الكاهنـة الأولى، والعرافة، وناطقة الوحي الأول"[3].

فكانت المرأة كاهنة الأم الكبرى، والقيّمة على طقوسها وشعائرها، وصلة الوصل بعالم البشر، أبانت لها أسرار الطبيعة وحكمها، وكشفت لها عن خبايا الـنفس الإنسـانية[4]، وتشـير البيانات الأركيولوجية إلى أن وظيفة الكهانة كانت وقفا على النساء على الرغم عدم إمكاننـا أن ننفي تماما وجود كهنة من الذكور، ويغلب الظن أن بعض الذكور كانوا يؤدون دورا مساعدا لا دورا رئيسيا في المؤسسة الدينية النيوليتية، وقد كان لمكانة المرأة الدينية أثر كبيـر فـي دعـم مكانتها ونفوذها في المجتمع، وتعزيز موقفها أمام الرجل الذي بقي خاضعا لها ما دامت ممسكة بمفاتيح الغيب"[5].

وحضرت المرأة الكاهنة في ألف ليلة وليلة بصورة جليّة، ففي حكايـة "الملـك عمـر النعمان وولديه شركان وضوء المكان"، يظهر الأسلوب الخداعي للكاهنة فـي الإيقـاع بملـك المسلمين وأخيه، عندما أرسلت كتابًا على أجنحة الطير إلى ملك القسطنطينية تخبره بمـا تـود

[1] فريزر، جيمس: **الغصن الذهبي**، تر:أحمد أبو زيد، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م، ص 222.
[2] الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 188.
[3] السواح، **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة"**، ص 240.
[4] الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص 189.
[5] السواح، **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة"**، ص 240.

القيام به، وتطلب منه أن يرسل لها عشرة آلاف فارس من شجعان الروم، يكون سيرهم في سفح الجبل خفية، حتى لا يراهم عسكر الإسلام، وفعلا كان لها ما أرادت[1].

والمتأمل في الحكاية السابقة يرى قيمة الكاهنة في الليالي، فكلام الكاهنة حجة في نظر مستمعيها، فهي تتمتع بصدق أقوالها بين فئات كثيرة من الناس، ويعود تفسير ذلك إلى ارتباط الكهانة بالجن التي هيمنت على عقليّة الجاهليين، واتصلت بمجرى حياتهم، فهي تستخدم في معرفة الأمور الغيبية، والتنبؤ واستطلاع الغيب[2].

وفي الحكاية السابقة كان خضوع ملك القسطنطينية إلى الكاهنة بدافع تحقيق منفعة له، فهي القادرة على تخليصه من المسلمين، لذا فقد تماشى مع أوامرها بدافع الرهبة منها والبحث عن منفعة له.

كما يظهر دور الكاهنة في الليالي في إطلاق شرارة الحرب بين الفريقين المتحاربين، ففي الحكاية سالفة الذكر يظهر ذلك؛ إذ تذكي الكاهنة نار الحرب بين المسلمين والروم، عندما قامت بإيقاع السلطان ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان في أيدي الروم، حينها "ركبت جوادًا ووثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة نقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسمومًا لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده، وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت إلى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا"[3]

ولعلّ صورة المرأة الكاهنة في الليالي قادمة من مخزون أسطوريٍّ، فقد بدت المرأة في الحضارات السامية من خلال "كهانته بؤرة مقدسة، محاطة بهالات التبجيل، وألوان التقدير التي تخلع على الآلهة، وامتلكت علم البدائيين الأول، فكانت العالمة، والعارفة، والرائية، والحكيمة، والمطلعة، والكاشفة عن حجب الغيب"[4].

---

[1] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 323/1.

[2] الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 231.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 344/1.

[4] الديك: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ص190

تقديم النبوءات وجعلها حقيقة للبشر ليس جديدا على وظيفة الكاهنة، بل هو قديم قدم الوجود، فهذه عشتار سيدة الحكمة الأنثوية الخالدة، يطلق عليها (آنتيا) أي سيدة الرؤى، وهو لقب عرفت به كل من سيبيل، وآرتميس الإلهة المرعبة السوداء وسيدة الظلام، وواهبة الحكمة للبشر. وكذلك هي (معات) أي سيدة الحقيقة عند المصريين، وهي سيدة النبوءة التي تتحدث بلسان عشتار البابلية فتقول: "بكل اكتمالي أتجلى فأعطي النبوءات للبشر"[1].

وعند الإغريق هي صوفيا ومنها جاءت كلمة فيلو_ صوفيا أي حب الحكمة التي أطلقت على الفلسفة بمعناها المعروف فيما بعد. يصور عمل فني من العصور الوسطى صوفيا جالسة وعلى رأسها تاج على هيئة ثلاث رؤوس أنثوية واحد يتجه نحو الأمان وآخر نحو اليسار وثالث نحو اليمين، رمز التثليث العشتاري القديم، وحولها الفنانون والأدباء والشعراء والفلاسفة يستمدون منها وحيهم. وفي عمل آخر نراها في هيئة سيدة جليلة القدر كاملة اللباس، تخرج ثدييها فترضع منها رجلين جاثيين حليب الحكمة. وفي عمل ثالث نراها على هيئة امرأة متوجة تمسك بيدها اليسرى صولجانا وباليمين كتابا مفتوحا[2].

تظهر العجوز الساحرة في حكاية "علاء الدين أبي الشامات" تحل الرموز وتكشف عن الغيب حيث "قالت حسن مريم لعلاء الدين: هذه الخرزة من كنزٍ مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا وأن جدتي كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز، وقبل أن تموت جدتي قال أبي لجدتي: اضربي لي تخت رمل وانظري عاقبة أمري وما يحصل لي. فقالت له:إن البعيد يموت قَتيلاً من أسير يجئ من الإسكندرية"[3].

وحسن مريم تتعلم كشف الغيب من جدتها حيث تقول: " ثم هت جدتي فطلعت أنا وضربتُ لي تخت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت: يا هل ترى من يَتزوج بي؟ فَظَهرَ لي أنه لا يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين"[4].

---

[1] ينظر: السواح: **لغز عشتار" الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**"، ص243.

[2] المصدر نفس، ص24.

[3] **ألف ليلة وليلة**، 2/ ص245.

[4] المصدر نفسه، 2/ص245.

وتتكرر العجوز التي تكشف عن الغيب في حكاية "علي شار مع زمرد الجارية" حيث " قال علي شار للعجوز: أنا أفتش على جارية ضاعت مني، فقالت العجوز: عليَّ بتخت الرمل والقلم النحاس فجاؤوا به فأخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت: صَدقت في كلامك الله يَجمعُكَ بِها قَريباً فلا تقلق"[1].

فهذه الكاهنة دلفي في الأساطير كانت تُصدر النبوءات وتَكشِفُ الغيب منذ القديم في مَعبد جِيا، وبقيت مُوكلة بالنبوءة في معبد أبوللو[2]. فالكهانة اليونانية_ الرومانية تثعرف الكهانة بأنها الكشف المزعوم عن الأشياء المجهولة(إدراك الغيب). فالمعرفة التي يحتمل أن تُقدمها الكهانة على ثلاثة أنواع: معرفة الماضي ومعرفة الحاضرومعرفة المستقبل[3].

ويلصق لقب الكاهنة بالعجائز في ألف ليلة وليلة، وربما يعزا السبب في ذلك إلى كون العجائز لديها من: الدهاء والنفاذ والحكمة الوقادة والبصيرة ما يمكنها من تحقيق غاياتها، إضافة إلى ذلك، فعجوز ألف ليلة وليلة تتميزبالقدرة على التكيف الخلقي4.

فهي زاهدة كالعجوز التي وردت في حكاية الحمال مع البنات يرد في الحكاية "وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله في الباطن... فأخذتني العجوز وعلمتني دين الإسلام من الطهارة والوضوء والصلاة وحفظتني القرآن "5.

وتحمل مسبحة لذكر الله وهي العجوز المحتالة التي ترتدي زي الأتقياء لتتقن حيلها وهي عجوز الحجاج في حكاية "نعم ونعمة" " أن العجوز لما أصبحت لبست أثوابها الصوف ووضعت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف، وسارت وهي تقول: سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم تزل تسبح وقلبها ملآن بالمكر والإحتيال"[6].

---

[1] ينظر: **ألف ليلة وليلة**،2/ص315.

[2] ينظر: السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة"**، ص139_140.

[3] ينظر: فهد: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ص51.

[4] ينظر: الملاح، عبد الغني: **رحلة في ألف ليلة وليلة**، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م،ص 49

[5] **ألف ليلة وليلة**، 1/ص74.

[6] ينظر: المصدر نفسه، 2/ ص 186.

وقد تكون مصدر شر كبير، فتكون المفرق بين الحبيبين، كما نجد في عجوز الحجاج في حكاية نعم ونعمة إذ تفرق بين الزوج وزوجه إرضاءً للحجاج. إذ تقول الحكاية: "وإذا بالحجـــاج يقول: لا بد أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم، ثم أنه استدعى بعجـــوز قهرمانـــة وقال لها: امضي إلى دار الربيع واجتمعي بالجارية نعم وتسببي في أخذها، فقبلت العجوز مـــا قاله ولبست أثوابها الصوف وحطت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف"[1].

والكاهنة ذات الدواهي في حكاية "الملك عمر النعمان وولديه شركان وضـــوء المكـــان" تحب أن تدخل مخدع الصبية بحجة الصلاة في مكان طاهر دائماً " فلما جن الليل دخلو على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي"[2].

أما عجائز "ألف ليلة وليلة" فَقد استخدمن السحر لشرور لا حدّ لهـــا فيهـــا مـــن الفـــتن والدسائس، وفيها من تغيير الهيئات البشرية إلى أخرى حيوانية[3].

وهي ساحرة وكاهنة من الكهان كالعجوز ذات الدواهي كما في حكايـــة "الملـــك عمـــر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" أن الملك أفرودون شكا إلى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان مُتقنة للسحر والبهتان عامرة مكارة فاجرة غدارة ولها فـــم أبخـــر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغمش وطرف أعمش..."[4].

وفي حكاية "الوزير نورالدين مع أخيه شمس الدين" حيث تعلم العجوز فنون السحر لابنة الملك حيث تقول لوالدها "يا أبتِ كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتني الســـحر، وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين باباً من أبوابه، أقل باب منها أنقل به حجارة مـــدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحر وأجعل أهلها سمكة في وسطه"[5].

---

[1] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 2/ص186.

[2] المصدر نفسه، 1/ص320.

[3] ينظر: **حميد: ألف ليلة وليلة "غيبوبة القص_ غيبوبة الإستماع"**، ص177.

[4] **ألف ليلة وليلة**،1/ص314.

[5] المصدر نفسه، 1/ص63.

وشواهي ذات الدواهي بطلة حكاية "عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان"، وهذه العجوز استعملت دهاءها ومكرها في الكيد السياسي، فقادت جيوشا وهزت ممالك وعصفت بالملوك في سبيل الانتقام السياسي. وكانت شواهي محور الكره بين النصارى أو الروم وبين الملك المسلم عمر النعمان في دمشق، وقتلت الملك عمر النعمان وابنه شريكان وانتقمت لصفية ولإبريزة ولأفروديت ولرئيس البطارقة[1].

وهي جنية طيبة كعجوز جزيرة الواق واق في حكاية حسن البصري، حيث تقول للحسن البصري: "إن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق، ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد في السير"[2].

فالعجوز تُساعد حسن البصري في العثور على زوجته الجنية حيث تقول لحسن: " فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل وأجئ بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك إلى بلادك، حتى تقضي حاجتك إن شاء الله، ولا بد أن أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك"[3].

"ثم أن العجوز لما رأت حسنا محترقاً على الإجتماع بزوجته وأولاده قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك"[4].

وتحمل العجوز الرسائل وتساعد الحبيب والحبيبة ليجتمعا، كما ورد في حكاية تاج الملوك ودنيا بنت الملك شهرمان، تقول الحكاية "قال تاج الملوك للعجوز: لعلّكِ توصلين إليها كِتاباً من عندي وتأتيني بالجواب فقالت: سمعاً وطاعة، فطوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال: أوصليه إلى السيدة دنيا ثم أعطاها ألف دينار"[5].

[1] **القلماوي: ألف ليلة وليلة**، ص313.

[2] **ألف ليلة وليلة**، 4/ص38.

[3] المصدر نفسه، 4/ص38_39.

[4] المصدر نفسه، 4/ص44.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 1/ص393،392.

وفي حكاية مزين بغداد يقول الخياط " فدخلت عليَّ عجوز فلما رأتني لم يَخـفَ عليهـا حالي، فحكيت لها حكايتي، وقالت: يا ولدي إن هذه بنت قاضي بغداد وأنا كثيـراً مـا أدخـل عندهم.....وقالت للفتاة: يا ابنتي إني أتيتك من عند فتى يهواكِ وهو مشرف على المـوت مـن أجلك، فقالت إمضي إليه وأقرئيه مني السلام وأخبريه أن عندي أضعاف ما عنده"[1].

وتظهر قيمة العجائز في الحكايات لأنها الأكثر تصديقًا للوقائع والأخبار، ورد على لسان العجوز ذات الدواهي "اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أني أشير عليك بأمر يعجز عـن تدبيره إبليس، وهو أن ترسل خمسين ألفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر إلى أن يصل الى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تـأتيكم أعـلام الإسلام فدونكم وإياهم، ثم تخرج إليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز،وقال: نعم الرأي يا سيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان في الفتن الثائرة"[2].

ويرتبط صدق نبوءات العجائز في الليالي بأسـطورة تيريسـياس الحكـيم الإغريقـي المشهور، الذي لم تخب له نبوءة قط، والذي تنبّأ لأوديب الملك بمصيره الفاجع في الأسـطورة والتراجيديا المعروفة. كان تيريسيا يتجول في الغابة عندما رأى حيتـين تتجمعـان فضـربهما بعصاه. عند ذلك تحول تيريسياس بتأثير سحر غامض إلى امرأة، وعاش في حالته الأنثوية سبع سنوات. وفي السنة الثامنة كان يتجول في الغابة عندما رأى نفس الحيتين تتجمعان فضـربهما مرّة ثانية لعل السحر يزول عنه، وكان كذلك، إذ عاد تيريسياس إلى حالته الذكرية، وكان بعـد مدّة، أن وقع جدال بين كبير الآلهة زيوس وزوجته هيرا، حول موضوع المتعة الجنسـية، وأي الجنسين أكثر استمتاعا بالجماع من الآخر. فاستدعى زيوس تيريسياس للفصل في هذه المسألة؛ لأنَّه أكثر الناس مقدرة على الحكم في ذلك[3].

---

[1] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، 1/ص138.

[2] المصدر نفسه، 1/ 307.

[3] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة"**، ص244.

ولكونه قد عاش الحياة الجنسية بشكليها الذكري والأنثوي، وحكم تيريسياس إلى جانب زيوس، وقرر أن المرأة أكثر استمتاعا من الرّجل بالعملية الجنسيّة. وهنا ثار غضب هيرا، وضربت تيريسياس بالعمى، ولكن زيوس تعويضا له عما فقد من بصر، وهبه الحكمة وقدرة على النبوءة ومعرفة الغيب. لقد كف بصر تيريسياس عن نور الشمس ولكنَّ بصيرته الداخلية فتحت على حكمة الظلام؛ إذ لا حكمة دون الانكفاء على عالم الأم القمرية المعتم، إلا أن زيوس الذي وهب تيريسياس الحكمة، لم يكن هو نفسه يملك الحكمة الأصلية. فحكمته كانت مكتسبة من أحد الأشكال العشتارية السابقة على تاريخ الإغريق المكتوب. وتحكي الأسطورة الإغريقية: أن إلهة الحكمة القديمة" ميتس"ابنة الزوجين المائيين "أوقيانوس" و"ثيتيس"، كانت أولى زوجات زيوس[1].

[1] السواح: **لغز عشتار "الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة"**، ص 244.

الخاتمة

لقد قَّدمت الباحثة في هذه الصفحات دراسة لصورة المرأة في "ألف ليلة وليلة" وفق المنهج الأسطوري. وبعد الولوج إلى حيثيات الأساطير المستوحاة من "ألف ليلة وليلة"؛ يمكن الوقوف على النتائج الآتية:

_ أسطورة شهرزاد وشهريار لها بُعد فكري في التاريخ، هذا التاريخ الذي يمتدُّ إلى الحضارات الهندية والفارسية والعربية التي شَكَّلت "ألف ليلة وليلة"؛ فالأسطورة نتاج معرفي جماعي يُجسّد وَضعاً معرفياً إنثروبولوجيا.

_ مَثلت شهرزاد في الليالي إلهة المعرفة والحكمة؛ فهي إيزيس التي نذرت نفسها للدفاع عن بنات جنسها من القتل.

_ حكايات "ألف ليلة وليلة" حَملت بُعداً أسطورياً من حيث بنائؤها الفنّي، وشخصيتها المُتداولة، وَفكرتها الأساسية التي حَضر فيه العنصر الخارق بصورة لافتة للّنظر.

_ رصد تجليات الأسطورة في "ألف ليلة وليلة"؛ فالمرأة في الليالي كانت صورة للإلهة الأم الكبرى (عشتار) وتجسيدا لها.

_ يتميّز الفضاء الأسطوري في "ألف ليلة وليلة" بتنوعه وجمعه بين الواقع والخيال؛ فقد سكنه كائنات غريبة.ونلمحُ فيه ثلاثة فضاءات متميزة ترسم لنا عوالم أسطورية.

___ الجسد منذ الأزل شكل جوهرة الحياة، ومنطلق الوجود البشري؛ فشهرزاد تُقدم جسدها لِملكها لتتمكن من البقاء على قيد الحياة.

_ يُعد طقس البغاء المقدّس من طقوس العبادة، لارتباطه بالإلهة الكبرى عشتار.

_ المرأة في "ألف ليلة وليلة" لها صِفات قد لا يكونُ لها مثيل إلا في الحور العين، أو في موروثات الأمم؛ إذ تصل إلى دَرجة جمال الآلهة، كعشتار ذات الوجه الأبيض. وتتلاقى مع الزهرة التي تَحملُ معاني: البياض والإشراق والحُسن.

_ لم تخل الليالي من حكايات تُفّصل في موضوع السحر؛ فشهرزاد درست أساليب ترويض الجن والشياطين، وبطريقة مشوقة نقلتها إلى شهريار الذي افتتن بحكاياتها.

_ اقترنت الحيَّة بالجنية في كثير من الحكايات في الليالي، وتوزَّعت رمزيتها بين الخير والشر؛ إذ هي تمثّل الشيطانة، والأرواح الشريرة، والقوى الخارقة.

_ الأسطورة القديمة تؤكد ارتباط المرأة والأفعى في الليالي، ولعلَّ القمر هو الواصل بينهما؛ فالمرأة ذاتها القمر الأم، والقمر يمثّل بِالأفعى.

_ تنتصر شهرزاد في "ألف ليلة وليلة"؛ لِتصبح أسطورة إنسانية حيَّة، ونموذجاً للمرأة الخالدة، واستطاعت أن تتبوأ الصدارة في الأدب العالمي بعد ترجمتها إلى مختلف اللّغات.

_ إنَّ سحر الأنوثة عند شهرزاد هو سحر السرد الأسطوري للحكايات؛ فهي ليست حكايات عادية هدفها التسلية.

_ تغنت شهرزاد بجمال جسد المرأة، وبجمال روحها من خلال وصف مفاتنها الجسدية، والفعل الجنسي في "ألف ليلة وليلة" هو جماعي يتشارك فيه أبناء الملوك والجواري والعبيد، وهذا الفعل مليء بطقوس الحبّ والعشق، والجنس المقدس، الذي ارتبط بالإلهة الكبرى عشتار؛ فهي ربة اللذة، وسيدة الدافع الجنسي، وكذلك الزهرة إلهة الجنس والإخصاب عند العرب.

_ إنَّ "ألف ليلة وليلة" تحتوي على كلّ ما لا يتصوره العقل، ولا يخطر على بال أحد، وفيها ما تتقبله الإنسانية، وما ترفضه الفطرة السليمة.

_ تزخر "ألف ليلة وليلة"؛ بعوالم كثيرة، فيها الجنيّات، والساحرات، وهي تركز على المرأة الساحرة، وهذا ليس بغريب؛ فالأساطير تحفل بالوجه الأسود لعشتار العجوز الساحرة.

_ "ألف ليلة وليلة" أسطورة حَّية وخالدة وظفت شهرزاد فيها كل الفنون والآداب لِتعبر عن روح كل عصر، ولتشع بنورها على كل الثقافات والآداب.

_ لقد ساهمت عدة عوامل في أسطرة شهرزاد؛ حيث إن البحث في أصلها وفي زمانها هو أسطورة بحد ذاتها؛ فلقد أصبحت شهرزاد صورة الشرق ورمز الأنوثة والربة الخالدة. فعالم أسطوري ملء بالخوارق والطقوس العجيبة.

_ اتخذت شهرزاد نموذجاً أسطورياً تتحدث عن نفسها وعن وضعية المرأة في زمانها.

_ شهرزاد انتصرت في الليلة بعد الألف فروضّت الملك وأدركت عوالمه، انتصرت على الموت؛ فهي لم تعد تخشاه، وقضت على الخوف الساكن في القلوب بدءاً بقلبها؛ فهي لم تعد تخشى هرقل المعادل الموضوعي لشهريار.

كانت هذه دراسة متواضعة، وتجربة أولى في موضوعها، وبالتأكيد ظلت عاجزة عن الإحاطة بجوانب المقصود.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادروالمراجع

القرآن الكريم

الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**، تح: عبد الله أنيس الطباع،بيروت: دار القلم، 1982م.

ابن سيرين: **تفسير الأحلام الكبير**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.

الأب الصالحاني: **ألف ليلة وليلة**، ج2، المطبعة الكاثولوكية، بيروت 1889م.

الأحمد، سامي: **ملحمة جلجامش**، بيروت: دار الجيل، 1984م.

ازداد: **قاموس الآلهة والأساطير**، تر: محمد وحيد خياطة، ط 1، حلب:دار مكتبة سومر، 198م.

إغباريّة، رضا أحمد: **المبين في أمثال فلسطين**، ط1، حيفا: مكتبة كل شيء، 2016م.

ألف ليلة وليلة، ط1، بيروت: دار الهدى الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.

الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1314هـ.

بادنجكي، طاهر: **قاموس الخرافات والأساطير**، ط1، لبنان: جروس برس، 1996م.

باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1955م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري" دراسة في أصولها وتطورها**"، ط3، بيروت: دار الأندلس للنشر والتوزيع. 1983م.

بكر، أحمد حسين، **المرأة دورها وخلقها الاجتماعي**، ط1، فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،

البطوطي، ماهر: **الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية" دراسة في الأدب المقارن"**، ط1، القاهرة: مكتبة اللآداب،2005م.

بوحديبة: عبد الوهاب: **الإسلام والجنس**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1987م.

تنفو، محمد، **المرأة المتجردة (عجائب مائة ليلة وليلة)**، ط1،القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2012م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2013م.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، بيروت: المكتبة الثقافية، (د ت).

الجاحظ، عمرو بن بحر: **الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون،ط3، بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، 1388هـ، 1969م.

الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1924م.

جمعة، بديع محمد، **فينوس وأدونيس**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981م.

جوزي، مصطفى، **من الأساطير العربية والخرافات**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1977م.

الجوهري، محمد: **علم الفلكلور، (دراسة المعتقدات الشعبية)**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م.

حتي، فيليب، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، 1982م.

حسونة، خليل: **الفلكلور الفلسطيني: "دلالات وملامح" المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القـومي**، ط1، 2003م.

الحسين، قصي: **أنثربولوجية الصورة في الشعر العربي المعاصر قبل الإسلام**، ط1، طـرابلس: الأهلية للنشر، 1993م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **مُعجم البلدان**، ج4، بيروت: دار صادر، د ت.

حميد، حسن، **ألف ليلة وليلة، غيبوبة القص غيبوبة الاستماع**، ط1، القاهرة: المجلس الأعلـى للثقافة، 2006م.

الحوت، محمود سليم، **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ط1، بيروت: مطبعـة دار الكتـب، 1955م.

الخليلي، علي: **الغول مَدخل للخرافة العربية**، ط1، القدس: منشورات الرواد، 1982م.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.

الديك، إحسان: **الأسطورة في فكر الجاهلي وأدبه**، ط1، فلسطين: مجمع القاسمي للغة العربيـة، 2016م.

صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، ط1، باقة الغربية: مجمع القاسمي للغـة العربية، 2013م.

ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محفوظ، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م.

الربيعي، فاضل: **أبطال بلا تاريخ " الميثولوجيا الإغريقية والأساطير العربية**"، ط1، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

الرشيدي، حلمي بن محمد إسماعيل: **إرواء الظمآن بأخبار الشيطان**، ط1، طنطا: دار البشـــير للثقافة والعلوم، 2012م.

ريد، إيان، **القصة القصيرة**، تر: منى مؤنس، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

زكي، أحمد كمال: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، ط2، القاهرة: مؤسسة كيلوبترا للطباعة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000م.

سعاف، كامل: **معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)**، دار الندى، 1999م.

سعد، فاروق، **من وحي ألف ليلة وليلة**، ط1، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، 1962م.

السعفي، وحيد، **القربان في الجاهية والإسلام**، تونس: تبر الزمان، 2003م.

السهلي، محمد توفيق، الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، د.ط، دار الجليـــل، 1980م.

السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى**، ط1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1997م.

جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، دراسة شاملة مع النصوص الكاملة، ط2، سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002م.

دين الإنسان، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1994م.

لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط6، دمشق: دار علاء الدين، 1996م.

مغامرة العقل الأولى، ط10، دمشق: مطابع العجلوني، 1993م.

سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ط1، عمان: دار الجيل ودار عمان للطباعة والنشر، 1987م.

سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن _ الأديان_ الحياة**، تر: عبد الهادي عباس، ط1، ســوريا: دار دمشق، 1992م.

شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، تر: حنا عبود، دمشق: دار علاء الدين، 1999م.

الشاهد، نبيل حمدي: **العجائبي في السرد العربي القديم، (مائة ليلة وليلة والحكايــات العجيبــة والأخبار الغريبة نموذجا)**، ط1، عمان: الوراق للنشر والتوزيع، 2011م.

شواف، قاسم: **ديوان الأساطير**، ط1، بيروت: دار الساقي، 1999م.

شحيلات، علي، والحمداني، عبد العزيز إلياس: **مختصر تاريخ العراق (تاريخ العراق القــديم)**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2012م.

شوقي عبد الحكيم، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990م.

ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، القاهرة: دار المعارف، 1963م.

طلال، حرب، **معجم الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمــة**، ط1، بيــروت: دار الكتــب العلمية، 1999م.

طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2009م.

عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ط1، دار العودة، 1982م.

عبد المعطي، إسماعيل محمد، **الأسطورة والرمز في الشعر العربي القديم**، ط1، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2006م.

عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها**، ط1، بيروت: دار الفارابي، 1994م.

العزاوي، أدهام حسن فرحان، **العبادات الفلكية عند العرب قبل الإسلام**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015م.

عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط1، دمشق: دار الكلمة للنشر، 1999م.

علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، جامعة بغداد، 1993م.

علي، فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، ط1، بغداد: دار الحرية" مطبعة الجمهورية، 1973م.

عياش، عبد القادر: **الحية في حياتنا**، سوريا، 1986م

عميرة، ماجدة: **شهرزاد بين الأسطورة والنقد**، ط1، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي، 2015م.

عيد، يوسف: **الديانة اليهودية**، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995م.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **معجم العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت" رأس شمرا**"، بيروت: دار النهار للنشر، 1980م،

فريزر: **أدونيس أو تموز**، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.

الغصن الذهبي، تر: أحمد أبو زيد، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م.

فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، تر: حسن عودة ورندة بعث، بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007م.

القرني، عائض، **عالم السحر**، ط3، مكتبة العبيكان، 2013م.

القمني، سيد: **النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة**، ط1، دار العالم العربي للطباعة، 1999م.

الأسطورة والتراث، ط2، مصر: سيما للنشر والتوزيع، 1993م.

كرشنا، رادا، و شارلز مولر: **الفكر الفلسفي الهندي**، تر: ندرة اليازجي، بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، 1967م.

كناعنة، شريف ومهوي، إبراهيم: **قول يا طير**، لبنان: مؤسسة الدار الفلسطينية، 2001م.

كريمر، صمويل نوح: **السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم**، تر: فيصل الوائلي، الكويت: وكالة المطبوعات، 1973م.

أساطير العالم القديم، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

كونتنتو، جورج: **الحياة اليومية في بابل وآشور**، تر:سليم التكريتي وبرهان التكريتي، بغداد: دار الحرية، 1979م.

ماجدي، خزعل: **إنجيل سومر**، ط1، عمان: منشورات الأهلية، 1998م.

الدين السومري، عمان: دار الشروق، 1998م،

المعتقدات الكنعانية، ط1، عمان: دار الشروق، 2001م.

مباركي، هشام محمد، **قصة الطوفان بين الأسطورة والدين (دراسة تحليلية وصفية)**، ط1، عمان: دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2016م.

مرتاض، عبد الله، **دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد**، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م.

مسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1994م.

المصري، حسن مجيب: **الأسطورة بين العرب والفرس والترك**، ط1، دار الثقافة للنشر، 2000م.

المصري، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني: **تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2014م.

مصطفى، مويقن: **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**، ط1، سوريا: دار الحوار، 2008م.

معلوف، شفيق: **عبقر**، ط3، منشورات العصبة الأندلسية دار الطباعة والنشر العربية، 1949م.

مجموعة من كبار الباحثين، **موسوعة عالم الأديان كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004م.

موسوي، محسن جاسم، **مجتمع ألف ليلة وليلة**، مركز النشر الجامعي، 2000م.

ميخائيل، نجيب: **مصر والشرق القديم**، تر: فؤاد حسنين علي، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.

ليان، جورج: **الحيات في العالم** (بحث تاريخي، فني، علمي)، حلب: مطبعة الضاد، د.ت.

نعمة، حسن، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م،

ناسو، أوفيديوس: **مسخ الكائنات**، تر: ثروت عكاشة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1984م.

النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1981م.

يحيى، أحمد إسماعيل: **الحية في التراث العربي**، ط1،صيدا، لبنان: المكتبة العصرية، 1997م.

يونس، محمد عبد الرحمن، **الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة**، ط1، دار الانتشار العربي، 1998م.

ثانياً: الدوريات والأبحاث المنشورة

أبو بكر، أميمة: ***المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ع1، مج13، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

حافظ، صبري: ***جَدليات البنية السردية المُركبة في ليالي شهرزاد ونجيب محفوظ***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ع2، مج13، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

الحجاجي، أحمد شمس الدين، ***قصة الملك النعمان بين السيرة والحكاية الشعبية***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ع4، مج 12، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

الحمد، جواد مطر: الإله ***الزهرة الابن (دراسة تاريخية في الميثولوجيا والمعتقدات اليمنية القديمة)***، **مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)**، الجامعة الأردنية،ع6، مج2، 1995م.

الديك، إحسان: ***عينية الحادرة ترتيلة استمطار في محراب عشتار***، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، الكرك: جامعة مؤتة،ع2، مج6،2010م.

الديك، إحسان: ***الكاهنة الجاهلية: قراءة في مكانتها ولغتها***، **مجلة العلوم الإنسانية**، كلية الآداب: جامعة البحرين، 2010م.

الديك، إحسان: ***الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي***، ع2، مج13، نابلس: **مجلة جامعة النجاح الوطنية**، 1999م.

رزق، السيد فاروق: ***حكاية النفس " ألف ليلة وليلة" في كتابات بدر الديب***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ع13، مج2، 1994م

شعلان، سناء: ***المرأة في ألف ليلة وليلة***، الأردن: **مجلة عود الند**، ع23، 2008م.

طلب، حسن، ***إيزيس خلف قناع شهرزاد" أساليب فن القص المصري وطرائق انتشاره"***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ج2، ع1، مج13، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

النجار، محمد رجب، ***قصص الحب في الليالي البنى والوظائف***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ج2، ع1، مج13، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

نظيرة، الكنز: ***الأسطورة الأنثوية المفاهيم والحدود الجمالية***، دراسات **وبحوث مجلة الموقف الأدبي**، ع476، 2010م.

مرسي، أحمد: ***ألف ليلة وليلة ومشكلة الهوية(دراسة تمهيدية)***، **فصول مجلة النقد الأدبي**، ج1، ع4، مج12، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

يونس، محمد عبد الرحمن، ***سلطة القتل في ألف ليلة وليلة***، ع12، جامعة البحرين، **مجلة العلوم الإنسانية**، 2006م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

البدري، جمال: **الأحزاب الدينية الإسرائيلية (الجذور، التاريخ، النشأة، التطور)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1996م.

خليدة، كحلي: **أثر ألف ليلة وليلة في الشعر العربي المعاصر(توظيف الأسطورة)**، إشراف محمد برونة، جامعة وهران، الجزائر، 2012_2013م.

سلمان، نادية زياد محمد: **تجليات عشتار في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غيـر منشـورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م.

شتية، منال: **قداسة المكان في الشعر الجاهي.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعـة النجـاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017م.

صالح، حليمة: **الجن في الشعر الجاهلي**، إشراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م.

عبد الله، محمود صبري: **الحية في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشـورة، إشـراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

ماي، آمال: **تجليات شهرزاد في ديوان " ما لم تقله شهرزاد... قالته: سامية عليوي"، دراسـة نقدية**، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحمن تبرماسين، جامعة محمد خيضر، بسـكرة، الجزائر، 2010_2011م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Legendary Origins of Women Image in One Thousand and One Nights

By
Amaal Mohammed Hilal Abu Rida

Supervisor
Prof. Ihasan Al-Dik

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2019

The Legendary Origins of Women Image in One Thousand and One Nights

By
Amaal Mohammed Hilal Abu Rida
Supervisor
Prof. Ihasan Al-Dik

Abstract

Women have got a special status over the ages of the ancient human knowledge giving them a symbolic nature holding holiness indications. In other words, it is apparent in the holy books and the old legends which inspired their stories from them making an interesting subject to read and interacting with their structure to the extent that the goddess Ishtar is a woman symbolizing the goddess of love, sex and lust.

From here, nights have gone deep in the legends of women that Shehrazad, who is a smart woman representing the goddess of knowledge and wisdom, has kept telling her stories to Shahriar to keep him away from killing people. Her style which is distinguished with recalling the legends of the old world and her attractive language has kept her alive. In other words, she is a heroin by defending on the feminine existence, so she has captivated the heart, mind and thoughts of the king who has become her prisoner.

Due to the nature of this study, it is divided into an introduction, four chapters and a conclusion. In the introduction, the significance of the study, the aim and methodology followed to treat the tale of One Thousand and One Nights are highlighted.

The first chapter entitled as “The Presence of the Myth in One Thousand and One Nights”, is divided into two subsections, namely: the etymology of the name “One Thousand and One Nights” and the legend of the book.

The second chapter entitled as “The Origins or Women in One Thousand and One Nights” is divided into two sub-sections, namely: women in the space of time and women in the locative space which represents aerospace, earth space and sea space.

The third chapter entitled as “The Images of Ishtar in One Thousand and One Nights” is divided into three sub-sections, namely: the legendry sex in One Thousand and One Night, the legendary beauty in One Thousand and One Nights and the legendary love in One Thousand and One Nights.

The fourth chapter entitled as “The Images of Ishtar in One Thousand and One Nights” depicts the images of Ishtar in her black face appearing as the lady of death and terror. It is divided into five sub-sections, namely: the witch in One Thousand and One Nights, the elf, the snake, the warrior and priestess in One Thousand and One Nights.

This study is concluded with the most important results and a list of resources alphabetically ordered.